سلسلة أبحاث كتابية/١٧

الرسالتان إلى روما وغلاطية

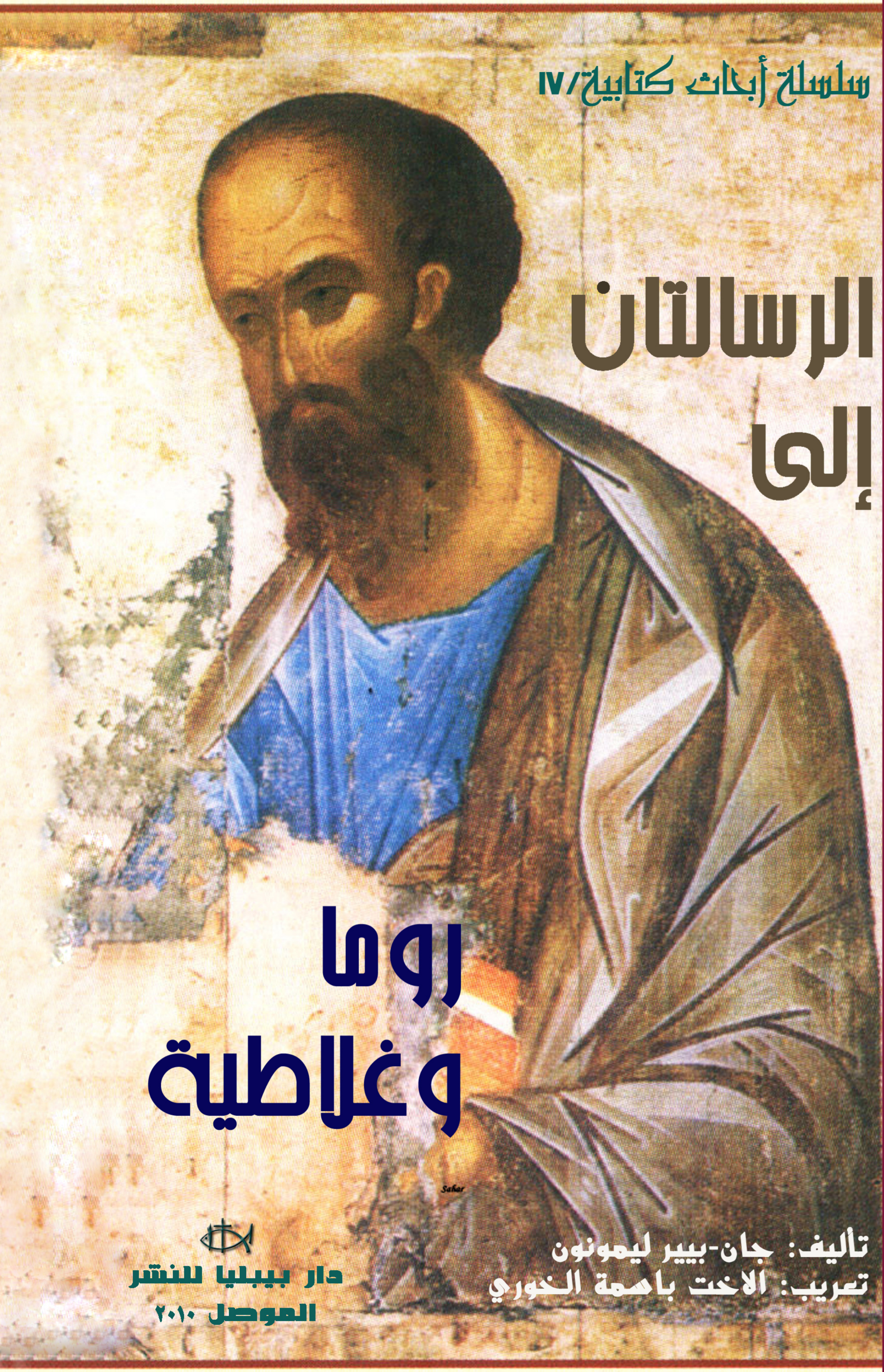

سلسلة تفاسير
٧

رسائل القديس بولس/٢

تأليف: جان-بيير ليمونون
تعريب: الاخت باسمة الخوري

دار بيبليا للنشر
الموصل ٢٠١٠

من بولس عبد المسيح يسوع
دعي ليكون رسولا ، وافرد ليعلن بشارة الله...
(روما ١:١)

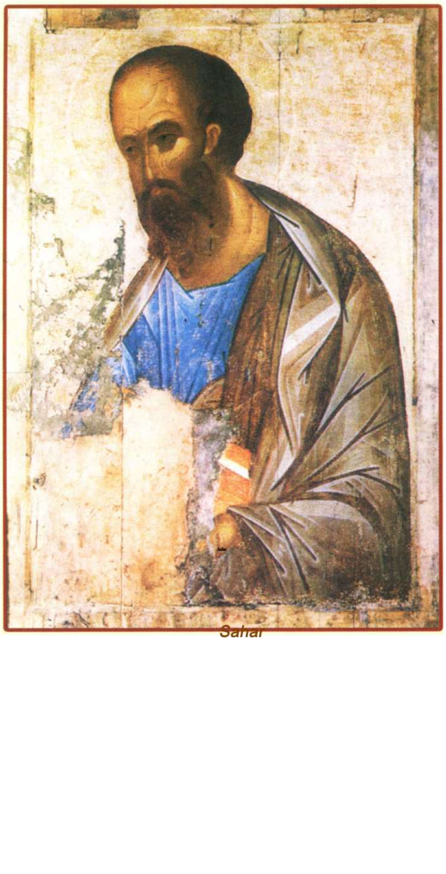

Sahar

القديس بولس
للراهب روبليف (حوالي عام ١٤٠٧)
متحف ترتياكوف-موسكو

رسائل القديس بولس/ج٢

الرسالتان

إلى

روما

وغلاطية

سلسلة تفاسير

صدرت بالفرنسية عن الخدمة البيبلية "انجيل وحياة"، بقلم اختصاصيين في الكتاب المقدس. وتصدر بالعربية عن دار بيبليا للنشر ضمن سلسلة "أبحاث كتابية"، وبمعدل كتابين في السنة.

ظهر منها:

١. الانجيل بحسب القديس متى	(صدر عام ١٩٩١)	تعريب: الاب بيوس عفاص/٢٠٠٨
٤. الانجيل بحسب القديس يوحنا	(صدر عام ١٩٩٢)	تعريب: الأب بيوس عفاص/٢٠٠٩
٦. رسائل القديس بولس/ج١: ١ و٢ قورنتس	(صدر عام ١٩٩٦)	ت: م. جرجس القس موسى/٢٠١٠
٧. رسائل القديس بولس/ج٢: روما وغلاطية	(صدر عام ١٩٩٦)	ت: الاخت باسمة الخوري/ ٢٠١٠

سيظهر تباعاً:

٨. رسائل القديس بولس/ج٣: الرسائل التسع الأخرى	(صدر عام ١٩٩٧)	تعريب: الاب البير ابونا/اوائل ٢٠١١
٩. الرسائل الأخيرة (عبرانيين والرسائل العامة)	(صدر عام ١٩٩٧)	تعريب: الأب فادي مسلم/خريف ٢٠١١
١٠. سفر الرؤيا	(صدر عام ١٩٩٥)	تعريب: الاب بيير نجم/ اوائل ٢٠١٢
٢. الانجيل بحسب القديس مرقس	(صدر عام ١٩٩١)	تعريب: الاب بولس الفغالي/خريف ٢٠١٢
٣. الانجيل بحسب القديس لوقا	(صدر عام ١٩٩٢)	تعريب: الاب بيوس عفاص/ اوائل ٢٠١٣
٥. سفر اعمال الرسل	(صدر عام ١٩٩٤)	تعريب: الاب ايوب شهوان/ خريف ٢٠١٣

عنوان الكتاب بالفرنسية

Collection “Commentaires”

Jean-Pierre Lémonon
Les épitres de Paul-II: Romains. Galates
Commentaire pastoral
Ed. Bayard/ Centurion-Novalis
Paris, ٢٠٠٥

دار بيبليا للنشر / كنيسة مار توما - الموصل (العراق)

e-mail: bibliamosul@yahoo.com

رسائل القديس بولس/ ج٢

الرسالة الى الرومانيين
الرسالة الى الغلاطيين

تفسير راعوي

سلسلة تفاسير
(٧)

تأليف: جان-بيير ليمونون

تعريب: الاخت باسمة الخوري الانطونية

اصدارات

مركز الدراسات الكتابية

الموصل-العراق

٢٠١٠

كلمة الناشر

كان العثور على سلسلة "تفاسير" (Commentaires) مصادفة سعيدة! وسرعان ما وُضّفت لخدمة مؤمنين لَكَم طلبوا وطالبوا بتفاسير للكتاب المقدس وللعهد الجديد بنوع خاص. وها هي هذه التفاسير، معرّبةً عن الفرنسية، في متناولهم، بدءاً بانجيل متى (تسلسل١/ رقم ١٣ في سلسلة "ابحاث كتابية" -٢٠٠٨)، وانجيل يوحنا (تسلسل٤/ رقم١٥ -٢٠٠٩) -وأُرجى ظهور التفسير لانجيلي مرقس ولوقا واعمال الرسل إلى العامين ٢٠١٢ و ٢٠١٣ - صعوداً إلى رسائل القديس بولس، وهي أولى الكتابات المسيحية، قبل الاناجيل.

وكانت بداية المسيرة مع رسول الأمم، عبر الرسالتين إلى القورنثيين (تسلسل٦/ رقم١٦ -٢٠٠٩) -من تأليف بول دي سيرجي وموريس كاريز، وتعريب المطران جرجس القس موسى - حيث وضع بولس اسس الايمان المسيحي وابتكر خلقية مسيحية في خضم مجتمع يسوده الانفلات وتتقاذفه التيارات الفكرية والدينية...وها نحن مع الرسالتين إلى الرومانين والغلاطيين (تعريب الاخت باسمة الخوري الانطونية اللبنانية، مشكورة) اللتين أسالتا الكثير من الحبر بسبب الجدال القائم بشأن التبرير، ولا سيما منذ حركة الاصلاح اللوثري.

فمن قورنتس حيث اقام بولس اكثر من سنتين، وبالتحديد في شتاء ٥٧ -٥٨، كتب الرسالة إلى الرومانيين الذين لَكَم تمنى ان يزورهم ليفيدهم بما أُوتي من نعمة؛ وكان قد سبق ان كتب الرسالة إلى الغلاطيين ليضع النقاط على الحروف بشأن الشريعة. والرسالتان هما جواب إلى ازمات حادة عرفتها الجماعات المسيحية الناشئة؛ وكانت مؤلفة من يهود يترتب عليهم ان يعيشوا الايمان بالمسيح، في تجاوز للشريعة وقيودها الضيقة؛ ومن وثنيين مهتدين كان عليهم، هم أيضا، ان يبحثوا عن جذور ايمانهم في الاسفار المقدسة وفي خبرة بني اسرائيل... ولقد أوضح بولس، في هاتين الرسالتين، للمسيحيين الجدد، من اصل يهودي أو وثني، ما معنى "العيش بحسب الروح"، بحيث يحتل المسيح مكان القلب في حياة الجماعة: "فليس بعد يهودي ولا يوناني، لا عبد ولا حر، لا ذكر ولا انثى...".

بعد الجزئين اللذين تناولا بالتفسير الراعوي اربع رسائل (١و٢ قورنتس، روما، غلاطية)، سيتناول جزء ثالث الرسائل التسع الاخرى، وهو بقلم اختصاصيين: شانتال رينييه وميشيل تريماي، وتعريب الاب البير ابونا (يظهر في اوائل ٢٠١١). وهكذا سيكون في متناول القراء تفسير راعوي لرسائل القديس بولس الثلاث عشرة.

الموصل في ٢٩ حزيران ٢٠١٠

الترتيب الابجدي لاسفار الكتاب المقدس

اعتمدنا المختصرات لمراجع الاسفار المقدسة، وفقاً لطبعة دار المشرق. واليكم قائمة بها:

عب	الرسالة الى العبرانيين		
أح	الاحبار	عد	العدد
١ أخ	سفر الاخبار الاول	عز	سفر عزرا
٢ أخ	سفر الاخبار الثاني	عو	عوبديا
ار	ارميا	غل	الرسالة الى غلاطية
اس	استير	ف	الرسالة الى فيلمون
اش	اشعيا	فل	الرسالة الى اهل فيلبي
اف	الرسالة الى اهل افسس	قض	سفر القضاة
اي	ايوب	١ قور	الرسالة الاولى الى اهل قورنتس
با	سفر باروك	٢ قور	الرسالة الثانية الى اهل قورنتس
١ بط	رسالة القديس بطرس الاولى	قول	الرسالة الى اهل قولسي
٢ بط	رسالة القديس بطرس الثاني	لو	الانجيل كما رواه لوقا
تث	تثنية الاشتراع	متى	الانجيل كما رواه متى
١ تس	الرسالة الاولى الى اهل تسالونيقي	مثل	الامثال
٢ تس	الرسالة الثانية الى اهل تسالونيقي	مر	الانجيل كما رواه مرقس
تك	التكوين	مرا	المراثي
جا	الجامعة	مز	المزامير
حب	حبقوق	١ مك	سفر المكابيين الاول
حج	حجاي	٢ مك	سفر المكابيين الثاني
حز	حزقيال	١ مل	سفر الملوك الاول
حك	سفر الحكمة	٢ مل	سفر الملوك الثاني
خر	الخروج	ملا	ملاخي
دا	دانيال	مي	ميخا
را	سفر راعوث	نح	سفر نحميا
رسل	اعمال الرسل	نحو	نحوم
روم	الرسالة الى اهل رومة	نش	نشيد الاناشيد
رؤ	الرؤيا	هو	هوشع
زك	زكريا	يش	سفر يشوع
سي	يشوع بن سيراخ	يع	رسالة القديس يعقوب
صف	صفنيا	يو	الانجيل كما رواه يوحنا
١ صم	سفر صموئيل الاول	١ يو	رسالة القديس يوحنا الاولى
٢ صم	سفر صموئيل الثاني	٢ يو	رسالة القديس يوحنا الثانية
طو	طوبيا	٣ يو	رسالة القديس يوحنا الثالثة
طي	الرسالة الى طيطس	يوء	يوئيل
١ طيم	الرسالة الاولى الى طيموثاوس	يون	يونان
٢ طيم	الرسالة الثانية الى طيموثاوس	يه	يهوديت
عا	عاموس	يهو	رسالة القديس يهوذا

الرسالة الى الرومانيين

المقدمة

تؤلّف الرسالة إلى الرومانيين، مع الرسائل إلى القورنثيّين والغلاطيّين، مجموعة الرسائل البولسيّة الكبرى، وقد سمّيت كذلك، بسبب طولها وبسبب الدور الذي لعبته في تاريخ المسيحيّة. لقد عرف نص الرسالة إلى الرومانيّين شروحات كثيرة على مدى تاريخ الكنيسة، منذ أوريجانس وحتى اليوم؛ وقد أثار العواطف والجدالات، وكان في جوهر أكبر أزمتين هزّتا تاريخ المسيحيّة.

ففي القرن الخامس عشر لعبت الرسالة إلى الرومانيين دورًا مفصليًّا في الجدالات التي دارت حول مجّانية الخلاص، بينما جعل لوثر وكالفان من نفسيهما، في القرن السادس عشر، رائدين لرسالة يقسم شرحها الناس بين موالٍ للإصلاح أو معارض له. لكن هذا النص الذي كان مصدر انقسامات، تحوّل إلى علامةً للوحدة في الستينات، يوم شكّلت ترجمة الرسالة إلى الرومانيّين والهوامش التي رافقتها، رهاناً مسبقًا لــ "**الترجمة المسكونيّة للكتاب المقدّس**" (TOB).

أطروحة أم رسالة؟

فيما يخصّ تفسير الرسالة إلى الرومانيين، ينقسم الشرّاح المعاصرون إلى تيّارين. فلقد تأثّر البعض بمواقف الحركة الإصلاحيّة البروتستانتيّة، وأعطوا هذه الرسالة مكانة خاصة بين رسائل بولس، نظرًا إلى أهميّتها اللاهوتيّة. وعلى عكس كتاباته الأخرى، لا يتطرّق القديس بولس إلى أي من المواضيع المتعلّقة بحياة مسيحيي روما اليوميّة، أو بمشاكلهم وطموحاتهم. لكنه، بأسلوب الرسالة الذي كان معروفًا، حرّر أطروحةً حول جوهر المسيحيّة، أو شبه وصيّة قدّم فيها الخطوط العريضة لفكره، فكان موضوع التبرير بالإيمان في قلب النص، بحيث اعتبرت الفصول ١٢–١٥ بمثابة ملحق يعرض القواعد العامّة للتصرّف المسيحي.

أما اليوم، فغالبًا ما يُقترح تفسيرٌ آخر، يبدو لنا انه الأفضل. هناك مفسرون عديدون، دون ان ينفوا أهميّة النقاشات التي تثيرها هذه الرسالة، يعتبرونها شبيهة بالرسائل البولسيّة الأخرى. ذلك لان الرسالة تنطلق، بالواقع، من حياة الجماعة، إذ ظهرت انقسامات

هدّدت وحدة المسيحيّين في روما، وعرّضت للخطر جوهر الحياة المسيحيّة. كما ظهر، بنوع خاص، نزاع متنام بين المسيحيّين الذين أخذوا يرفضون أي مرجعية لإسرائيل، وبين من كانوا متمسكين بالممارسات اليهوديّة. فكان من الضرورة الملحّة العمل على الحدّ من تطوّر هذا الجوّ المسموم، خاصة وأن كل ما يحصل في روما كانت له مضاعفات في عموم الإمبراطوريّة. لذا كان همّ بولس خلق شراكة حقيقيّة؛ ولما كان عارفاً بكل أمور روما الحياتيّة، تدخّل، على طريقته، من خلال هذه الرسالة. وهكذا تشكّل الفصول ١٢-١٥ غنًى كبيرًا، لأنها تطلعنا على مشاكل مسيحيي العاصمة الذين كان بولس ينوي زيارتهم، وهو في طريقه إلى اسبانيا (١٥:٢٨).

يهود ومسيحيّون في روما

يعود الوجود اليهودي في روما إلى ما قبل بدايات المسيحيّة بكثير، لأنّ أوّل ذكر لهم يشير إلى طردهم منها سنة ١٣٩ ق.م.؛ ولقد تنامى عددهم كثيرًا عندما أرسل بومبيوس إلى روما، بعد استيلائه على أورشليم سنة ٦٣ ق.م.، سجناء جعل منهم عبيداً. لكن اليهود، بعد عشرات السنين، تناموا عددًا وقوّة، فاجتذبوا بعض الوثنيين المتعاطفين مع اليهوديّة الذين تحوّلوا إلى "خائفي الله"، فيما اهتدى غيرهم وسُمُّوا "دخلاء". فمن أصل ثلاثة عشر مجمعًا يهوديًّا تمّ تحديدها بالاستناد إلى كتابات مدفنية، هناك خمسة مجامع ترقى إلى القرن الأول. لقد تنظّم اليهود حول المجامع، ضمن مجموعات خضعت للقوانين الرومانيّة الخاصّة بالجمعيّات. وكان لكلّ مجمع حياته الخاصّة، إذ لم تكن في روما سلطة يهوديّة مركزيّة ، كما كانت الحال في الإسكندريّة مثلاً.

لا نعلم من الذي أدخل المسيحيّة إلى روما، لكنّنا نشهد آثارًا لوجودٍ مسيحي في بعض المجامع، تعود إلى سنوات قليلة بعد المسيح. فبحسب شهادة سويتون، المؤرّخ الروماني الذي عاش في بداية القرن الثاني، حدثت في حدود الاربعينات اضطرابات داخل المجتمع اليهودي في روما: "نظرًا إلى الفوضى التي كان يثيرها اليهود باستمرار، بسبب كريستوس، طردهم [قلوديوس] من روما". هذا الـ "كريستوس" المذكور هو المسيح يسوع، مسيح إسرائيل. والمؤرخ، في تقديمه لهذه الأحداث التي لا يعطيها في الواقع أهميّة كبرى، بقي في المقاربات. وهكذا نفهم بأن كريستوس ليس هو من يثير الفوضى، بل قضيّته. وفي الحقيقة، لم يكن الامبراطور قلوديوس (٤١— ٤٥)، مناوئًا لليهود، لكنّه لم يكن يقبل بأن تكون مجموعة إتنية سببًا للفوضى؛ لذا طرد عددًا منهم سنة ٤١ (راجع

رسل ١٨: ٢). أما سويتون المؤرّخ، فلا يعطي تاريخًا لهذا الطرد. لكن الرأي الشائع، منذ القرن الخامس، أنّ هذا الحدث تمّ سنة ٤٩. أما في نهاية القرن الثاني، فكان المؤرّخ ديون كاسيوسٍ قد أكّد بأنّ الامبراطور قلوديوس، سنة ٤١، سحب من اليهود، حقّ الاجتماع، فلا بدّ إذًا من أن يكون ذلك مرتبطًا بطرد قسم منهم.

لقد استوحى المسيحيّون ولا شك من التنظيم اليهودي، وألّفوا جماعات تلتقي في أماكن مختلفة. وكان "الإخوة" الذين يملكون بيوتًا كبيرة تتّسع لمجموعة من عشرات الأشخاص، يفتحوها لاستقبال المؤمنين. هكذا نفهم مثلاً خاتمة الرسالة، حيث يسلّم بولس على الجماعة التي تلتقي عند برسقة وأقيلا (١٦: ٥)؛ ولا يشكّل هذا التجمّع سوى احدى الجماعات المسيحيّة في روما. لذا، فالكلام عن جماعة روما لا يصح إلاّ لدى الحديث عن مجموع المسيحيّين الساكنين في هذه المدينة.

المتلقون للرسالة

في شتاء سنة ٥٧-٥٨، كتب بولس من قورنتس إلى مسيحيّي روما المنقسمين؛ ومن هنا كانت تلك المناشدات العديدة حول الوحدة والمحبّة (١٢-١٣). لكن توصيات الوحدة هذه اتخذت نكهة خاصة. ففي السنوات التي سبقت تحرير الرسالة، عرفت نشأة الجماعات المسيحيّة في روما تغيّرات كبيرة: لقد تم طرد يهودٍ أو مسيحيّين من أصل يهودي، من روما، ولكن الأهم هو أن الهويّة المسيحيّة تجذّرت وقويت، في حين رفض عدد من اليهود قبول كرازة الإنجيل. وشهد المسيحيّون القريبون من إسرائيل -وهم في غالبيّتهم من أصل يهودي- اضمحلال تفوّقهم الأصليّ، لصالح المسيحيّين ذوي الأصول الوثنيّة، المستعدّين لقطع كلّ الروابط مع إسرائيل. وهكذا سنطلق على المجموعة الأولى إسم "اليهود المسيحيين"، وعلى المجموعة الثانية اسم "الوثنيين المسيحيين" (أي من اصل وثني)، مع أن هذه التسميات لا تعبّر بالكامل عن تعقيدات الوضع.

لقد نظر الوثنيون المسيحيّون، انطلاقا من قوّتهم العدديّة، وتأثيرهم الكبير، نظرة دونيّة إلى اليهود المسيحيّين، وانتقدوا عاداتهم (١٤: ١-١٥، ١٣)، واعتبروا أنّ إسرائيل فقد "سرّه" (١١: ٢٥). لم يتقبّل بولس هذا الموقف، ولكنه، من دون أن يتجاهل أحداً (١: ٧)، توجّه أولاً إلى الوثنيين المسيحيّين (راجع ١: ٥، ١٣؛ ١١: ١٣، ١٦-٢٤).

مناسبة الرسالة وهدفها

أملى بولس الرسالة على ترسيُس الكاتب (١٦: ٢٢)، في ختام رحلته الرسوليّة الثالثة التي كان قد بدأها سنة ٥٢. رسالة كتبها لجماعات لم يؤسّسها بنفسه، لكنّها

تدخل ضمن الحقل الرسولي الذي أوكِل إليه في مجمع أورشليم (غل ٢:٩-١٠). فمشروع زيارة مسيحيي روما لا يعارض مبادئه (١٥:٢٠-٢١)؛ ولقاؤهم لن يكون سوى محطّة في طريقه الى أسبانيا، ليعلن رسالة المصلوب (١٥: ٢٤، ٢٨). كان بولس قلقًا في شتاء السنة ٥٧، إذ كان عليه ان يستعد ليحمل إلى أورشليم الهبات التي جمعها، تعبيرًا عن وحدة الكنائس المتحدّرة من أصل وثني مع كنيسة أورشليم. كما كان خائفًا من انتقادات "الذين في اليهوديّة" "الذين يرفضون الإنجيل" (١٥:٣١)، والمقصود بالطبع إنجيل بولس. لقد سعت الرسالة كي تجعل مسيحيي روما يتلقون بولس، وكشفت في الوقت ذاته، بشكل غير مباشر، لليهود المسيحيّين في أورشليم، عن محبّته لاسرائيل.

أمام الانقسامات الخاصة التي تمزّق مسيحيي روما، يقدّم بولس مبادئ قادرة على إعادة الشراكة بين المسيحيين المنقسمين: انه يتأمّل اكتمال عمل الله بيسوع المسيح بين اليهود، كما بين الوثنيين، فيُظهر ان رحمة الله وأمانته تعملان في الجماعة المسيحيّة، كما في تاريخ إسرائيل برمته. ويخلص الى القول بأن على المسيحيين أن يتجنّبوا كل افتخار شخصي، لأن حياتهم ليست سوى جواب على دعوة الله، وانقياد لروحه. إنهم مدعوون إلى الشراكة في محبة واحدة.

تصميم الرسالة

بولس، العليم بطبيعة المشاكل الجماعيّة (انه، لدى إرساله الرسالة، يسمّي بالاسم خمسة وعشرين شخصًا من بين المتواجدين في عاصمة الامبراطوريّة)، ولكنه لا يبدأ بطرحها (١٢:١-١٥:١٣)، بل يشير أولاً إلى مقدّمات ثابتة تسمح لمسيحيي روما بان يفهموا صحّة مقترحاته. ويرتكز فكر بولس على قناعتين:

١- أمام الخلاص، وأمام الدينونة، لا فرق بين البشر، مهما اختلفت أصولهم، لأن الله لا يحابي (٣:٢٢، ٢٩؛ ١٠:١٢). فنعمة الله بيسوع المسيح (٥:١٥)، والإيمان (١:١٦، ١٧)، هما ركيزتا الجماعة.

٢- "سر اسرائيل" (١١:٢٥) ثابت لا محالة. فأقدمية إسرائيل ووعود الله، تضمن له شركة في الخلاص (٣: ١،٢،٩؛ ١١:١٢، ١٥).

وانطلاقًا من هذه التأكيدات، رتّب بولس الرسالة في ثلاث مجاميع:

- الأولى (١:١٨ – ٤:٢٥) يبيّن فيها ان "**الإنسان يبرَّر بالإيمان، بمعزل عن أعمال شريعة موسى**" (٣:٢٨). ووجهة النظر هذه، تشدد، في كل الأحوال، على الشريعة التي تضع الإيمان اولاً، في ما يتعلق بالتبرير.

- الثانية (١:٥ – ١١،٣٦) وتنقسم إلى قسمين (١:٥-٨، ٣٩ و ١:٩-١١، ٣٦). يطرح فيها بولس أولاً موضوع حياة الجماعة المسيحية، دون أن يُغفِل معنى شريعة موسى؛ ومن ثمّ يتطرّق بالتحديد إلى مسألة إسرائيل الذي لم يبطل اختياره، بل كان رفضه لهذا الاختيار نعمة للوثنيين المسيحيين.
- والمجموعة الأخيرة (١:١٢-١٣:١٥) تطرح صراحةً صعوبات مسيحيي روما، وتقدّم بعض التوجيهات العمليّة. وتستمدّ هذه الفصول قوّتها من الأسس المطروحة في المجموعتيين الاوليين.

وحدة الرسالة

لم تُطرح أبدًا على بساط الجدل مسألة صحة هذه الرسالة. ولكن نوقِشَت، في المقابل، مسألة انتساب الفصول ٩-١١ و ١٦ إلى النص الأصلي، باعتبار أن الفصول ٩—١١ لا رباط لها مع ما يسبقها، بل تتبع منطقًا خاصًا. وفي الواقع، لا غنى عن هذه الفصول في كامل تركيبة فكر بولس. أما الفصل ١٦، فالشك فيه مسالة مبدئية: لا يمكن أن يكون بولس قد عرف هذا العدد الكبير من أهل روما، وهو لم يسبق له ان زارها من قبل. وعليه، بالرغم من اجماع كل التقاليد المكتوبة، يُنتزَع الفصل ١٦ من صلب الرسالة ليصبح رسالة صغيرة موجهة إلى جماعة أفسس. ومع ذلك، فان ذكر بولس للعديد من المعارف الرومانيين ليس غريبًا، لأن روما كانت مركز عبور وإقامة، وكان من صالح الرسول، في ظروف صعبة، ان يُذكرِّ باشخاص يؤكدون على ارتباطه بمسيحيي روما.

تحرير الرسالة

يختصر بولس كلماته، ويستعمل بعض العبارات اليونانيّة التي يصعب علينا اليوم نقلها وفهمها. ويلجأ بولس في كتاباته إلى الحواشي والشروحات، ويقطع احياناً تسلسل أفكاره (١٢:٥)؛ انه يلعب مع الأسماء، ويستخدم بعض الغموض (مثلاً: لعبارة "نحن" دلالات مختلفة عنده: فهي تعني احيانا المسيحيين؛ أو بولس والمقربين منه؛ أو بولس ومن يتوجّه إليهم إلخ)؛ وهو يستعمل صيغ الأفعال ببراعة: فيقارب بين الماضي والحاضر؛ وبين الحاضر والمستقبل؛ وحتى بين الماضي والمستقبل؛ ويستند إلى قواعد البلاغة القديمة، فيخاطب القارئ ويجعله طرفا (١:٢، ١٧-٢٣)، أو يلجأ إلى اسلوب التساؤل (١:٣-٩؛ ١:٦). لكنّه يجذّر، بالاكثر، فكره في تقليد إسرائيل، ويدعم قناعاته بالعودة إلى الكتب

المقدسة- ويوردها غالبا بحسب الترجمة السبعينيّة، وهو النص اليوناني الذي كان الرومانيّون يستخدمونه. ولا يتردّد بولس في الخلط بين النصوص الكتابيّة، وتقديمها على انها من مصدر واحد (٣:١٠-١٨). انه يعرف أساليب القراءة التقليديّة، كما يألف البرهان بالقياس (٥:٩، ١٥)، ولا يجهل بعض شروحات الأسفار المقدسة التي كانت مألوفة في عظات المجمع التقليدية(١٠:٥-٨).

بعض الإيضاحات

يدل "**المقطع**" في كتابنا هذا، على مقطع من نص بيبلي يؤلّف كلاً متماسكًا بذاته؛ ويمكننا، لأسباب تحليليّة، أن نقسم المقطع إلى **وحدات**.

يجمع **القسم** مقاطع عدّة؛ فيما تؤلّف أقسام عدة **جزءًا**، والأجزاء العديدة تؤلف **"مجموعة"**

- الترجمة المعتمدة هنا هي طبعة دار المشرق، لكننا نقترح أحيانًا ترجمة أدقّ.
- **الترجمة السبعينيّة** هي الترجمة اليونانيّة للعهد القديم، بدأت في الاسكندريّة، وانتهت بين سنة ٢٥٠ و ٥٠ ق.م. وتقول الأسطورة أنها ثمرة عمل ٧٢ عالمًا يهوديًا (ستة من كل قبيلة من قبائل إسرائيل) في مدّة ٧٠ يومًا. كانت هذه الترجمة -وقد أضيفت إليها بعض الاسفار، كالحكمة مثلاً- هي المستعملة في الجماعات المسيحيّة الناطقة باليونانيّة. وهي النص الذي استعمله بولس.
- نورد أحيانًا، أو نشير إلى **"منحولات"** من العهد القديم، وهي كتب لم تأخذ بها الكنائس، فلم تدخل في البيبليا (مثلاً: كتاب اليوبيلات، رؤيا باروخ السريانيّة إلخ...). يمكننا أن نجد معلومات حول هذه الكتب التي تضيء الإطار الثقافي، في

H. Cousin, Vies d'Adam et Eve, des patriarches et des prophètes, supplément au cahier Évangile, No. ٣٢, Cerf, ١٩٨٠.

مفتتح

من الفرز لإعلان الإنجيل إلى تجذّر الإنجيل في روما (١:١-١٧)

تشكّل الآيات السبعة عشرة التي تفتتح الرسالة ثلاثة مقاطع:
آ ١-١٧؛ آ ٨-١٥؛ آ ١٦-١٧. ونجدد صداها في ١٥:١٤-٣٣

تحيّة وسلام

١ ١ **مِن بولُسَ عَبْدِ المسيحِ يسوع دُعِيَ لِيَكونَ رَسولاً وأُفرِدَ لِيُعلِنَ بشارةَ الله**
٢ **تِلكَ البشارةَ الَّتي سَبَقَ أن وَعَدَ بها على أَلسنَةِ أنبيائِه في الكُتُبِ المُقَدَّسة،**
٣ **في شَأنِ ابنه الَّذي وُلِدَ مِن نَسْلِ داوُدَ بِحَسَبِ الطَّبيعةِ البَشَرِيَّة،**
٤ **وجُعِلَ ابنَ اللهِ في القُدرَةِ، بِحَسَبِ روحِ القَداسَة، بِقِيامتِه مِن بَينِ الأَمواتِ، أَلا وهو يسوعُ المسيحُ ربّنا.**
٥ **به نِلْنا النِّعمَةَ بِأَن نَكونَ رسولاً، فنَهدِيَ إِلى طاعَةِ الإِيمانِ جَميعَ الأُمَمِ الوَثَنِيَّة، إكرامًا لاسمِه،**
٦ **وَأَنتُم أَيضًا مِنها، أَنتُمُ الَّذينَ دَعاهُم يسوعُ المسيح. إِلى جَميعِ أَحِبَّاءِ اللهِ الَّذينَ في رُومة،**
٧ **إِلى المَدعُوِّينَ لِيَكونوا قِدِّيسين. عَلَيكُمُ النِّعمَةُ والسَّلامُ مِن لَدُنِ اللهِ أَبينا والرَّبِّ يسوعَ المسيح.**

يتألّف المقطع في اليونانيّة من جملة واحدة. فالآيتان الأولى والسابعة تشكّلان العنوان والتحيّة بحدّ ذاتها. وتُجذِّر الآيات ٢-٦ الإنجيل في تاريخ إسرائيل (آ ٣)، فتشير إلى إعلان إيمان الكنيسة الأولى (آ ٤)، وتحدّد رسالة بولس باتجاه الوثنيين الذين يشكّلون قسمًا من مسيحيي روما (آ ٥-٦).

يقدِّم بولس نفسه من خلال ألقاب تجعله يندرج في تاريخ.

- يعتبر نفسه "رسولاً" (آ ٥): "**نلنا النعمة بأن نكون رسلاً**". وضمير جمع المتكلّم يوحّد بولس ومعاونيه، مع من سبقه في إعلان الإنجيل. لكن مهمّة بولس محدّدة: عليه أن يقود الشعوب الوثنيّة إلى "**طاعة الإيمان**". انه يعود إلى اختباره ليسوع القائم من الموت، على طريق دمشق (غل ١:١٥-١٦)، كما يستند إلى اقتسام حقول الرسالة الذي تم في مجمع أورشليم (غل ٢:٩). والرسول، فيما يستخدم

نظرة اليهوديّة الثنائيّة للعالم، والعزيزة على الحضارة اليهودية (راجع ١٦:١)، يضع مسيحيي روما في عداد الشعوب الوثنيّة. إلا أن توجُّه بولس إلى قرائه الوثنيين، لا ينفي وجود مسيحيّين من أصل يهودي في روما، لكنّه يحدّد من البداية الأشخاص الذين يقصدهم بشكل خاص. ثم إن المسيحيين من اصل وثني، كانوا الأكثريّة في هذه المدينة، وقد شكّل انتماؤهم إلى الأمم الوثنيّة سببًا يبرّر تدخّل الرسول.

- بولس، المرتبط بيسوع، كما "العبد" (أفضل من ان يقال "الخادم") بسيّده، على مثال أنبياء إسرائيل القديم، **فُرز** ليكون منادياً بالإنجيل، وهو **البشرى السارة** التي وَعَدَ بها الأنبياء (آ ٢). فدعوته هي إذًا في خط تاريخ إسرائيل، ويشكّل الإنجيل تمام الوعد.

- يوطد بولس سلطته، بالعودة إلى إعلان إيمان تقليدي (آ ٣ ب–٤) كان شكله الأصلي على النحو التالي: **"[أؤمن بيسوع] الذي وُلد من** نسل **داود، وجُعل ابن الله بالروح الذي يقدّس بقيامته من بين الأموات"**. ويضفي الرسول طابعه على فعل الإيمان هذا بإدخاله عبارات غالية على قلبه: **بحسب الجسد، بحسب (الروح الذي يقدّس)**؛ بقدرته؛ يسوع ***المسيح ربنا***. إنه يعلن إيمانه بالشكل التالي:

  يسوع الذي أُعلن إبن الله، هو دوما من يتمّم الوعود الداوديّة؛ لكنّه، في القسم الثاني من فعل إيمانه، يترع عن المسيحانية كل انتماء إلى شعب معيّن، معلنا شموليّة سيادة ابن الله. لقد جمع بولس ديمومة الوعود لإسرائيل مع امتدادها الكوني، وكان صعبًا على محاوريه قبول ذلك. ذلك ان الله، بالقيامة من بين الأموات، أعطى يسوع مركزه الحقيقي تجاه الإنسانيّة. فيسوع الذي **"جُعل بقدرته ابن الله"**،هو العامل في كل أعضاء الشعب المسيحاني مهما كانت أصوله.

- **طاعة الإيمان**: الإيمان هو قبول الإنجيل المُعلَن. انه يحمل الإنسان على الثقة بالله، لكنّه يفترض ايضا الطاعة أي إصغاء (الطاعة هي السماع) وخضوعًا وجوابًا. فالمؤمن تجدّد بالروح الذي أُعطيَ له بالكرازة، وهو، بالمقابل، يسلك، بقيادة الروح، حياة مطابقة للإنجيل.

- عبارة **"الروح الذي يقدّس"** فريدة في العهد الجديد. انها تستوحي عبارة نقرأها في مز ٥١:١٣ وفي أش ٥٣:١٠، وقد ترجمتها السبعينيّة بـ "روح قدس". واننا نجدها في اليهوديّة، وخاصة في نصوص قمران حيث نقرأ: [الله] يطهّر لنفسه مسكن (جسد) كل إنسان... بالروح الذي يقدّس..." (قانون الجماعة ٤:٢٠-٢١).

- إن لمسيحيي روما الذين يشتركون، مع كاتب الرسالة، بالحالة المسيحيّة (آ ١، ٦، ٧)، دعوة تجعل منهم **"أحباء الله"** و**"قديسين"**. ولا يستعمل بولس في بداية رسالته عبارة "كنيسة"، المشتقّة من كلمة يونانيّة تدلّ على الدعوة، وبالتالي على مبادرة الله تجاه المؤمنين؛ بل يستعمل عبارة غامضة بعض الشيء: **"أنتم الذين في روما"**. لقد كان في روما ولا شك "كنائس، جماعات" عديدة؛ لكن بولس يتوجّه إلى كل مسيحيي روما، على انهم وحدة متماسكة، بغضّ النظر عن أصلهم وعن مكان تجمّعهم.

من الشكر إلى تجدد الإنجيل (١:٨-١٥)

٨ **أَبدَأُ بشُكرِ إلهي بِيَسوعَ المسيحِ في أَمرِكم أَجمَعين، لأَنَّ إيمانَكُم يُعلَنُ في العالَمِ كُلِّه.**
٩ **فاللهُ الَّذي أَعبُدُ في رُوحي، مُبَشِّرًا بابنه، يَشهَدُ لي أَنِّي لا أَنفكُّ أَذكُرُكُم**
١٠ **وأَسأَلُ دائِمًا في صَلَواتي أَن يَتَيَسَّرَ لِي يومًا ما الذَّهابُ إِلَيكم، إن شاءَ الله.**
١١ **فإنِّي مُشْتاقٌ إلى رُؤيَتِكُم لأُفيدَكم بَعضَ المَواهِبِ الرُّوحِيَّةِ تأييدًا لكم،**
١٢ **بل لِنَتَشَدَّدَ معًا عِندَكُم بالإيمانِ المُشتَرَكِ بَيني وبَينَكم.**
١٣ **ولا أُريدُ أَن تَجهَلوا، أَيُّها الإخوَة، أَنِّي كَثيرًا ما قَصَدتُ الذَّهابَ إِلَيكُم، فحِيلَ بَيني وبَينَهُ إلى اليَوم، ومُرادي أَن أَجنيَ بَعضَ الثِّمارِ عِندَكُم كما أَجنيها عِندَ سائِرِ الأُمَمِ الوَثنيَّة.**
١٤ **فَعَلَيَّ حَقٌّ لِليونانيِّينَ والبَرابِرة، لِلعُلْماء والجُهَّال.**
١٥ **فمِن هُنا رَغبَتي في أَن أُبَشِّرَكُم أَيضًا أَنتُمُ الَّذينَ فيُ رُومة.**

هنا يبرز نزاع. يشكر بولس الله على قبول الرومانيين للكلمة (آ ٨)، لكن حالة الجماعة الراهنة تدفعه لإعلان الإنجيل في روما (آ ١٥). تلتقي آيات هذا المقطع في وحدتين:

١:٨-١٠. بولس، قبل التعبير عن شراكته مع الرومانيين، يشدّد على العلاقات الحميمة التي تربطه بالله (**إلهي**، راجع فل ١:٣؛ ٤:١٩)، بفضل المسيح الذي يؤمّن الوساطة: من الله إلى البشر، ومن البشر إلى الله. وتأتي الصلاة تحت شكلين: شكر وطلب. يبدأ الرسول اولاً بالشكر لأجل إيمان قرائه، هذا الإيمان الذي يُعلن في العالم كلّه، وهو يُظهر قوّة كلمة الله. وبكلامه عن إيمان "كل" مسيحيي روما (**انتم جميعاً**)، يبرز بولس مساواتهم: لا يمكن لأي مجموعة أن تدّعي إيمانًا أقوى من إيمان الأخرى. ثم يتوسل الرسول إلى الله أن تكون له "**فرصة المجيء**" إليهم، طالما ان الله وحده هو الذي يقود الرسالة.

ويصف بولس عمله بعبارة ليتورجيّة: "**الله الذي أعبد في روحي**". فالعبادة ليست إعلان الإنجيل، بل هي الصلاة التي ترافق هذا الإعلان؛ هذه الصلاة تخرج من حكم الرومانيين، لأن الله وحده هو الشاهد عليها. وهكذا يشكّل إعلان الإنجيل، مع الصلاة، التعبير المنظور والوجه الخفي لحقيقة واحدة.

١:١١ -١٥. اللقاء بين الرسول والجماعة التي يزورها هو "عطيّة الروح"، لأنه يُقوّيها في الإيمان. لكن التواصل هو على خطّين، فبولس يشترك مع الرومانيين بإيمان واحد؛ ويصبح لقاؤهم بالتالي مصدر تشجيع متبادل، إضافة إلى تقوية الإيمان الذي يتأتّى عن زيارته.

اما رغبته في رؤية الرومانيين، فليست نزوة عابرة؛ فطالما تمنّى بولس القيام برحلة إلى روما، لكن الوقت لم يكن مناسبًا أبدًا (راجع ١٥:٢٢-٢٤). والتأجيل المتكرّر كان من عمل الله ("**حيل بيني وبينه**" في آ ١٣ هي صيغة للمجهول الإلهي للاشارة الى عمل الله). إلا ان بولس، في لقائه مسيحيي روما، سيتمّم الخدمة التي أوكلت إليه تجاه كل الرجال والنساء المشمولين برسالته: "**عليَّ حقّ تجاه الجميع**". وللدلالة على المستفيدين من عمله، يعدِّد بولس فئات يونانيّة أكثر منها يهوديّة، فيذكر متمدّنين وغير متمدّنين (يونانيّين وبرابرة)، علماء وجهّالاً. أما التذكير برسالته، فبرهان مزدوج على مشروعيّة هذه الرسالة إلى الرومانيين، وعلى مشروعيّة زيارته إلى قلب الامبراطوريّة. ونظرًا إلى دقّة الحالة المقلقة في روما، يؤكّد بولس أنّ زيارته هي مهمة تبشيرية (آ ١٥)، لأنها ستعيد تجذير الإنجيل ومتطلّباته الوحدوية في قلب المسيحيين وفي ممارستهم.

قوة الإنجيل الذي قُبل بالإيمان وشموليّته (١:١٦-١٧)

١٦ **فإنِّي لا أَستَحيي بالبشارة، فهي قُدرَةُ اللهِ لِخَلاصِ كُلِّ مُؤمِن، لِليَهوديِّ أَوَّلا ثُم لِليُونانيّ،**
١٧ **فِإنَّ فيها يَظهَرُ بِرُّ الله ، بالإِيمانِ ولِلإِيمان ، كما وَرَدَ في الكِتاب: *"إِنَّ البارَّ بِالإِيمانِ يَحْيا"* .**

ترتبط هاتان الآيتان ارتباطًا وثيقًا بما يسبقهما، وتشكّلان مرتكزًا لفكر بولس. فهما تعبّران عن شموليّة الخلاص، وتحدّدان شروط التبرير. إنّ قوّة الإنجيل وهدفه يفسّران رغبة بولس بالمجيء إلى روما. فالإنجيل هو "**قوة الله**" لكل من يقبله بإيمان، لأن فيه يظهر **برّ الله** (أنظر الاطار: البر). ان الإيمان الذي يضع كل المؤمنين على المستوى عينه، يأخذ مكانًا أساسيًّا في اللاهوت البولسي؛ وتبرز أهميّته من خلال العودة إلى حبقوق ٢:٤: "**إن**

البار بالإيمان يحيا". لا يقول الرسول إلا ما اعلنته الكتب دوما. بهذا يتم التشديد على الاستمراريّة، دون أن يُغفَل التتميم، لأن الإيمان الذي عاشه إسرائيل حتى الآن، موجّه اليوم لكل إنسان؛ وكل من يؤمن يحصل على الخلاص. وهكذا يجمع بولس بين قطبي الجماعة الرومانيّة: انه يعلن عن جديد المسيحيّة (دعوة الوثنيّين)، مع المحافظة على أقدميّة إسرائيل (**اليهودي أولاً**).

هكذا نقرأ الآية ١٧ أ في اليونانيّة: "**لأن برّ الله ظهر فيه** [في الإنجيل]، **من الإيمان إلى الإيمان**" (بالإيمان من البداية إلى النهاية)، وبوسعنا ان نفهمها بطريقتين: إما كتواصل (من أمانة الله إلى أمانة المؤمن؛ أو من إيمان المبشِّر إلى إيمان السامع)؛ وإمّا كتعمّق ونموّ (من قبول الإنجيل فكريًّا ونظريًا إلى حياة الإيمان). وان فكرة تعميق الإيمان الحياتي تتماشى مع الصعوبات التي يواجهها مؤمنو روما.

ويمكن لنص حبقوق ٢:٤ أن يأخذ، هو الآخر، معنيين متكاملين، غير متعارضين. فعبارة "**بالإيمان**" يمكن أن تعود اولاً إلى الموصوف "**البار بالإيمان** يحيا"، بمعنى أن الحياة هي هبة تعطى لمن هو بار بالإيمان، فيكون المقصود بالتالي التضاد بين هذا البار وبين ذاك الذي يظنّ أنه بار بالأعمال؛ كما يمكن أن تعود العبارة إلى الفعل: "البار **يحيا بالإيمان**"، وبالتالي يكون التشديد على أن الإيمان هو ما يسمح للبار بأن يحيا (**انظر الاطار: التبرير**).

الباب الأول

التبرير الشامل بالمسيح

(١:١٨ ـ ٤:٢٥)

من معصية البشر إلى تبرير المؤمنين

التحقق من تأكيدات ١:١٦-١٧

القسم الأول

اللاعدالة الكونيّة

(١٨:١ -٣:٢٠)

تأتي الآيتان ١٧أ و ١٨أ متوازيتين:

- "**لأن فيه** [الإنجيل] **ظهر برّ الله من الإيمان إلى الإيمان**".
- "**لأنّ غضب الله ظهر من السماء على كلّ كفر وظلم**".

يبيّن بولس وجهين لحقيقة واحدة، مفادها انّ غضب الله وبرّه غير منفصلين (مز ٨٥:٢-٦)، وغالبًا في تعارض بين الماضي والحاضر، أو الحاضر والمستقبل. في الرسالة إلى الرومانيين، نرى ان الغضب دائم؛ وحده الإنجيل يكشف عن قوة الغضب ويحرّر منه. ويُختَتم النقد اللاذع ضدّ ظلم البشر وكفرهم في ٢٠:٣، بإشارة إلى مز ٢:١٤٣: "**لا يتبرّر الإنسان بتميم الشريعة**"، مما يؤكّد أساسًا عجز البشر أمام الله. ونجد في الجزء ١٨:١-٢٠:٣ وصفاً لحالة البشر المزرية حين لا يخضعون للحق. والخطيئة هي شاملة، مما يجعل أي تبربر يستند إلى أعمال الشريعة مجرّد سراب. بعد هذه اللوحة الدراماتيكيّة، يشرح بولس على مدى ٢١:٣-٢٥:٤ ما أعلنه في ١٧:١. هذا الجزء الأول إذًا لا يحمل معناه بذاته، فهو ليس سوى مقدّمة سلبيّة، تبرز الرجاء المستند إلى إرادة الله الشاملة التي يُحتَفَل بها في ٢١:٣-٢٤:٤.

الجزء الذي يعلن شموليّة الخطيئة يتألّف من عدّة مقاطع.

– في المقطع الأول (١٨:١-٣٢)، نجدنا بازاء مجموعة لا اسم لها، لأن بولس لا يضع مراسليه في الواجهة. ويشكّل هذا المقطع مقدّمة، تقابله خاتمة (٩:٣-٢٠)، مؤكداً، بواسطة الكتب، سيطرة الخطيئة الشاملة. وقد يُخيل الينا ان مجموعتين مؤلفتين من الجماعة المسيحيّة (١:٢-١٦)، ومن اليهود (١٧:٢-٢٩)، تشكّلان، بسبب روابطهما، استثناء

عن هذه القاعدة، نظرًا لعلاقتهما مع الله، لكن لا شيء من هذا. في النهاية، وقبل الوصول إلى الخاتمة المنسوجة من الشواهد الكتابيّة، يطرح بولس اعتراضين (٣:١-٨) يتعلّق الأول بإسرائيل، والآخر بالجماعة المسيحيّة.

مقدّمة: حالة من لا يعترف بالله (١:١٨-٣٢)

١٨ **فقَد ظَهرَ غَضَبُ اللّهِ مِنَ السَّماء،غَضَبُ اللهِ على كُلِّ كُفْرٍ وظُلْم يأتي بِه النَّــاس، فــإنَّهم يَجعَلونَ الحَقَّ أَسيرًا لِلظُّلْمْ،**

١٩ **لأَنَّ ما يُعرَفُ عنِ اللهِ بَيِّنٌ لَهم، فقَد أَبانَهُ اللهُ لَهم.**

٢٠ **فمُنْذُ خَلْقِ العالَمِ لا يَزالُ ما لا يَظهَرُ مِن صِفاتِه، أَي قُدرَتُه الأَزَلِيَّــةُ وأُلوهَتُــه، ظــاهِرًا لِلبَصائِرِ في مَخلوقاتِه. فلا عُذْرَ لَهم إذًا،**

٢١ **لأَنَّهم عَرَفوا اللهَ ولَم يُمجِّدوه ولا شَكَروه كما يَنبَغي لِلّه، بل تاهوا في آرائِهِــمِ الباطِلَــة فأَظلَمَت قُلوبُهمُ الغَبِيَّة.**

٢٢ **زَعَموا أَنَّهُم حُكَماء، فإذا هم حَمْقى**

٢٣ **قَدِ استَبدَلوا بِمَجْدِ اللهِ الخالِدِ صُوَرًا تُمثِّلُ الإِنسانَ الزَّائِــلَ والطُيــورَ وذَواتِ الأَربَــعِ والزَّحَّافات.**

٢٤ **ولِذلِك أَسلَمَهُمُ اللهُ بشَهَواتِ قُلوبهم إلى الدَّعارَة يَشينونَ بها أَجسادَهم في أَنفُسهم.**

٢٥ **قَدِ استَبدَلوا الباطِلَ بحَقيقَةِ اللهِ واتَّقَوُا المَخلوقَ وعَبدوهُ بَدَلَ الخالِق، تَبارَكَ أَبَدًا. آمين.**

٢٦ **ولِهذا أَسلَمَهُمُ اللهُ إِلى الأَهْواءِ الشَّائِنة، فاستَبدَلَت إِناثُهم بِالوِصالِ الطَّبيعــيِّ الوِصــالَ المُخالِفَ لِلطَّبيعة،**

٢٧ **وكَذلكَ تَرَكَ الذُّكْرانُ الوِصالَ الطَّبيعِيَّ لِلأُنْثى والتَهَبَ بَعضُهم عِــشْقًا لِــبَعْض، فَــأَتى الذُّكرانُ الفَحْشاءَ بالذُّكْران، فنالوا في أَنْفُسهِم الجَزاءَ الحَقَّ لِضَلالَتِهم.**

٢٨ **ولَمَّا لم يَرَوا خيرًا في المُحافظةِ على مَعرِفةِ الله، أَسلَمَهُمُ اللهُ إِلى فَسادِ بَصائِرِهم ففَعَلوا كُلَّ مُنْكَر.**

٢٩ **مُلِئوا مِن أَنواعِ الظُّلْمِ والخُبْثِ والطَّمعِ والشَّرّ. مُلِئوا مِنَ الحَسَدِ والتَّقْتيلِ والخِصامِ والمَكْرِ والفَساد. هُم نَمَّامونَ**

٣٠ **مُفتَرون، أَعداءٌ للّه، شَتَّامونَ مُتَكبِّرون صَلِفون، مُتَفَنِّنونَ بِالشَّرّ، عاصونَ لِوالِديهِم،**

٣١ **لا فَهمَ لَهم ولا وَفاءَ ولا وُدَّ ولا رَحْمَة.**

٣٢ **ومع أَنَّهم يَعرِفونَ قَضاءَ اللهِ بأَنَّ الَّذينَ يَعمَلونَ مِثلَ هذِه الأَعمالِ يَستَوجِبونَ المَوت، فهُم لا يَفعَلونَها فحَسبُ، بل يَرضَونَ عنِ الَّذينَ يَعمَلونَها.**

يدين هذا المقطع الأشخاص الذين، بالرغم مما يعرفونه عن الله (آ ١٩: **ما يُعرف عن الله**؛ آ ٣٢: **ما يعرفونه**)، يتصرّفون تصرّف الحمقى. ان هؤلاء الرجال والنساء عرفوا الله معرفة مبدئية نظريّة، و لم يأخذوا منها عبرًا لحياتهم اليوميّة. ويستعمل بولس في آ ٢٠، مفردات هللينية أكثر منها بيبلية (أزليّة، ألوهة، فكر). فان الله، بعمله، كشف جزئيًّا عن نفسه، مظهرا قدرته الأزليّة وألوهته، لكن البشر لم يتجاوبوا مع هذا الكشف. ويستعيد بولس موضوعًا عزيزاً على ادب الحكمة (حك ١٣:٥)، وعلى اليهود الهللينيين، مفاده: أن البشر يستطيعون، من خلال الخليقة، أن يصلوا إلى الخالق ويعترفوا بمجده. لكن الرسول يستطرد ليعلن بأن هذه المعرفة غير كافية، لأنها لا تؤدّي إلى علاقة حميمة، ولا تتسبب بالتالي بأي انقلاب في حياة الناس.

تنتظم الآيات على شكل دراما. يصف بولس نتائج الغضب الإلهي على ثلاث دفعات (آ ٢٤، ٢٦، ٢٨)، مستوحيًا من موضوع معروف في العهد القديم، وهو أن الله يسلّم شعبه الخاطئ إلى ايدي أعدائه (قض ٢:١٤؛ مز ١٠٦:٤١؛ نح ٩:٢٧)؛ لكن غضب الله لا يقتصر بعد اليوم على شعبه فقط، يل يطال كل الذين **يضعون حاجزًا أمام الحق**: "**أسلمهم الله – إلى النجاسة،– إلى شهوات مشينة، – إلى آراء باطلة**". وهكذا

غضب الله

تتضمّن الرسالة إلى الرومانيين بعض العبارات اللافتة، وكأن الله يطيب له ان يعاقب الإنسان، أو أن يعمي بصيرته: "ظهر غضب الله" (١:١٨)، "أسلمهم الله" (١:٢٤، ٢٦، ٢٨)، "الله يقسّي قلب من يشاء" (٩:١٨)، "أعطاهم الله روح بلادة" (١١:٨).

"يقوم غضب الله الفاعل، بترك الطبيعة البشريّة الخاطئة تتوحل في ماويّتها" (C.H. Dodd)، وذلك عندما يختار الإنسان، عن سابق تصميم، أن يتجاهل الله. وغضب الله هو تعبير عن ماساة حبه أمام رفض الإنسان لرحمته. ولَطالما ذُكر غضب الله والضربات التي ترافقه، على مدى تاريخ إسرائيل. ولا تهدف هذه الضربات، أولا، إلى الكشف عن مصير الخاطيء النهائي، بل تعبّر بالعمق عن القداسة التي دُعي إليها الإنسان، وعن الثقة التي يضعها الله فيه، وهي بالتالي دعوة إلى التوبة.

لكن انغلاق الإنسان في الخطيئة، وتعنّته في رفض محبّة الله، لا يمكنهما أن يوقفا تتميم رحمته، وقد تجلّت في مشروعٍ خلاصي معروض للجميع. لا يقوم بولس بطرح نظري مجرّد، بل ينطلق من حالات إنسانيّة واقعيّة، ويحاول أن يتفهّمها على ضوء محبّة الله للبشر، وعلى ضوء تاريخ إسرائيل. فلقد أظهر تاريخ إسرائيل الماضي ان ليس بمستطاع أي خاطيء أن يمنع تجلّي خلاص الله، كما ان رفض إسرائيل سماع الكلمة ليس نهاية تاريخه مع الله.

يتوغّل المذنبون في طريق مسدود. لقد عرف الناس الله، ولكن **دون أن يؤدّوا له المجد والشكر** اللائقين به (آ ٢١أ). فالتنكّر لله هو أساس المأساة، وبولس يذكّر به عند كل مفترق (آ ٢٣، ٢٥، ٢٨). إنها مأساة تؤدّي إلى دوّامة قاتلة. فغياب الاعتراف الصادق بالله تسبّب بانحلال أخلاقي؛ اما فساد البشر، فيزيد من تنكرهم. لذلك أسلم الله رجالاً ونساءً إلى شهواتهم، لانهم رفضوا الاعتراف بالله الذي كشف ذاته لهم من خلال أعماله؛ وإضافة إلى ذلك، فقد احتقروا أجسادهم (آ ٢٤، ٢٦-٢٧)، وإخوتهم أيضًا (آ ٢٩-٣١).

مع أن بولس لم يحدّد هويّة المذنبين بشكل دقيق، ولكن بوسعنا ان نجد بيسر، في هذا النص، وصفًا لخطيئة الوثنيين. فلقد كانت عبادة الحيوانات تمارَس، بحسب كتاب الحكمة، عند الوثنيين عامة، وعند المصريين خاصة (حك ١١:١٥؛ ١٢:٢٣-٢٤؛ ١٥:١٨)، وما رذائل الحياة اليوميّة إلا نتائج أصناميتهم. ويستفيض بولس في هذا الأسلوب الحكمي: فالآيات ٢٤، ٢٦، ٢٨ تأتي في خط حك ١٤:٢٢-٣١، لكن المقصود هنا هو كلّ إنسان (راجع ١٨:١: **كل كفر وكل ظلم**). وفي الحقيقة، يعجّ المقطع بالإشارات إلى حياة إسرائيل الذي هو ذاته لم ينجُ من الأصنامية (خر ٣٢؛ تث ٤:١٦-١٨؛ إر ٢:١١؛ مز ١٠٦:١٩-٢٠ المذكور في روم ١:٢٣). إضافة إلى ذلك، فإن الأعمال التي تكشف للإنسان عن قدرة الله وألوهته، ترتبط بالأعمال الإلهيّة القديرة التي تميّز بها تاريخ إسرائيل.

وأكثر من ذلك، فالنص البولسي دقيق جدًا، حتى انه لم يغفل شموليّة الخطيئة التي تطال المسيحيين أيضًا عندما يرفضون الانقياد للروح. فأن يكون الإنسان مسيحيًا، لا يعني انه ابتعد بشكل أوتوماتيكي عن الرذائل التي يدينها الرسول (راجع ١ قور ٥:١٠-١١؛ ٦:٩-١٠؛ غل ٥:١٩-٢٠)؛ ولا ينجو منها إلا من يحيا تحت إمرة الروح (غل ٥:٢٢-٢٤). ونجد في هذا المقطع أيضًا كلاماً لافتاً حول المسيحيين، تؤكّده صيغ الأفعال التي يرتّبها بولس بشكل دقيق جدًا. ففي آ ١٨-١٩أو٢٠، كما في آ ٣٢ ب-ج، وهي الآيات التي تحدّد المقطع، نجد الافعال في صيغة الحاضر، في حين أن الأفعال المستعملة في قلب النص جاءت في صيغة الماضي. ذلك ان نظرة بولس تطال تاريخ البشريّة بأكمله.

تتربّص الخطيئة بالبشر، في كلّ الأزمنة، ويتبعها عقاب الله. صحيح أن الحالة التي يصفها الرسول هي من ميزات الماضي، ولكنّها لم تفقد شيئًا من آنيّتها. فلقد تمّ حدث حاسم، بموت المسيح وقيامته، و"**الإنجيل يُظهر برّ الله الذي يخلّص بالإيمان**" (آ ١٨ أ)؛ لكن "**غضب الله ظهر**" اليوم أيضًا "**من السماء**" (آ ١٨ أ)؛ من هنا، يتزامن برّ الله وغضبه بشكل أكيد، حتى أن المسيحيين بالذات لن ينجوا مما تسبّب في مأساة الوثنيين واليهود،

إلا اذا خضعوا للإنجيل. ونحن إذا لم نرَ في ١:١٨-٣٢ سوى تعدادٍ لخطايا الوثنيين، فإننا نحجّم النص الذي يتوجه إلى كل انسان، ونلغي التحذير الذي وجهه بولس، منذ بداية رسالته، إلى مسيحيي روما، وإلى الوثنيين المسيحيين منهم بشكل خاص. ذلك ان هؤلاء اعتقدوا بأنهم وصلوا إلى نهاية التاريخ، ونسوا بأن الزمن الحاضر هو أيضًا زمن غضب الله. إن ما يشجبه الرسول هو كل كفر وكل ظلم، كائنًا من كان فاعله، ومن هنا التأنيب الذي يوجّهه في ٢:١ "لأي كان" يسلك بحسب العادات التي وصفت في ١:١٨-٣٢. فالمأساة هي في الوقت عينه ماضية وحاضرة.

تحذير: إسرائيل هو بمثابة تنبيه للمسيحيين (٢:١-١٦)

٢ ١ **فلا عُذر لَكَ أيًّا كُنتَ، يا مَن يَدين، لأنّكَ وأنتَ تَدينُ غَيرَكَ تحكُمُ على نَفْسِكَ، فإنّكَ تَعمَلُ عَمَلَه، يا مَن يَدين،**

٢ **ونحنُ نَعلَمُ أنَّ قَضاءَ الله يَجْري بالحَقِّ على الَّذينَ يَعمَلونَ مِثلَ هذِه الأَعمال.**

٣ **أَوَ تظُنُّ ، أنتَ الَّذي يَدينُ مَن يَعمَلونَ مِثلَ هذه الأَعمال ويَفعَلُها، أنَّكَ تَنْجو مِن قَضاءِ الله،**

٤ **أم تَزدَري جَزيلَ لُطفِه وحِلمِه وطُولِ أَناتِه، ولا تَعلَمُ أَنَّ لُطْفَ الله يَحمِلُكَ على التَّوبَة؟**

٥ **غيرَ أَنَّكَ بِقَساوتِكَ وقِلَّةِ تَوْبَةِ قَلْبِكَ تَدَّخِرُ لَكَ غَضَبًا لِيَومِ الغَضَب، إذ يَنكَشِفُ قَضاءُ اللهِ العادِل**

٦ **فيُجازي كُلَّ واحِدٍ بحَسَبِ أَعمالِه،**

٧ **إمَّا بالحَياةِ الأَبدِيَّةِ لِلَّذينَ بِثَباتِهم على العَمَلِ الصَّالِح يَسعَونَ إلى المَجدِ والكَرامةِ والمَنعَةِ مِنَ الفَساد**

٨ **وإمَّا بالغَضَب والسُّخْطِ على الَّذينَ يَثورونَ فَيَعصُونَ الحَقَّ ويَنقادونَ لِلْظُلْم.**

٩ **فالشِّدَّةُ والضِّيقُ لِكُلِّ امرِئٍ يَعمَلُ الشَّرّ: اليَهودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ اليُونانِيّ،**

١٠ **والمَجْدُ والكَرامةُ والسَّلامُ لِكُلِّ مَن يَعمَلُ الخَيْر: اليَهودِيِّ أَوَّلا ثُمَّ اليُونانِيّ ،**

١١ **لأَنَّ اللهَ لا يُحابي أَحَدًا .**

١٢ **فالَّذينَ خَطِئُوا وهُم بغَيرِ شَريعة يَهلِكونَ أَيضاً بِغَيرِ شَريعة. والَّذينَ خَطِئُوا وهُم بِالشَّريعة يُدانونَ بالشَّريعَة.**

١٣ **فلَيسَ الَّذينَ يُصْغونَ إلى كَلامِ الشَّريعةِ همُ الأَبرارُ عِندَ الله، بلِ العامِلونَ بِالشَّريعةِ هُمُ الَّذينَ يُبرَّرون.**

١٤ **فالوَثَنيُّونَ الَّذينَ بلا شَريعة، إذا عَمِلوا بِحَسَبِ الطَّبيعَةِ ما تَأمُرُ بِه الشَّريعة، كانوا شَريعةً لأَنفُسِهم، همُ الَّذينَ لا شَريعةَ لَهم،**

١٥ فَيدُلُّونَ على أَنَّ ما تَأمُرُ به الشَّريعةُ مِنَ الأَعمالِ مَكتوبٌ في قُلوبِهِم، وتَشهَدُ لَهم ضَمائِرُهم وأَفكارُهم، فهي تارةً تَشكوهُم وتارةً تُدافع عنهُم.
١٦ وسيَظهَرُ ذلِكَ كُلُّه، كما أُعلِنُ في بِشارتي، يَومَ يَدينُ اللهُ بِيَسوعَ المسيح ما خَفِيَ مِن أَعمالِ النَّاس.

بالرغم من التغيير في اسلوب الرسالة، في بداية الفصل ٢، فإن الروابط مع ما سبق تبقى عديدة. ويشكّل هذا المقطع خاتمة لما توسّع به الرسول أعلاه (تبدأ الآية الأولى في اليونانيّة بالحرف "**إذًا**" أو "**لذلك**"). في ١:٣٢، كان بولس قد حكم بشكل مبرم على من لا يكتفي بعمل السيّئات المرفوضة، بل يؤيّد فاعليها أيضًا. اما في ٢:١، فيعرض شخصًا يحكم على الخاطئين، لكنّه يعمل أعمالهم. ويؤكّد بولس أن لا عذر للفئتين أمام حكم الله. ولتوضيح ذلك، يلجأ الرسول إلى طريقة في فنون الخطابة الهللينيّة: يضع على المسرح شخصًا خياليًّا فيسائله. لا شك ان هذا الاسلوب يساهم في إعطاء حياة للفكرة، ولكنه يلزم كل شخص على تفحّص تصرّفاته. وازاء وصف الانحلال الأخلاقي الوارد في ١:١٨-٣٢، كان بوسع مسيحيي روما ان يحتجوا، غافلين عن خطاياهم. لكن بولس لا يترك لهم أي مجال لذلك، إذ يؤكّد أن الاحتجاج لا يعطي صاحبه شهادة تقدير إن كان هو نفسه خاطئًا، لأنه: "**لا عذر لك أيًا كنت، يا من تدين... لأنك تعمل مثلهم**" (آ١). ولما لم يرد في هذه الآية ذكر الوثنيين، فمن الأفضل عدم زجّهم فيها، لأن الرسول ساءل شخصاً يدين غيره، وثنيًا كان أم غير وثني.

كل إنسان هو تحت حكم الله، لأن الله لا يحابي؛ وينطلق المقطع من الإدانات المختلفة التي يطلقها الإنسان بحق الغير (٢:١)، ليصل إلى حكم الله الأوحد، المستند إلى الإنجيل (٢:١٦)؛ فالحق، الذي تتكلّم عنه آ ٢ هو مرادف للإنجيل. ونجدنا بازاء مفردات قانونية بامتياز: عمل الشر، عمل الخير، يدين، دينونة، يحكم، معذرة، شريعة، يشكي، يدافع... فبعد آيتين تمهيديّتين تبرزان من يظنّ أنه ينجو من الدينونة لأنه يدين الخطأة بشفيته، ينقسم المقطع إلى وحدتين (آ ٣-١١ و ١٢-١٦) تتمحوران حول عدم محاباة الله في حكمه.

الوحدة الأولى (٢:٣-١١): هناك محركان يسيّران الإنسان الذي يدين غيره، وهو في الوقت ذاته يقترف الخطايا عينها: إما انه يفترض بأن الله لن يدينه بحسب المعايير التي يدين بها غيره (ألم يبرهن، باستنكاره الخطيئة، أنه بار؟)، وإما انه يتظاهر بعدم معرفته بأن زمن الصبر هو دعوة للتوبة. وفي الحالتين، هو يضلّ الطريق، لأن "**الله يجازي كل واحد بحسب أعماله**" (آ ٦) و"**لا يحابي أحدًا**" (آ ١١). ولهذه العبارة الأخيرة التي غالبًا ما تتردّد

في العهد الجديد (راجع غل ٢:٦؛ أف ٦:٩؛ رسل ١٠:٣٤)، جذور في العهد القديم، سواء بالكلام عن تصرف الله (تث ١٠:١٧-١٨)، ام في الحديث عما يُطلب من القضاة في أحكامهم (تث ١:١٧). ففي يوم الغضب، لن يفتخر إنسان على آخر.

في آ٦، يأتي الاستشهاد بالمزمور ٦٢:١٣ ليحدّد مبدأ حكم الله: سيجازى كل إنسان بحسب أعماله، في ضوء الإنجيل. هذا ما يتماشى بالفعل مع رغبة البار (مز٢٨:٤). فحكم الله على الأعمال لا يتناقض مع التبرير بالنعمة، لكنّه يظهر سخاء الله دون أن ينفي مسؤوليّة الإنسان، لأن رحمة الله تشمل الخاطيء. وتتوضّح نتيجة الحكم العادل عبر أربع آيات (آ ٧-١٠) مبنيّة بشكل فريد. ونشهد كثرة العبارات التي تشير إلى التعاسة أو السعادة: وُضعت مفردات التعاسة في الآيات الداخليّة: "**الغضب والسخط والشدّة والضيق**" لمن يعملون الشر (آ ٨-٩)، في حين احتوت الآيات الخارجيّة عبارات المكافأة: "**الحياة الأبديّة والمجد والكرامة والسلام**" لمن يعملون الخير (آ ٧، ١٠). ويُبرز التكرار في آ٩-١٠ شموليّة الحكم "**لكل امريء يعمل الشر**" (آ ٩)؛ كما "**لكل من يعمل الخير**" (آ ١٠)، شمولية تم التأكيد عليها منذ بداية المقطع: "**أيًا كنت**" (آ ١).

اليهودي أولاً، ثم الوثني

من خلال هذه العبارة (١:١٦؛ ٢:٩-١٠)، يعلن بولس إيمانه بسرّ إسرائيل (١١:٢٥) الذي يتوسّع فيه طويلاً في روم ٩-١١. فلقد دُعي إسرائيل أولاً ليبرم عهدًا مع الله، لذا كان أول من توجه اليه الإنجيل؛ ورفضه الحالي لا يُخسره البتة الخيرات التي وعده الله بها طيلة تاريخه. ذلك ان إسرائيل مدعو دوما. وتأتي عبارة "يهوداً ووثنيين" (٣:٩ب؛ ١٠:١٢) لتتذكّر بأن كلّ إنسان مدعو إلى الايمان، بغضّ النظر عن أصله الإتني. فالإيمان وحده هو مقياس التبرير للجميع.

الوحدة الثانية (٢:١٢-١٦): لما كان بولس قد ذكر، مرّتين متتاليتين، الثنائي يهودي/وثني (يوناني)، فقد وجد نفسه مجبرًا على توضيح دور الشريعة، كي لا يترك مجالاً للتهرّب أمام من يعلنون تمسّكهم بها كما بامتياز خاص، لا أمام من يحتجون بجهلهم لها. وهكذا يحمل نص ٢:١٢-١٦ لوناً اسكاتولوجيًا. انه يدرس حالتي الآية ١٢ التي تلعب دور المقدّمة للوحدة: بعضهم خطئوا وهم عارفون الشريعة، وبعضهم خطئوا وهم يجهلونها. ثمّ تأتي الآيات ١٤-١٥ لتقطع تصميم النص؛ فالتتمة المباشرة للآية ١٣ تأتي في الآية ١٦: "**العاملون بالشريعة يبرَّرون... وسيظهر ذلك كلّه يوم يدين الله بيسوع**

المسيح ما خفي من أعمال الناس، كما أُعلن في بشارتي". أما إقحام الايتين ١٤-١٥ في سياق النص، فيهدف إلى جعل أساس الدينونة يبدأ بالشريعة وينتهي بالانجيل، لأن الإنجيل يؤكّد دينونة الله بيسوع المسيح، ولكنّه يسمح أيضًا بتقييم تصرّف هؤلاء واولئك.

نحن هنا بصدد شريعة موسى، وهي دليل حياة إسرائيل. فالمطلوب ليس ان نكون مستمعين للشريعة، بل ان نعمل بها. والحال أن الوثنيين أنفسهم، بالرغم من كونهم بلا شريعة، قادرون على تتميمها، بانقيادهم إلى رغبات قلبهم وضميرهم وفكرهم. يجب ممارسة الشريعة، وكل من يمارسها ينال جزاءه، يهوديًا كان أم وثنيًا. وفي كل الأحوال، يوم الدينونة، ستظهر اعمال الإنسان الخفيّة، وسيحكم عليها بحسب الإنجيل الذي يعلنه بولس. وهكذا حصل تقدّم أكيد مع الإنجيل: فالشريعة تبقى خارجة عن الإنسان، وأعمالها تبقى ظاهريّة، في حين ان الانجيل يطال قلب الإنسان؛ فلا تقتصر ممارسته على مستوى "العمل" و"النظر"، لأنه يكشف أفكار كل إنسان.

يطبّق بولس على الوثنيين، دون أن يسمّيهم (وليس على الوثنيين المسيحيين كما في ١١،١٣؛ ١٥: ٩)، النصوص النبويّة التي كانت تصف تقليديًا الأزمنة المسيحيانيّة، زمن السعادة التي لا تعود فيها الشريعة حقيقة خارجيّة تُفرض على الشعب، لأن كل إنسان سيعرف الرب مباشرة (إر ٣١: ٣٤؛ حز ٣٦: ٢٨). ومن بعد المنفى، سعت الكرازة إلى تذكير إسرائيل بقرب كلمة الله، وحميميتها (أش ٥١: ٧؛ تث ٣٠: ١٤)؛ ورفع التقليد الحكمي من منزلة الحكمة -وقد تماهت مع الشريعة- التي تسكن في وسط الشعب (سي ٢٤: ١، ١١؛ با ٣: ٣٨-٤: ١). فنحن أمام انفتاحٍ على جميع البشر، لأن هذا الخير المُعطى لإسرائيل، انغرس في ما بين البشر.

لقد توصّل التقليد اليهودي، من خلال تأمّله بعلاقة إبراهيم بالشريعة، إلى فهم طابع الشريعة الشمولي. فابراهيم، جد إسرائيل وابوه بامتياز، عاش قرونًا عديدة قبل عطيّة الشريعة في سيناء: هل بقي جاهلاً للوصايا؟ لم يّعُدْ هناك شكٌّ، عشية الحقبة المسيحية، حول هذا السؤال؛ فكان كلّ يهودي يوافق على تأكيد إبن سيراخ (٤٤: ٢٠): "**ابراهيم سلك بحسب شريعة العلي**". وشرح فيلون وبعض التيارات الرؤيويّة هذه المعجزة، بتمييزهم بين الشريعة المكتوبة التي أُعطيت لإسرائيل في سيناء، وبين "الشريعة غير المكتوبة التي كانت لهم (لابراهيم وابنائه)" (رؤيا باروح السريانيّة ٥٧). ذلك أن الله أوحى بها بواسطة الطبيعة. ويضع بولس نفسه في هذا التيار، ولكن يعتبر أن خيرات هذا الوحي تطال كل البشر.

إسرائيل لا ينجو من القاعدة العامة
نظرة إلى الجماعة الحقة (٢:١٧-٢٩)

١٧ فإذا كُنتَ تُدْعى يَهُودِيًّا، وتَعتَمِدُ على الشَّريعة وتَفتَخِرُ باللهِ
١٨ وتَعرِفُ مَشيئَته وتُميِّزُ ما هو الأَفضَلُ بفَضْلِ تَلَقُّنكَ الشَّريعة،
١٩ وتُوقِنُ أَنَّكَ قائِدٌ لِلعُمْيانِ ونُورٌ لِلَّذينَ في الظَّلام
٢٠ ومؤَدِّبٌ لِلجُهَّال ومُعلِّمٌ لِلبُسَطاء، لأَنَّ لَكَ في الشَّريعةِ وَجهَ المَعرِفةِ والحَقيقة...
٢١ أَفَتُعلِّمُ غَيرَكَ ولا تُعلِّمُ نَفْسَكَ؟ أَتَعِظُ بالامتِناعِ عَنِ السَّرِقَةِ وتَسرِق؟
٢٢ أَتَنْهى عنِ الزِّنى وتَزْني؟ أَتَستَقبِحُ الأَصْنامَ وتَنهَبُ مَعابِدَها؟
٢٣ أَتَفتَخِرُ بالشَّريعةِ وتُهينُ اللهَ بمُخالَفَتِكَ لِلشَّريعة؟
٢٤ فقَد ورَدَ في الكِتاب: "*يُجدَّفُ باسمِ اللهِ بَينَ الوَثَنِيِّينَ وأَنتُمُ السَّبَب*".
٢٥ لاشَكَّ أَنَّ في الخِتانِ فائِدة، إِن عَمِلتَ بالشَّريعة، ولكِن إِذا خالَفتَ الشَّريعة صارَ خِتانُكَ قَلَفًا.
٢٦ وإِن كانَ الأَقلَفُ يُراعي أَحكامَ الشَّريعة، أَفَما يُعَدُّ قَلَفُه خِتانًا؟
٢٧ فأَقلَفُ الجَسَدِ الَّذي يَعمَلُ بالشَّريعةِ سَيَدينُكَ أَنتَ الَّذي يُخالِفُ الشَّريعة ومعَه حُروفُ الشَّريعةِ والخِتان.
٢٨ فلَيسَ اليَهودِيُّ بما يَبْدو في الظَّاهِر، ولا الخِتانُ بما يَبْدو في ظاهِرِ الجَسَد،
٢٩ بلِ اليَهودِيُّ هو بما في الباطِن، والخِتانُ خِتانُ القَلْب العائِدُ إِلى الرُّوح، لا إِلى حَرْفِ الشَّريعة. ذاكَ هوَ الرَّجُلُ الَّذي يَنالُ الثَّناءَ مِنَ الله، لا مِنَ النَّاس.

على مدى الآيات ١:١٨-٢:١٦، لا يسمّي بولس الذين يتوجّه إليهم؛ وهو، بتركه مفتوحاً أمر تحديد هويّة الرجال والنساء الذين يصف أعمالهم، يدعو مسيحيي روما إلى اليقظة: بإمكانهم، في كل وقت، أن يتحوّلوا إلى هذا الخاطئ المعروض؛ لأنهم، في طمأنينتهم، لن يكونوا في مأمن من الخطيئة. وفي ٢:٩-١٠، ١٢-١٦، قسم بولس البشريّة إلى فئتين: من هم ظاهريًّا للشريعة، ومن ينقادون للشريعة في حياتهم اليوميّة. وفي ٢:٩-١٠، ١٢-١٦، تحقق بولس من انقسام البشرية إلى صنفين: اولئك الذين هم ظاهريا بدون شريعة، واولئك الذين يستفيدون منها في قيادة حياتهم اليومية. وفي هذا المقطع الثالث (٢:١٧-٢٩) يتوقّف بولس عند وجه خاص من بين الذين اتّهمهم في ٢:١، هو وجه اليهودي. لكنّه في النهاية، يعود إلى علاقة الوثنيين بالشريعة. يتألّف المقطع من وحدتين: ترفض الأولى فساد تصرّفات اليهودي (آ ١٧-٢٤)، وتتساءل الثانية عن هويّة اليهودي الحقيقيّ (آ ٢٥-٢٩).

في ٢:١٧-٢٤، يسائل بولس ذاك اليهودي الذي يمتلك الشريعة، فيدين، على ضوئها، ممارسات الوثنيين. وتذكر الآيات ١٧-٢٣أ كل الألقاب التي يفاخر بها اليهودي، وهي في الحقيقة اتّهام صريح لتصرّفاته. وهكذا يحاول بولس زعزعة ثقة اليهودي المطلقة بالشريعة، مشددا على عدم احترامه لها. فلا يكفي الادعاء بالانتماء للشريعة، بل يجب تتميمها (راجع ٢:١٣). وبالاكثر، فإن المفاخرة بالشريعة والاستقرار فيها، وخرق وصاياها من ثم، يشكّل تحديًا حقيقياً لله، لأن هذا التصرّف يؤدّي بالوثنيين إلى احتقار إله إسرائيل (٢:٢٣ ب-٢٤). وبولس، من خلال الاستشهاد بنصّ أش ٥٢:٥ (بحسب السبعينيّة)، يلتقي موضوعًا نبويًّا، ويحوّره بعض الشيء (أش ٤٨:١١؛ حز ٣٦:٢٠-٢٥؛ ٢٠:٣٩): إسرائيل المسبي، بارتكابه الأخطاء، يشين إسم الله، لا بل ان وجوده بين الأمم يكشف ضعف الهه. لكن الله، يعمل لخير شعبه، بغض النظر عن تصرّفاته، وسيرى الجميع مجد اسمه. لا يتوقّف بولس عند موضوع تشتت إسرائيل كتعبير عن ضعف الله، ولكنّه يعتبر أن تعدّي اليهودي على الشريعة يُثير سخرية الأمم تجاه اله اسرائيل. فالتذكير بالخط النبوي، انما هو ليشجب الادّعاءات اليهوديّة، ويؤكّد بالتالي أنه لا يمكن لليهودي أن يفتخر بأي شيء، بل عليه الثقة بإلهه والعيش بحسب كلمته.

لا ينتقد بولس الشريعة بحد ذاتها، طالما انها تسمح بتمييز ما هو أساسيّ في الحياة (آ ١٨)، شرط أن يُعاش. إلا انه يهاجم، وبعبارات قاسية، من ينسون بأن الشريعة هي هبة من الله، ويستخدمونها لمجدهم، جاعلين من أنفسهم معلّمي الحكمة. مثل هذا الحكم على المعلّمين اليهود، نجده في إنجيل متى (١٥:١٤؛ ٢٣). ان في هذا الهجوم ولا شك وجه مجابهة مع اليهود، ولكنه في الوقت عينه يشكل تحذيراً للمسيحيين انفسهم الذين -وقد استقووا بسماعهم للكلمة- عدّوا أنفسهم أرفع شأنًا، وراحوا ينظرون الى الآخرين نظرة احتقار. هذه النفسيّة المكابرة تسبّبت باضطرابات داخل جماعة روما المسيحيّة.

لا تكفي الشريعة لصنع اليهودي. هذا ما حدا ببولس إلى طرح، في ٢:٢٥-٢٩، موضوع المنفعة من الختان، وهو رمز الشريعة، إضافة إلى موضوع الهويّة اليهوديّة الحقّة. ونجدنا مجددا ازاء مجموعة من التأكيدات السابقة وشرحها. كان بولس قد عرض حتى الآن موقفه من الشريعة، وتفحص تصرّفات اليهودي وافتخاره بهويّته؛ لكنّه لم يتطرّق بعد إلى الختان، وهو الممارسة التي تفصل اسرائيل عن الأمم المحيطة، والتعبير عن الهوية اليهودية ازاء الوثني(١ مك ١:٤٨، ٦٠-٦١؛ ٢:٤٦؛ إلخ...). قد يتلقّى الإنسان الشريعة ولا يطبّقها، لكن الختان هو، بحد ذاته، إنتماء. وردًّا على اتّهامات بولس، كان بوسع اليهودي أن يجد في الختان ملجأ، طالما يمكّنه من الانتماء إلى مجموعة. وان للكلمة اليونانيّة التي

ترجمت إلى "الختان" معاني ثلاثة ممكنة: فهي تعني، إما فعل الختان، وإما حالة المختونين، وإما جماعة المختونين. ولكن في كل الأحوال، لا معنى للختان، إلا إذا حُفِظت الشريعة (راجع إر ٩:٢٤-٢٦)، ولا يمكن ان يقوم بذاته؛ اما فائدته، فهي مرتبطة دومًا بتطبيق الشريعة، كما أوضح بولس ذلك سابقًا. وهنا يلتفت بولس من جديد (راجع ٢:١٤-١٥) نحو الوثنيين (آ ٢٦-٢٧). ومثل هذا الانفتاح يغني برهان الرسول، ويوصله إلى ذروته، ليؤكّد بان الختان، لا فقط ليس ضمانة مطلقة، بل هناك ما هو اكثر: سيتاح لغير المختون أن يحكم على المختون.

ويكثف بولس طرحه بشأن الختان (آ ٢٩)، مستنداً إلى إرميا وإلى تثنية الاشتراع، حيث نرى ان الختانة الحقيقيّة هي ختانة القلب، الختانة التي تؤدّي إلى حياة منسجمة مع كلمة الله: "**اختتنوا للرب وازيلوا قلف قلوبكم يا رجال يهوذا وسكان اورشليم**" (إر ٤:٤)؛ "**اعاقب كل المختونين في اجسادهم...لان كل الامم قلف، وكل بيت اسرائيل غلف القلوب** " (إر ٩:٢٤-٢٥ ب). لقد ميّز إرميا، كما فعل سفر التثنية ايضاً، بين الختانة اللحميّة، وختانة القلب. وكلا السفرين لا يرفضان طقس الختانة بأي وجه من الوجوه، وانما يؤكدان بان الختانة الحقيقيّة تؤدّي إلى التزام الإنسان بكليّته تجاه الله وتجاه كلمته. وسيكون من قبيل الخيال الاعتقاد بأن الإنسان قادر على تحقيق ختانة كهذه؛ انها عمل الله بالذات: "**ويختن الرب الهك قلبك وقلب نسلك، لتحب الرب الهك بكل قلبك وبكل نفسك لكي تحيا**" (تث ٣٠:٦). ولقد بقي هذا الرجاء حيًّا في بعض الجماعات اليهوديّة التي تركت أثرها في بعض النصوص: "سأختن قلوبهم وقلوب نسلهم، وأخلق لهم روحًا قدسًا" (اليوبيلات ١:٢٣).

لكن رغبة ختانة القلب هذه لا تعني بتاتًا نهاية الطقوس. هوذا بولس، فيما يتبين عبارات مرتبطة بهذا الانتظار، يذهب حتى النهاية بانتقاده للأمان المقتصر على الختان الجسدي لا غير. لكنّه، بخلاف الأنبياء، يميّز جذريًّا بين ختانة القلب الحقيقيّة التي "تعود إلى الروح"، وبين ما يعود إلى "حرف الشريعة". ومن هذا المنطلق، يؤكّد بولس أن بإمكان بعض غير المختونين بالجسد أن يكونوا مختونين حقيقيين: تلك حالة الوثنيين الذين يطبّقون وصايا الشريعة. فالختانة التي تجعل من الإنسان يهوديًا، في نظر بولس، هي التي ترتبط بالإنجيل، لأنها من مستوى "الباطن" (آ ٢٩)، والحال، يكشف الإنجيل، يوم الدينونة، "ما خفي من أعمال الناس" (آ ١٦). فالختانة الحقيقيّة، بالتالي، لا تفترض ختانة الجسد، بل هي "**ختانة القلب العائدة إلى الروح، لا إلى حرف الشريعة**" (آ ٢٩).

وبمقدار ما يلتزم الوثني بوصايا الشريعة (آ ٢٦) المكتوبة في قلبه (راجع آ١٥)، فإن قلفه يُعَدُّ ختانة. فالوثني، حتى ولو لم يحصل على شريعة موسى، يستطيع أن يعرف بالفطرة ما تتطلّبه هذه الشريعة من حياة أخلاقيّة. هذه التأكيدات تشكّل قمّة الآيتين١٤-١٥، ومع ذلك يقوم بولس بخطوة إضافيّة. كانت الآيات ١-١٦ من الفصل ٢ قد شدّدت على أن الحكم يعود لله وحده؛ وبالتالي، فان الوثني غير المختون الذي يطبّق الشريعة، يساهم في دينونة اليهودي المختون الذي يكتفي بسماع الشريعة. وهكذا، بعد ان قلب بولس المفاهيم التي أرساها التقليد اليهودي، هوذا يدعو مسيحيي روما إلى فحص ضمير حقيقي: أليسوا مستقرين في ضماناتهم، وغافلين عن الأمانة للإنجيل وعن "المفاجآت" الإلهية؟

- **الروح والحرف.** لا تتعارض شريعة موسى في جوهرها مع الروح، لأن الشريعة مقدّسة (١٢:٧ أ)، وروحيّة (١٤:٧ أ). لكن التعارض بين الحرف والروح، والذي نجده ايضاً في ٦:٧ و ٢ قور ٦:٣ ، يحدّد شكلين، أو بالأحرى مبدأين للحياة. ويأتي هذا التعارض كجزء من سلسلة تضادات: خفي/ظاهر؛ قلب/جسد. وتحدّد الرسالة نظام الغيريّة: فالشريعة كحرف، تُفرض على الإنسان من الخارج، وتبقى متميّزة عنه؛ أما الروح، فإنه، على عكس الحرف، يعبّر عن شراكة، لأنه من باطن الإنسان. لا تملك الشريعة من الديناميّة ما يمكّنها من ان تبلغ إلى التمام، في حين يعطي الروح القوّة لتتميم ما هو خير.

جواب على اعتراضين ناجمين عن تأكيدات بولس (٣: ١ -٨)

٣ ١ فما فَضْلُ اليَهودِيِّ إذًا؟ وما الفائدَةُ في الخِتان؟
٢ هِيَ كَبيرَةٌ مِن كُلِّ وَجْه. وأَوَّلُها أَنَّهمُ ائتُمِنوا على كَلام الله.
٣ فماذا يَكون؟ إن خانَ بَعضُهم أَفَتُبطِلُ خِيانَتُهم أَمانَةَ الله؟
٤ حاشَ لَه! بل صَدَقَ اللهُ وكَذِبَ كُلُّ إِنسان، على حَدِّ ما وَرَدَ في الكِتاب: "*لِكَي تَكونَ بارًّا في كَلامِكَ وتَغلِبَ إِذا حوكِمتَ*" .
٥ ولكِن إِذا كانَ ظُلْمُنا يُبرِزُ برَّ الله، فماذا نَقول؟ أَفَما يَكونُ اللهُ ظالِمًا إِذا أَنزَلَ بنا غَضَبَه؟ وكَلامي هذا كَلامٌ بَشرِيٌّ مَحْض.
٦ مَعاذَ الله! وإِلاَّ فكَيفَ يَدينُ اللهُ العالَم؟
٧ ولكِن إِذا كانَ كَذِبي يَزيدُ ظُهورَ صِدْقِ اللهِ مِن أَجْلِ مَجْدِه، فلِماذا أُدانُ أَنا بَعدَ ذلك كما يُدانُ الخاطِئ؟
٨ ولِماذا لانَفعَلُ الشَّرَّ لِكَي يَأتِيَ منه الخَير، كما يُفتَرى علَينا فَيَزعُمُ بَعضُهم أَنَّنا نَقولُ بِه؟ إِنَّ الحُكمَ على هؤُلاءِ لَعَدْل.

يكرِّر بولس، مرتين، سؤالاً متشابهًا، ولكن بعبارات مختلفة:

- "**فما فضل اليهودي إذاً؟**" (١:٣). يترافق هذا السؤال مع تساؤل حول فائدة الختان (١:٣ ب).
- "**فماذا إذاً؟ هل لنا أي فضل؟**" (آ ٩ أ).

يتعلّق السؤال الأول بأمانة الله، ويشكّل التتمّة المنطقيّة لما أكّده بولس في ٢:٢٥-٢٩. اما السؤال الثاني، وإن بدا وكأنه تكرار للأول، فهو يختلف بتعابيره وبصيغة المتكلّم التي يعتمدها الكاتب، وكأنه في قلب النقاش -وهذا لم يرد في آ ١. ثم يُدخل السؤال الثاني إثباتًا كتابيًا لما يؤكّده بولس (٣:٩-١٨). وهكذا تفتتح الآيتان ١أ و ٩أ مقطعًا جديدًا.

عرض بولس من ١:١٦ إلى ٢:٢٩ بعض خطوط فكرته: الخطيئة شاملة، وجهل الله يؤدّي إلى انحلال أخلاقي عام، مع أن هذه الحالة تثير غضب الله ودينونته، بينما كشف الإنجيل المعلن عن إرادة الله الخلاصيّة. فلا يمكن لشيء ان يعيق عدل الله وعدم محاباته، "**هو الذي يجازي كل واحد بحسب أعماله**" (٢:٦)، طالما ان بوسع الوثنيين أن يعملوا، عفويا، **ما تأمر به الشريعة** (٢:١٤ أ)، فيما يمكن لليهودي، مع أن له الشريعة والختانة، ان يحيا في "**العصيان**"، (٢:٢٧ ب). من هنا كانت مشروعيّة التساؤل إن كان **لليهودي اكثر مما لسائر البشر**، وإن لم يكن من المفيد ان نترك الظلم ينمو في الإنسان، لتظهر عدالة الله بكلّ وهجها، على حد قول المثل: كلما خطئنا كان الغفران أكبر. كان على بولس، وقبل ان يرسي قناعاته حول شموليّة الظلم على الكتب المقدّسة، ان ينكب على دراسة هذين الاعتراضين (٣:١-٨) في وحدتين: تدرس الأولى وضع اليهودي تجاه عدم محاباة الله (آ ١-٤)، تتبعها محاولة لفهم علاقة خطيئة الإنسان بمجّانيّة الخلاص؛ ذلك ان الخطيئة لن تنجو أبدًا من دينونة الله (آ ٥-٨).

أمانة الله (٣:١-٤)

ان نص ٣:١-٤ ، وهو يُشيد بأمانة الله، يتخذ طابعًا في صيغة المجهول. يتساءل بولس حول أفضليّة اليهودي، وقد عمل على زعزعتها على مدى الآيات السابقة. لا شك ان الختانة التي تصنع اليهودي هي ذات فائدة. وبهدف تبرير وجهة نظره، يستند بولس على أمانة الله التي لا يمكن أن تبطل، مؤكداً أن الله ائتمن إسرائيل على **كلامه** (آ ٢ب) إلى الأبد؛ ولكنّه لن يتوسّع في وجهة نظره هذه إلاّ في روم ٩-١١. اما كلام الله، فهو الشرائع والنبؤات التي وكلها الى شعبه، وهي جزء من الامتيازات المذكورة في ٩:٤-٥.

والله لا يسترد ما يعطي، لكن أمانته تتجلّى أيضًا بوجود بقيّة. فالحق يقال، ان بعض أعضاء إسرائيل رفضوا الإيمان، مما يعني أن آخرين قبلوا الإنجيل (٣:٣ ب)؛ إنهم إذًا البقيّة التي انبأ بها أشعيا (أش ١:٩). فبالرغم من خطيئة إسرائيل وخياناته عبر التاريخ، يعتبر أشعيا أنّ وجود البقيّة الملتزمة بالشريعة، يشكّل العلامة على أمانة الله لوعوده وعدم إهماله لشعبه. هذه البقيّة تتمثّل اليوم باليهود المسيحيّين.

إنّ حقيقة الله هي امانته وثباته. فاليهودي يستطيع بحقّ أن يستند إلى الله، صخرته: لأن الله أمين وصلب وقوي وثابت لا يتبدّل، مقابل الإنسان المتغيّر والمتبدّل وغير الثابت. ولقد ظهرت أمانة الله في نبؤاته؛ واما برّه وقوّته، فتجلّيا في اقواله (**حينما تتكلم**). ويُدخل المزمور ٥١:٦ –وقد استعمله بولس بحسب الترجمة السبعينيّة– موضوع البرّ، فربط بالتالي صفات إلهيّة ثلاثاً: الأمانة، والحق، والبرّ. ففي خط داود الذي يُنسب إليه المزمور، يبرز بولس أمانة إله العهد الثابتة، وقد تجلّت أمانته بالرغم من خيانه شعبه. لقد حوّرت السبعينيّة نص المزمور العبري، فأدخلت صورة محاكمةٍ كانت الغلبة فيها لله. وهذه القراءة التي خرجت بها الترجمة السبعينية مكنت من الدخول إلى الوحدة التالية.

برّ الله لا يستدعي ظلم البشر (٣:٥-٨)

في ٣:٥–٨، خاض بولس محاكمة مفترضة ضدّ الله –كان قد قدَّم لها المزمور المثبت في آ٤– وهو يعتذر مسبقًا عن هذه الفرضيّة: "**كلامي هذا كلامٌ بشريٌ محض**" (آ٥ ج؛ راجع ٦:٩). وها هو يستعمل منذ الان ضمير المتكلّم الجمع، أو المفرد، ولن يتساءل من بعد حول وضع اليهودي وحده؛ لأن جماعة روما وكلّ المسيحيين، معنيون بهذا النقاش. لكن هذا لا يعني أن اليهودي هو خارج عن هذا الطرح، كما كانت الآيات ١–٤ باتجاه الشمولية عبر القول: "**كذب كل إنسان**" (آ٤). ومع ذلك، فالمسائل المطروحة تتعلّق بالجماعة المسيحيّة، أولاً، كما يظهر من تكرار بولس لذلك في ١:٦، ١٥. ويتقدّم بولس في عرض فكرته من خلال سلسلة أسئلة. وبواسطة اللعب على المتناقضات المختلفة (بر/ظلم آ٥–٦؛ كذب/حقيقة آ٧–٨)، يتكرّر موضوع واحد يمكن تخليصه كما يلي: إن كانت رحمة الله تظهر جليًا في خطيئة الإنسان وضعفه، أفلا يكون الله ظالمًا إن هو أدان الخاطيء؟ لكن بولس لا يلبث يحذّر من تفسير خاطيء لآرائه، وكأنّ عدم أمانة الإنسان تبرز أمانة الله! ويدحض بولس هذا التفسير على دفعتين متتاليتين (آ ٦أ، ٨ج)، ويهاجم بعنف من يهزأون بإنجيل النعمة الذي يعلنه، معتبرين انه دعوة إلى الكذب والخطيئة. نعم، إن غضب الله ضروري لتجلي برّه: إن خطيء الإنسان، فعلى الله

أن يؤدّبه. وليس بوسع خطيئة الإنسان البتة أن تصبح خيرًا، حتى ولو ان الله قادر على إظهار إرادته الخلاصيّة بالرغم من هذه الخطيئة.

آراء بولس متجذّرة في الكتب (٣: ٩ -١٨)

٩ **فماذا إذًا؟ هل لَنا أَيُّ فَضْل؟ لا فَضْلَ لَنا على الإِطْلاق، فقَد بَرهَنَّا أَنَّ اليَهودَ واليونانِيِّينَ هم كُلُّهم في حُكْمِ الخَطيئة،**
١٠ **فقد وَرَدَ في الكِتاب: "*ما مِن أَحَدٍ بارّ، لا أَحَد*"**
١١ ***ما مِن أَحَدٍ يُدرِك، ما مِن أَحَدٍ يَبتَغي وَجْهَ الله.***
١٢ ***ضَلُّوا جَميعًا فَفَسُدوا معًا. ما مِن أَحَدٍ يَعمَلُ الصَّالِحات لا أَحَد.***
١٣ ***حَناجِرُهُم قُبورٌ مُفَتَّحة، وبِأَلسِنَتِهم يَمكُرون.سَمُّ الأَصْلالِ تَحتَ شِفاهِهِم***
١٤ ***أَفْواهُهم مِلْؤُها اللَّعنَةُ والمَرارة***
١٥ ***أَقدامُهم تُسرِعُ إِلى سَفْكِ الدِّماء***
١٦ ***وعلى طُرُقِهِم دَمارٌ وشَقاء.***
١٧ ***سَبيلَ السَّلامِ لا يَعرِفون***
١٨ ***ولَيسَت مَخافَةُ اللهِ نُصْبَ عُيونِهِم*** "

تفتتح الآية ٩ المقطع بتكرار التساؤل حول الأفضليّة: "**فماذا إذاً؟ هل لنا أي فضل؟ لا فضل لنا على الإطلاق**"! والمعنى الحرفي هو: "أبدًا". ولقد اصابت الترجمة في اداء المعنى، على صعيد النص واللغة، بما ينسجم مع السياق. إلا ان المشكلة هي أن بولس يستعمل ضمير جمع المتكلّم الذي يدلّ، في رسائله، على أكثر من معنى. وجعلت الترجمة المسكونيّة من هذا الضمير دلالة على اليهود، وبولس منهم. أما نحن، فنقترح تفسيرًا مغايرًا. فالـ "نحن" هنا اغتنت بما ورد في الآيات ٥-٨ حول النقاشات المتعلّقة بالجماعة المسيحيّة؛ في حين تطرق بولس، وبشكل عام، إلى موضوع أفضليّة اليهودي في الآيات ١-٤. وهكذا، فإن الـ "نحن" -من دون ان تستبعد اليهود (راجع آ ١٩) المشار إليهم في الكتب، وبولس واحد منهم- تعود اذاً إلى المسيحيين الذين يتساءلون اليوم حول وضعهم: ان الله دعاهم، فهل لهم من ثم أفضليّة على غيرهم؟ وهل هم بالتالي بمأمن من كل خطر؟ لقد توجه بولس بشكل خاص إلى الوثنيين المسيحيين المنغلقين في معتقداهم، لكنّه ذكّر المسيحيين، سواء كانوا من أصول يهوديّة أم من أصول وثنيّة، بأن وضعهم لا يمنحهم أيّة أفضليّة، مهما فعلوا.

ويلخّص بولس رأيه السابق، موضحًا بأن كل إنسان، مهما كان أصله، خاضع للخطيئة. في الواقع، كان بعض المسيحيين في روما قد نسوا ما يربط الجماعة المسيحية بشعب الله، ونسوا أن هذا الشعب هو "الأخ البكر"، بصفته أول المدعوين. وهكذا، فبإبرازه أمانة الله تجاه اليهود، وضع بولس النقاط على الحروف؛ ورجّع الكرة إلى ملعب مسيحيي روما الذين قد يتبجحون بأمانة الله تجاههم، ظانّين ان ليس عليهم أن يخشوا شيئًا طالما أنهم مدعوون وأن الله أمين، فينغلقون في قناعاتهم. هذا ما يرفضه بولس، مع اعترافه بما في وجهة النظر هذه من حقيقة؛ لكنه استنادًا إلى ما حدث لاسرائيل، يؤكّد أنه لا يمكن للمسيحي أن يدّعي الحصول، باية حال، على أية أفضليّة.

ولتأكيد صحة رأيه، يستعين القديس بولس بمجموعة نصوص غالبيّتها من المزامير، بعد أن كان قد توسّع فيها، في ١:١٨-٣٢، في معرض كلامه عن الفساد الشامل وغياب الأبرار. وتتوجّه مجموعة الاستشهادات البيبليّة هذه إلى اليهود كما إلى الوثنيين (آ ٩ب)، وهذا ما تؤكّده الآيات ١٩-٢٠. فبولس يطبّق نصوص العهد القديم على وضع كل إنسان: "**ما من أحد بار، لا أحد، ما من أحد يُدرك، ما من أحد يبتغي وجه الله... ما من أحد يعمل الصالحات، لا أحد**" (٣: ١٠ج-١٢). وان عودة بولس إلى العهد القديم، تُجذِّرُهُ في تقليد شعب الله؛ فأفكاره حول شموليّة الخطيئة، وخاصة خطيئة إسرائيل التي يمكن أن تكون مفاجئة لنا، تبقى بالحقيقة في خط التقليد. وهكذا نجدنا بازاء سبعة نصوص كتابيّة تسهم في إقامة الدليل. لو كنا بصدد معلّمي إسرائيل، لقدّموا كلّ نص بعبارة خاصة؛ أما بولس فاستعمل عبارة واحدة كمقدّمة لكلّ المجموعة: " ورد في الكتاب"، وذلك ليؤكّد بأن الكلمات المرتبطة بأحداث الماضي تحتفظ بدلالات لحاضرنا.

الآية ١٠ب تستعير نص جا ٢٠:٣، وهو يلخّص جيدا معنى المزمور ١٤:١-٣ الذي تستوحي منه الآيتان ١١-١٢ بحسب الترجمة السبعينيّة (نجد النص عينه في مز ٥٣:٢-٤). اما الآية ١٣، فتجمع بين مز ٥:١٠ و مز ١٤٠:٤ ب. فيما استعارت آ ١٤من المزمور ١٠:٧ بحسب الترجمة السبعينيّة، مع بعض التعديلات؛ كما تعدّل آ ١٥-١٧ كثيرا ما جاء في أش ٥٩:٧-٨؛ اما المرجع الأخير، فهو من مز ٣٦:٢. وإذا كان أشعيا ٥٩:٧-٨ قد أدان خطايا إسرائيل، ففي المزامير التي يستشهد بها بولس، نرى البار يذكر تصرّفات الفاسدين، ويطلب من الله الخلاص منها. هكذا يعمّم بولس على كلّ البشر، ما كان يتعلّق في الأصل بالفاسدين من شعب الله، بافتراض بارٍ واحد يتلو الصلاة. هذه النصوص الكتابيّة المستلّة من العهد القديم، تحمل رجاء أكيداً، مفاده أن البار لا يكتفي بشجب تصرّفات الشرير، بل يعبّر ايضًا عن انتظاره النجاة. فالنظرة السلبيّة تشكّل عند القديس

بولس مقدّمة للرجاء، لكنّها تبرز أيضًا ضرورة التدخّل الإلهي الحاسم. وهكـذا يكـون بولس قد رسم لوحة دراميّة أخيرة، بانتظار إعلان النجاة المحققة ابتداء من ٣ :٢١.

كان بولس قد اعترف، في ٢ :١٤-١٥، ٢٦-٢٧، بقدرة الوثني على تتميـم الشريعة. وهو، بعودته إلى المزامير، يقرّ ضمنياً بوجود الأبرار في إسرائيل. ولكن، كـل إنسان بحاجة إلى تجلي العدل الإلهي في هذه الأزمنة الجديدة. فليس بوسع اليهود إذًا، ولا الجماعة المسيحيّة، أن يدّعوا امتلاك ضمانات، مع أنهم لم يحرَموا من الخيرات؛ ذلـك ان تجلي البرّ الإلهي يفتتح أزمنة التبرير؛ لكن الخطر هنا ما زال حاضرًا في الافق، حين يتعرض الإنسان إلى عدم التجاوب مع عطيّة الله الذي يدعوه للعيش بالقداسة، وبحسب البر.

خاتمة (٣ :١٩ -٢٠)

١٩ **وإنَّنا نَعلَمُ أَنَّ كُلَّ ما تَقولُه الشَّريعة إنَّما تَقولُه لِلَّذينَ هم في حُكْمِ الشَّريعة، لِكَي يُخرَسَ كُلُّ لِسان ولِكَي يُعرَفَ العالَمُ كُلُّه مُذنِبًا عِندَ الله.**
٢٠ **فلِذلِكَ لَن يُبرَّرَ عِندَه أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ إِذا عَمِلَ بِحَسَبِ الشَّريعة، فما الشَّريعةُ إلاَّ سَـبيلٌ إِلى مَعرِفَةِ الخَطيئَة.**

تلعب الخاتمة دورًا مزدوجًا. فهي تلخّص الطروحـات الـواردة في ٣ :٩-١٨، وتختتم في الوقت عينه فكرة بولس حول شموليّة العصيان(١ :١٨-٣ :١٨). وبولس، بعد أن جمع نصًا كتابيًا يخدم برهانه، لم تعد لديه صعوبة في استخراج خلاصة تختتم النقاش وفق المعنى المقصود. ذلك ان الكتب لا تترك مجالاً لأي تردد: كل البشر، بمـا فـيهم اليهود، يحتاجون إلى عطيّة برّ الله، نظرًا لفشل مسعاهم الخاص. وحيث كان بالامكان ان نجد أبراراً، لا نجد منهم واحداً، كما ما تبيّنه الشريعة (آ ١٩). فالشريعة هي مجموعة الاسفار، وان كان بولس قد استشهد بالمزامير بدرجة اولى: وهي الشريعة بالمعنى الواسع للكلمة. صحيح أن الكتب تتوجّه إلى اليهود، لكن الدينونة تشمل كلّ إنسان (آ ٢٠)، كما توحي به المقدّمة (آ ٩).

ونجد في آ ٢٠ شاهداً من مز ١٤٣ :٢ "**لا يبرَّر بشر أمامه**"، يضيف إليه بولس عبارة "**بأحكام الشريعة**" (وهي عبارة نجدها في ٣ :٢٨؛ غـل ٢ :١٦ إلخ...) فنقـرأ: "**العمل بأحكام الشريعة لا يبرّر أحدًا عند الله، لأن الشريعة هي لمعرفة الخطيئـة**". وهكذا يأتي الاعتراف بالخطيئة الشاملة، في خط روحانيّة المنشقّين في قمـران الـذين

يعترفون بانتمائهم إلى إنسانيّة فاسدة، يُسيطر عليها الكفر والعصيان والخطيئة (قانون ١١:٩-١٢)، لكنّهم، بخلاف بولس، يظنّون أن الله فصلهم نهائيًا عن كل البشر. وهكذا فإن العودة إلى مز ١٤٣ ليست نتيجة للتحليل السابق، بل أساسه.

العودة إلى الكتب

مشنا ومدراش

ينطلق فكر بولس، من الاعتراف بالخلاص الذي يقدّمه المسيح القائم من الموت لكل إنسان. هي قناعة إيمانيّة تقود إلى التأكيد بأن كلّ إنسان بحاجة إلى المسيح، وبأن الخطيئة شاملة. ويبرز الرسول إذاً نصوصًا كتابية يجمعها في خط تأكيداته، مبيّنا أن الكتب لا تعارض ما يؤكّده. اما طريقته، فليست جديدة، لأن العهد الجديد برمته يستعين بالكتب بالطريقة عينها. قد تُدهشنا أحياناً هذه الاستعمالات، لكنها في الواقع تتبع منطق التفسير الرابيني، حيث يؤكّد المعلّم قناعات الشريعة (مشنا)، ثم يُظهِر، بواسطة بحث كتابي دقيق (مدراش)، أن الكتب، إن فُهِمَت على حقيقتها، لا تعارض القناعة الإيمانية المطروحة.

مقدّمة الشواهد الكتابية

يقدّم بولس النصوص الكتابية بعبارات مختلفة: "يقول الكتاب؛ يقول داود؛ قيل"، لكنه يستعمل في غالبية الأحيان: "كما كُتِبَ" (روم ١: ١٧؛ ٢: ٢٤؛ ٣: ٤؛ ٣: ١٠)، وهي صيغة تحترم الحدث الماضي: كُتِبَ في الماضي في ظروف معيّنة، وفي الوقت عينه، يبقى لهذه الكلمة معنى اليوم.

القسم الثاني

برّ الله
(٣: ٢١ - ٤: ٢٥)

بولس، بعد ان اكد على شمولية خطيئة الإنسان واستحالة تحقيق التبرير بأعمال الشريعة، هوذا ينتقل إلى الوجه الثاني من اللوحة: عطية برّ الله (٣: ٢١–٣١). وفي هذا الصدد، يهتم كثيرا بإبراز الأسس الكتابية لهذه العطية (٤: ١–٢٥).

الطرح: البرّ بالإيمان بيسوع المسيح (٣: ٢١ -٣١).

٢١ أَمَّا الآن فقَد أُظهِرَ برُّ اللّهِ بمَعزِلٍ عنِ الشَّريعة، تَشهَدُ لَه الشَّريعةُ والأَنبياء،
٢٢ هو برُّ الله وطَريقُه الإِيمانُ بيَسوعَ المسيح، لِجَميعِ الَّذينَ آمَنوا، لا فَرْق.
٢٣ ذلِكَ بأَنَّ جَميعَ النَّاسِ قد خَطِئُوا فحُرِموا مَجْدَ الله،
٢٤ ولكِنَّهم بُرِّروا مَجَّانًا بنعمَتِه، بحُكمِ الفِداءِ الَّذي تَمَّ في المَسيحِ يَسوع،
٢٥ ذاكَ الَّذي جَعلَه اللهُ كَفَّارةً في دَمِه بِالإِيمانِ لِيُظهِرَ بِرَّه، بإِغْضائِه عنِ الخَطايا الماضِيَةِ في حِلمِه تَعالى،
٢٦ لِيُظهِرَ برَّه في الزَّمَنِ الحاضِرِ فيَكونَ هو بارًّا وُيبَرِّرَ من كانَ مِن أَهلِ الإِيمانِ بيَسوع.
٢٧ فأَينَ السَّبيلُ إِلى الافتِخار؟ لا مَجالَ لَه. وبأَيِّ شَريعة؟ أَبِشَريعةِ الأَعمال؟ لا، بل بِشَريعةِ الإِيمان
٢٨ ونَحنُ نَرى أَنَّ الإِنسانَ يُبَرَّرُ بالإِيمانِ بمَعزِلٍ عن أَعمالِ الشَّريعة.
٢٩ أَوَ يَكونُ اللهُ إِلهَ اليَهودِ وَحْدَهم؟ أَما هو إِلهُ الوَثَنِيِّينَ أَيضاً؟ بَلى، هو إِلهُ الوَثَنِيِّينَ أيضاً،
٣٠ لأَنَّ اللهَ أَحَد، بالإِيمانِ يُبَرِّرُ المَخْتون وبالإِيمانِ يُبَرِّرُ الأَقلَف.
٣١ أَفنُبطِلُ الشَّريعةَ بِالإِيمان؟ مَعاذَ الله ! بل نُثبِتُ الشَّريعة .

غالباً ما اعتُبر هذا المقطع، المُحدّد بوضوح تامّ، مفتاحًا لانجيل بولس. وهو يشكّل مفارقة مع القسم السابق الذي انتهى باستنتاجٍ كتابي مفاده أن "**العمل بالشريعة لا يبرّر أحدًا عند الله**" (٣: ٢٠). كما يتعارض مباشرةً مع ١: ١٨-٣٢ و٣: ٩-١٨، حيث تم التأكيد على شمولية الخطيئة. ففيه يقدّم بولس برّ الله، ويبحث في الروابط بين برّ الله والشريعة (آ ٢١، ٣١) والإيمان (آ ٢٢، ٣٠). ويبدأ المقطع باستبعاد الشريعة قبل أن يعيد إليها اعتبارها في النهاية. فالبرّ، ليس بالحقيقة مكافأة يقدّمها الله لمن يحفظ الشريعة، بل هو عطية يقبلها الإنسان بالإيمان. وهذا المفهوم بصدد عطية البر ينسجم، بنظر بولس، مع تقليد العهد القديم الذي يربط بين برّ الله والإيمان.

الآيتان ٢١ و٢٧، وهما في شكل بناء متوازٍ، تشكلاّن كلتاهما وحدة متكاملة. وبسبب طابع الشريعة الشمولي، فقد تتعارض الشريعةُ مع الإيمان، أو يتكاملان لتبرير الإنسان (آ ٢١-٢٦). ويرسم الرسول في آ ٢٤ب – ٢٥، لوحة كريستولوجية أولى تقابلها لوحة أخرى في ٤: ٢٤-٢٥؛ أمّا في الوحدة الثانية (آ ٢٧-٣١)، فيبرز التعارض القائم بين الأعمال والإيمان، ويستبعد كلّ إمكانية للافتخار بالذات.

يعرض بولس، في ٣: ٢١-٢٦، ميزات برّ الله الذي يفتح الأزمنة الجديدة (اليوم). ذلك ان برّ الله، وقد تجلّى مرّة واحدة ووحيدة، في موت المسيح وقيامته، بصفتهما مصدر الخلاص، ينتج مفاعيل دائمة. وهذا ما تشهد له الشريعة (أي التوراة، وبالمعنى الحصري كتب الشريعة الخمسة)، والأنبياء (وهو ما سيظهره بولس في روم ٤). إن بوسع إيمان يسوع المسيح (**راجع الاطار في الغلاطيين: "ايمان يسوع المسيح"**) وطاعته، وليس الشريعة، ان يحقّقا البرّ، وهذا البرّ يُعطى لكل انسان دون استثناء. وهكذا، مع الامانة على تقليد اسرائيل، يبقى الإيمان منذ الآن المبدأ الإلهي الوحيد.

إن العبارة المتعلّقة بالتبرير (آ ٢٣-٢٦) سابقة لبولس، ومن هنا كانت تلك المفردات غير المألوفة؛ ويُعتقد ان بولس اعاد صياغتها، مما يفسّر الثقل في النص، وبوسعنا ان نلاحظ انقطاعًا بين آ ٢٣ وآ ٢٤. والعبارة هي ليتورجية بالتأكيد، وفيها يشدّد الرسول على المجّانية ("**بنعمته**"، آ ٢٤)، وعلى الإيمان ("**لكلّ من يؤمن به**"، آ ٢٥)، وعلى آنيّة البرّ الذي، مع أنه من الخيرات الاسكاتولوجية، أُعطي منذ الآن ("**فهو في الزمن الحاضر يُظهر برّه ليكون باراً**" ، آ ٢٦). ومفردات "الآن" أو "الزمن الحاضر" أساسية في فكر بولس، إذ يعبّر من خلالها عن بداية الأزمنة الجديدة (٥: ٩، ١١؛ ٦: ١٩، ٢١، ٢٢ الخ...).

وتصف الآيتان ٢٣-٢٤ حالة الإنسان. تلخّص الآية ٢٣، بشكل مقتضب، ما ورد من برهان في ١:١٨ – ٣:٢٠: "كلّهم خطئوا"، وتضيف موضوعًا عزيزاً على بعض

التيارات اليهوديّة في القرن الأول: "الإنسان حُرم مجد الله". فقد كان آدم في الجنّة يتمتّع بالمجد، لكنّه خسره بعد الخطيئة الأصليّة (حياة آدم وحواء اليونانيّة ٢٠:١-٢؛ ٢١:٢-٦). ولما كان المجد مُعدًّا للمختارين، اصبح، بحسب الكتب الرؤيويّة، أحد الخيرات المسيحانيّة: إن النفوس التي تبعت طرق العلي "تعرف الراحة التي تتمتّع بها الآن، وهي مجتمعة في مساكنها، تحرسها الملائكة بصمت عميق، إضافة إلى المجد الذي ينتظرها في الأزمنة الأخيرة" (عزرا الرابع ٩٥:٧؛ راجع دا ٣:١٢). ففي نظر بولس، المجد هو نعمة مستقبليّة (١ قور ٤٣:١٥؛ روم ٢:٥؛ ١٨:٨، ٢١)، ومع ذلك، فإن المسيحيّين يعكسون، منذ الآن، مجد الرب، وقد انعكست فيهم :"**تلك الصورة ذاتها، وهي تزداد مجدًا على مجد**" (٢ قور ١٨:٣؛ راجع روم ٣٠:٨).

والتبرير الذي هو عمل جودة الله وحدها ("**الله برّرهم مجانًا بنعمته**")، يتجسّد "**بالمسيح يسوع الذي افتداهم**" (آ ٢٤). وهكذا فان عبارة "الفداء" أو "الخلاص" هي ذاتها التي استخدمت لوصف حدث الخروج من مصر ولسائر أعمال التحرير التي صنعها الله لشعبه (من مصر، من بابل، ومن الخطيئة أيضًا). لقد كانت تلك الأعمال الخلاصيّة مخصّصة لاسرائيل ومؤقتة؛ أما الخلاص الاسكاتولوجي الوحيد الذي حقّقه المسيح، فهو نهائي ولكلّ البشر، إنه خلاص يشمل الإنسان كله. وتشكّل الآيتان ٢٥-٢٦ب، طرحا فريداً ونسبياً يمكن ترجمتهما حرفيًّا: "**بالفداء [المحقّق] بيسوع المسيح" الذي جعله الله كفّارة** (hilastêrion)**، بالإيمان بدمه، ليُظهر برّه، لأنه تغاضى عن قصاص الخطايا الماضية في زمن صبره، ليُظهر برّه في الزمن الحاضر...**" (dia tên paresin) (آ ٢٤ب – ٢٦).

ودور المسيح في التحرير من الخطايا يشبه دور الكفّارة، وهو ذاك الإناء من الذهب، الموضوع على تابوت العهد، مكان لقاء الله بشعبه. كان هذا الإناء، في يوم الغفران العظيم، يُنضح بدماء الذبائح، لكي تُعاد الشراكة بين الله وشعبه (اح ١٦). فالدم يجعل الحلّ من الخطايا ممكنا، لأنّه يعبّر عن الحياة (اح ١١:١٧). لقد كان هذا الطقس المركزي في الديانة اليهوديّة، يتجدّد كلّ سنة، وهنا يكمن ضعفه. فمفعوله يقتصر على الشعب اليهودي وحده، دون أن يستأصل خطيئته نهائيًّا. أما الآن فقد تحقّق التكفير الحقيقي. وبولس، كي يصف "**زمن الصبر**" الذي اهتمّ فيه الله بشعبه بالرغم من خطاياه، لجأ إلى كلمة الـ paresis (القصاص، الكفّارة) وهي عبارة تعني حرفيًّا: تغاضي، غفران، خلاص. ويتفادى الرسول أي عبارة تسمح بالاعتقاد أن غفران الخطايا كان ممكنًا في زمن الصبر. فعلى مدى تاريخ الشعب اليهودي، لم يكن من الممكن ان نجد سوى إعلان واحد

عن غفران حقيقي. إن برّ الله هو هو، ظهر في زمن الصبر، وظهر اليوم، ولكن بأشكال مختلفة. وهكذا أظهر الله برّه بتبريره الإنسان (آ ٢٦ ج).

مفاعيل موت المسيح

لكي يعبّر عن مفاعيل موت المسيح المحرِّرة، يستعمل بولس عبارات من مصادر مختلفة، فيستعين بتقاليد كتابيّة متنوّعة:

- **التبرير: يقوم على المجانيّة، والتواصل القائم بين الله والبشر. في العبارة طابع قانوني، كما هو الأمر فيما يخصّ المصالحة التي تعني استعادة التوافق.**
- **النجاة: تنطوي على وجود رابط شخصي بين من يحرِّر والمحرَّرين، مع ما يتضمنه الفعل من ثقل؛ إضافة إلى المستوى التاريخي المتمثّل بالنجاة من مصر، ومن بابل.**
- **النجاة من الخطيئة تفتح المجال أمام فكرة الغفران الذي يعبّر عن إرادة الله في خلاص الإنسان، كل الإنسان. فالإنسان مخلَّص لأن خطاياه مغفورة، وهكذا يكتشف الخاطئ بالتالي علاقة جديدة مع الآخر.**
- **وبالترابط مع طقس الغفران العظيم، الذي كان يبدو كصورة رمزيّة له، يعبِّر فداء المسيح عن الطابع الذبائحي والليتورجي. ذلك ان المسيح افتتح زمنًا جديدًا في العلاقات بين الله والمؤمنين.**

وكما فعل بولس في ٣:٥-٨، هوذا يتقدّم في تفكيره من خلال سلسلة تساؤلات على مدى ٣:٢٧-٣١. وتشكّل المجانيّة ووحدة الله مبادئ الشراكة في حياة الجماعة. فالله الواحد يبرِّر اليهود والوثنيّين بالطريقة عينها، مختونين كانوا ام غير مختونين. وعدم محاباة الله تفترض نوعًا واحدًا من التبرير لليهود والوثنيين معا؛ ولا طريقة مناسبة لتبرير المجموعتين سوى الإيمان. ونجدنا للحال بازاء نظامين: يرتكز الأول على الأعمال، فيما يرتكز الثاني على الإيمان. ويبرز بولس مفارقة بينهما بشكل حاد، حتى انه وضع (شريعة) الأعمال وشريعة الإيمان (آ ٢٧) في تضاد متواز. وترجم لوثر آ ٢٨، وبطريقة مشروعة، كالتالي: "نعتبر أن الإنسان تبرَّر بالإيمان **فقط**." ومع أن إضافة عبارة "فقط" تسبّبت بجدالات عديدة في بدايات زمن الإصلاح، إلا إنها ضرورية لفهم الآية. ويصف بولس التبرير بالإيمان في آ ٢١-٢٦ بشكل عام، فلا يستعمل أية إشارة توضيحيّة؛ لكنه، في آ ٢٧-٣١، يلتزم موقف الشراكة مع المسيحيين بقوله "**نحن نعتقد**" (آ ٢٨). فلكي

يؤكّد أن المختونين يبرَّرون بالإيمان (آ ٣٠)، يستعمل الرسول جملة تعبّر عن الأصل (ek=لان)، مشيرًا بذلك إلى عدم وجود طريقة أخرى لتبرير جماعة المختونين. ويعرف بولس جيدًا الأساليب الكلاسيكيّة: لا يكفي اطلاق تأكيدات إيمانيّة، بل يجب إسنادها إلى الكتب المقدسة. هذا ما سيفعله في الفصل التالي، عندما يذكّر بأن ما يحدث في النظام المسيحي يدعم الشريعة في معناها الصحيح، وأن شريعة الإيمان المُعلَنة في آ ٢٦ تؤيد بالتالي شريعة موسى (آ ٣١).

البر، برّر...

العبارات المتأتّية من مجموعة "بر، برَّر، بار، تبرير" وردت، في الرسالة إلى الرومانيين، ٦٢ مرة، من أصل ٩٨ استعمالاً في الرسائل السبعة التي ليس هناك شك حول أصالتها البولسيّة (روم؛ ١و٢ قور؛ غل، ١ تس؛ فل؛ ف). لا ترتبط ولا شك أهميّة موضوع ما، بعدد استعمالات مفرداته وحسب، ومع ذلك فان موضوع البر/التبرير مهم جدًا في الكتابات البولسيّة، وخاصة في روم ١ -٤.

فطالما شكّل موضوع التبرير، أو الانتقال من الخطيئة إلى الحياة المسيحيّة، ومن الظلم إلى النعمة، مسألة ساخنة في زمن الإصلاح والقرون التي تلته، مما زاد من حدّة الجدالات بين المصلِحين والكاثوليك. أما اليوم، فقد أصبح النقاش أكثر هدوءًا، وأصبح كل طرف مستعدا للاعتراف بأن "الخلاص، بما فيه جواب إيماننا، هو كله من الله " (L. BOUYER).

أوقات ثلاثة في الحياة المسيحيّة

تبرير

"بر الله" (روم ١:١٧؛ ٣:٥، ٢١، ٢٢)، عبارة لا تعبّر عن مبدأ المساواة مهما كان هذا المبدأ مهمًا، بل هي تعبير عن إرادة الله الخلاصيّة تجاه البشر؛ إنه برّ ينعش العهد، وهو عطية. البر هو من صفات الله، يعطيه للبشر عندما يبرِّر الخاطئ، وحين ينقله من الخطيئة إلى حياة يقودها الروح. ويكشف الإنجيل عن برّ لله، أي عن إرادته في خلاص البشر، كما يكشف أيضًا عن غضبه تجاه من يرفض الدعوة إلى التوبة. في بداية الرسالة إلى الرومانيين، وانسجاماً مع الكرازة المسيحيّة الأولى باتجاه الوثنيين (١ تس ١:١٠)، يربط بولس بين صفات الله هذه التي كان العهد القديم

قد سبق أن ربط بينها(صف ١:٣ -١٠). فلم يعد بر الله موضوع رجاء بعد الآن، لأنه أعطي للبشر؛ لقد كان الإنسان، بسبب خطيئته، خاضعاً لغضب الله (١:١٨)، لكن الله بـرّره مجانًا، دون أي عمل من قِبَله. فبالإيمان يخضع الإنسان لله بكل تواضع (٣:٢٨). أما برّ الله فقد ظهر مرة واحدة ووحيدة، بموت المسيح وقيامته من الأموات.

تقديس

البر، إذا قبله الانسان بالإيمان، يخلق فيه حياة جديدة يقودها الروح؛ وعلى الإنسان أن ينقاد له (٨:١٤)، ليفهم ويحقق ما صار عليه بقبوله الروح. وهكذا يرفع الإنسان، على مدى حياته، المجد لله. إنه مقدَّس منذ الآن.

خلاص

تبقى مرحلة أخيرة يجب تتميمها، هي مرحلة الخلاص، يقدّمها بولس في كتاباته، في جوّ من التوتّر: فالخلاص مُعطى منذ الآن، لكنّه في الوقت عينه موضوع رجاء (٨:٢٤). ويخلط بولس، على طريقة الرؤى، بين الحاضر والمستقبل؛ ذلك ان يقين الخلاص يتأتّى، برأيه، من محبّة الله للبشر (٥:٥)، ومن تشفّع المسيح لصالح كل البشر (٨:٣٠ -٣٩)، لكنه يذكّر في الوقت عينه أن الله سيعطي كلا بحسب أعماله. ويبقى الرابط بين التبرير الأصلي الذي منحه الله، وبين الدينونة النهائيّة، موضوع جدال بين اللاهوتيين.

منذ دعوة ابراهيم تحقّق التبرير بالإيمان.

بولس لا يقول سوى ما تقوله الشريعة (٤:١–٢٥).

يقترح بولس في روم ٤، شرحًا لبعض نصوص سفر التكوين التي تشيد بابراهيم. انه يرسم له صورة على ضوء قناعاته الخاصة. فالاعلان عن تبرير الإنسان بالإيمان، "في هذا الزمن الحاضر"، هو تمامًا ما تؤكّده الكتب. ذلك ان تبرير ابراهيم مرتبط بإيمانه وليس بأعماله (٤:٣)، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجماعة المسيحيّة (٤:٢٤). وان العودة إلى تك ١٥:٦ (في روم ٤:٣، ٩، ٢٢)، تؤمّن الاستمراريّة بين ابراهيم ونسله. وتظهر وحدة هذا الفصل واضحة من خلال ثلاث مجموعات من الكلمات: **برّ** (٨ مرّات)، **برّر** (مرّتان)، **تبرير** (مرة)، **إيمان** (١٠ مرات)، **آمن** (٦ مرات)، **حَسِبَ** (١١ مرة من أصل ١٩ في روم). ونظرًا إلى شواهد الكتاب المقدّس، والمفردات التي يستعملها بولس، يمكننا أن نقسم

روم ٤ إلى مقطعين: في المقطع الأول (آ ١-١٢) يحدِّد بولس حالة ابراهيم وما يربطه بالمختونين وغير المختونين؛ وابتداء من آ ١٣ تظهر مواضيع الوعود والميراث والنسل، استنادًا إلى تك ١٧:٥. ويأتي التأمّل في الوعد، وفي الله الذي ينقل من الموت إلى الحياة (آ ١٣-٢٥)، ليبرّر تطبيق النصوص المتعلّقة بابراهيم على الجماعة المسيحيّة.

ابراهيم أبو المؤمنين جميعًا، مختونين وغير مختونين (٤:١ -١٢).

٤ ١ **فماذا نَقولُ في جَدِّنا إبراهيم؟ ماذا نالَ مِن جِهَةِ الجَسَد؟**
٢ **فلَو نالَ إبراهيمُ البرَّ بالأَعمال لَكانَ لَه سَبيلٌ إلى الافتِخار بذلك، ولكِن لَيسَ عِندَ الله.**
٣ **فماذا يَقولُ الكِتاب؟ "*إنَّ إبراهيمَ آمَنَ بالله فحُسِبَ لَه ذلكَ بِرًّا*" .**
٤ **فَمن قامَ بعَمَل، لا تُحسَبُ أُجرَتُه نعمَةً بل حَقا،**
٥ **في حِينِ أَنَّ الَّذي لا يَقومُ بعَمَل، بل يُؤمِنُ بمَن يُبَرِّرُ الكافِر، فإيمانُه يُحسَبُ برّاً.**
٦ **وهكذا يُشيدُ داوُدُ بسَعادةِ الإنسانِ الَّذي يَنسبُ اللهُ إليه البرَّ بِمَعزِلٍ عنِ الأَعمال :**
٧ **"*طُوبى لِلَّذينَ غُفِيَ عَن آثامِهِم وغُفِرَت لَهم خَطاياهُم !*"**
٨ ***طُوبى لِلرَّجُلِ الَّذي لا يُحاسِبُه الرَّبُّ بخَطيئة*" .**
٩ **أَفهذِه الطُّوبى لِلمَخْتونينَ فَقَط أَم لِلقُلْفِ أَيضاً؟ فإنَّنا نَقول : *إنَّ الإيمانَ حُسبَ لإبراهيمَ بِرًّا*،**
١٠ **ولكِن كَيفَ حُسبَ لهُ؟ أَفي الخِتانِ أَم في القَلَف ؟ لا في الخِتان، بَل في القَلَف،**
١١ **وقَد تَلَقَّى سِمَةَ الخِتان خاتَماً لِلبرِّ الَّذي يأتي من الإيمانِ وهو أَقْلَف، فأَصبَحَ أَباً لِجَميعِ المُؤمِنينَ الَّذينَ في القَلَف، لِكي يُنسَبَ إليهِم البرّ،**
١٢ **وأَباً لأَهلِ الخِتانِ الَّذينَ لَيسوا مِن أَهلِ الخِتانِ فَحَسْبُ، بل يَقتَفونَ أَيضاً آثارَ الإيمانِ الَّذي كانَ عَليه أبونا إبراهيمُ وهو في القَلَف**

في الآية الأولى نقرأ آية مغايرة موروثَة من الترجمة البسيطة (الفولكاتا) (الترجمة اللاتينيّة للقديس هيرونيمس في القرن الرابع): "**ماذا نقول في ابراهيم أبينا بحسب الجسد وما حصل له؟**". لا تعود عبارة "بحسب الجسد" إلى "أبينا" بل إلى الفعل "حصل". فالترجمتان اللاتينيّة والسريانيّة ترفعان الصعوبة من نص يصف ابراهيم بـ "**أبينا بحسب الجسد**" (من عرقِنا). في الحقيقة، ابراهيم هو أب كل المؤمنين، بحسب الرسول بولس، لذا فهو يربطه، في هذه الآية، باليهود المسيحيين. لكن بولُس، عمليًّا، بإظهاره الرابط بحسب الجسد بين ابراهيم واليهود المسيحيين، فهو انما يرسل إشارة باتجاههم؛ ثمّ إنه يُدخل بذلك مفارقة بين شكلين من القرابة: القرابة الأولى هي النسل البعيد (جدّنا) والتي لا تغني بأي

شكل من الأشكال عن القرابة الأهم، أي التي تولد من التبرير بالإيمان، وبحكم الوعد. فاليهود المسيحيون مدعوون للاعتراف بأن ابراهيم هو "أبوهم" (آ ١٢)، وليس مجرّد جدّهم الأول. والتمييز بين الجدّ بحسب الجسد وبين الأب، حاضر في اليهوديّة التي لا تتردّد بالقول أن "من يعمل الرحمة هو ابن ابراهيم، ومن لا يعملها ليس إبنًا له" (J. Lambrecht). وبولس، بضمّه المسيحيين في طرحه، يعود إلى خبرة ابراهيم ذاتها.

بعد هذه الآية الافتتاحيّة، يتضمن المقطع وحدتين: تدرس الاولى (آ٢-٨) سبب تبرير ابراهيم؛ وتتوقّف الثانية (آ٩-١٢) عند زمن التبرير، بهدف تحديد مكانة المختونين وغير المختونين من ابراهيم، علمًا بأن كلتاهما تتمحوران حول تكوين ١٥:٦.

في ٤:٢-٨ يضع بولس تضادا بين نوعين من التبرير، تبرير هو نتيجة الأعمال، وتبرير آخر هو نتيجة الإيمان؛ لكن وجود النوع الأول لا يعطي مبرِّرًا للافتخار الشخصي أمام الله: "لو نال ابراهيم البر بالأعمال، لكان له سبيل إلى الافتخار بذلك، ولكن ليس امام الله" (آ٢). ونص تكوين ١٥:٦ لا يترك أي مجال للشك: إبراهيم تبرَّر بفضل إيمانه. وهذا يعني بأن التبرير ليس إذًا ثمرة أعمال، بل هو صفة تنتج عن الإيمان. فلو تمّم ابراهيم أعمالاً لكان الله كافأه، والحال أن ابراهيم لم يتمّم أي عمل. وهكذا يتخذ التبرير بالإيمان، وليس بالأعمال، شكل غفران الخطايا الذي يغيّر المؤمن. فبولس، بتفسيره الكتب بالكتب، يستخدم المزمور ٣٢:١-٢، وهو صلاة اعتراف بالغفران الذي منحه الله. ولَكَم لجأ بولس إلى هذا النص لأنه وجد فيه، كما في ١٥:٦، عبارة "حَسب"، وبموجب قاعدة معروفة في التفسير الكتابي اليهودي، تسمح عبارة ما بتقريب نصّين مختلفين وُجدت فيهما. وهكذا فإن التبرير بالإيمان -وهو ميزة مسيرة ابراهيم- والغفران الذي يمنحه الله، لا يتخذان معناهما كاملاً إلا بموت المسيح وقيامته. لقد سعى بولس دوما الى ربط زمن الصبر (زمن انتظار إسرائيل) بالزمن الحاضر، زمن التبرير (راجع أيضًا ٣:٢٥ب – ٢٦أ).

في ٤:٩-١٢ ينتفي الغموض عن طريقة تبرير ابراهيم والهدف منه. فلقد عرف ابراهيم السعادة بسبب الغفران الذي منحه إياه الله، وتلك كانت حالة كل الأبرار في تاريخ إسرائيل. وكان بوسع الغفران أن يبقى محصورًا بنسل ابراهيم بحسب الجسد، أي المختونين؛ في حين ان زمن التبرير لم يسعه أن يقتصر على اليهود فقط. فابراهيم آمن حقا بمواعيد الله (تك ١٥:٦) قبل ان يتلقى الختان(تك ١٧:٢٦)، فهو إذًا أبو المؤمنين جميعًا، مختونين كانوا أم غير مختونين، الذين اتخذوا موقفه وانتظروا، مثله، التبرير بالإيمان وليس بالأعمال.

يتعارض التشديد على التبرير الذي حصل عليه ابراهيم، قبل تتميمه الشريعة، مع الصورة السائدة في اليهوديّة. فصورة ابراهيم تظهر تحت ملامح رجل تمّم الشريعة طيلة حياته وبشكل كامل؛ وبهذه الصفة كان اباً لليهود وللدخلاء، أي الوثنيين المهتدين؛ ذلك لان احترامه الشديد للشريعة استنزل عليه بركة الله؛ وفيما لم تكن للناس، بعد الطوفان، سوى حياة قصيرة (تك ٦:٣)، تمتع ابراهيم بحياة طويلة لأنه "كان كاملاً في كل أعماله وقد حسُن للرب" (يوبيلات ٢٣:١٠؛ راجع سي ٤٤:١٩-٢٠). وللتوسّع في براهينه الكتابيّة في موضوع التبرير بالإيمان، استند بولس على تعلّق اليهود بشخصيّة ابراهيم ليستنتج من ثم أن عظمة ابراهيم الحقيقيّة تتأتّى، لا من تطبيقه الشريعة، بل من ثقته بالوعد.

من ابراهيم إلى الجماعة المسيحيّة (٤:١٣-٢٥)

١٣ **فالوَعْدُ الَّذي وُعِدَهُ إِبراهيمُ أَو نَسْلُه بِأَن يَرِثَ العالَم لا يَعودُ إِلى الشَّريعة، بل إِلى بِرِّ الإِيمان.**
١٤ **فلَو كانَ الوَرَثَةُ أَهْلَ الشَّريعة لأُبطِلَ الإِيمانُ ونُقِضَ الوَعْد،**
١٥ **لأَنَّ الشَّريعةَ تَجلُبُ الغَضَب، وحَيثُ لا تَكونُ شَريعة لا تَكونُ مَعصِيَة**
١٦ **ولِذلك فالمِيراثُ يَحصُلُ بالإِيمان لِيَكونَ عَلى سَبيلِ النِّعمَة ويَبقى الوَعْدُ جارِيًا على نَسْلِ إِبراهيمَ كُلِّه، لا على مَن يَنتَمونَ إِلى الشَّريعةِ فَحَسْبُ، بل على مَن يَنتَمونَ إِلى إِيمانِ إِبراهيمَ أَيضًا. وهو أَبٌ لَنا جَميعاً،**
١٧ **فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "*إِنِّي جَعَلتُكَ أَبًا لِعَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الأُمَم*". هو أَبٌ لَنا عِندَ الَّذي بِه آمَن، عِندَ اللهِ الَّذي يُحيِي الأَموات ويَدعو إِلى الوُجودِ غَيرَ المَوجود.**
١٨ **آمَنَ راجِيًا على غَيرِ رَجاء فأَصبَحَ أَبًا لِعَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الأُمَمِ على ما قِيل: " هكذا يَكونُ نَسْلُكَ " .**
١٩ **ولَم يَضعُفْ في إِيمانِه حِينَ رأَى أَنَّ بَدنَه قَد ماتَ (وكانَ قد شارفَ المِائَة) وأَنَّ رَحِمَ سارةَ قد ماتَت أَيضًا.**
٢٠ **ففي وعدِ اللهِ لم يَتَرَدَّدْ لِعَدَمِ الإِيمان، بل قَوَّاهُ إِيمانُه فمَجَّدَ الله**
٢١ **مُتَيَقِّنًا أَنَّ اللهَ قادِرٌ على إِنجازِ ما وَعَدَ بِه.**
٢٢ ***فلِهذا حُسِبَ لَه ذلِك بِرًّا.***
٢٣ **ولَيس مِن أَجْلِه وَحدَه كُتِبَ "*حُسِبَ لَه*"،**
٢٤ **بل مِن أَجْلِنا أَيضًا نَحنُ الَّذينَ يُحْسَبُ لَنا الإِيمانُ بِرًّا لأَنَّنا نُؤمِنُ بِمَن أَقامَ مِن بَينِ الأَمواتِ يسوعَ ربَّنا**
٢٥ **الَّذي أُسلِمَ إِلى المَوتِ مِن أَجْلِ زَلاَّتِنا وأُقيمَ مِن أَجْلِ بِرِّنا .**

يجمع هذا المقطع وحدتين، تتضمّن كلٌّ منهما إشارة إلى تكوين ١٧:٥، وهي الآية التي تدرج، مع إسم ابراهيم، روابطه مع نسله. واول اشارة إلى تك ١٧:٥ هو المرجع في(روم ٤:١٧أ)؛ اما الثانية، فهي تلميح (٤:١٨أ: "أبًا لعدد كبير من الأمم"). كان المقطع السابق قد ختم بذكر أبوّة ابراهيم التي كانت البنوة له تتألّف أساسًا من مجموعتين مختلفتين. أما بولس، فينظر إلى نسل ابراهيم كمجموعة واحدة موحّدة. وهو، بتأمّله في شكل وزمن تبرير ابراهيم، كان يتطلّع مسبقا إلى نسله؛ أما الآن، فالوعد الذي كان وراء الموقف الإيماني وموضوع النسل بالذات، يقفزان إلى الواجهة (وَعْد آ ١٣، ١٤، ١٦، ٢٠؛ وَعَد آ ٢١؛ ورث آ ١٣-١٤؛ نسل آ ١٣، ١٦، ١٨).

الوحدة الأولى (٤:١٣-١٧): بحسب آ ١٢، حصل ابراهيم على التبرير قبل الختان؛ فالختان ليس إذاً ضروريًّا ليتبرّر الإنسان. وتؤكّد آ ١٣ على الروابط بين ابراهيم والمؤمنين، لكنّها لا تكتفي بمجرّد تبرير في الزمن يمكن أن يُنسب إلى محض الصدفة. فإن كان الوعد قد أُعطي لابراهيم بالنظر إلى إيمانه الذي أصبح أداة تبريره، فالأمر مماثل بالنسبة إلى نسله.

والوعد، بحسب سفر التكوين، يتعلّق بنسل كبير يفترض، وبطرق مختلفة، أُممًا وأرضًا (تك ١٢:٢-٣، ٧؛ ١٥:٥-٦، ١٦؛ ١٧:٦-٨). وإذا كان الوعد قد أُعطي لابراهيم، لكن امتلاك الأرض لن يتحقّق إلا لنسله. وهكذا يحوّل بولس الوعد بالأرض ويعطيه بُعدًا شاملاً وروحيًّا (وسرعان ما صار الوعد "بامتلاك أرض" وعدا "**بأن يرث العالم**" آ١٣). فالوعد توجّهَ، دون أي تمييز، إلى ابراهيم "**أو**" **إلى** نسله (وليس "**و**" لنسله، آ ١٣أ). لا يهدف إذاً طرح بولس بشأن ابراهيم إلى التوقّف عند شخصه، بل هو موجّهٌ نحو نسله المؤلّف من مختونين وغير مختونين. ويذكّر الرسول، في نهاية المقطع، بوعد الله لابراهيم بأن يعطيه نسلاً وافرًا، مستعيناً بتكوين ١٧:٥، لأن هذا التعبير هو، دون شك، الأفضل عن حالة أبناء ابراهيم الحاضرة، المتمثّلة بنسلٍ متأتٍ من شعوب مختلفة. فالإيمان وحده يسمح للوعد بأن يتحقّق بشكل شامل، في حين ان الشريعة تحدّ من انفتاح الوعد. إضافة إلى ذلك، هوذا بولس، كعادته، ينسب إلى الشريعة دورًا سلبيًّا (آ١٥) فيكتب: "**الشريعة تجلب الغضب**"، لانها "سبيل معرفة الخطيئة" (٣:٢٠)، وتفسح بالتالي إمكانية المعصية، وانتشار الزلّة (٥:٢٠؛ راجع أيضًا ٧:٧-١٣).

ويحدّد بولس في آ ١٣-١٧ وظائف الوعد والإيمان والشريعة. فالإيمان هو جواب على الوعد الذي هو من قبيل العطيّة؛ أما الشريعة، فتأتي بعد ذلك بكثير

(٤٣٠ سنة بحسب غل ١٧:٣)، وهي ليست من قبيل النعمة، بل وسيلة تكشف الخطيئة. ويشكل نص تكوين ١٧:٥ المذكور في آ١٧ أساسًا لفكر بولس. فالآية ١٧ب توضح عمل الله الذي آمن به ابراهيم: إنه الذي "**يحيي الأموات ويدعو إلى الوجود غير الموجود**" (في الطلبة الثانية من صلاة **البركات الثمانية عشرة**، هناك تضرّع إلى الله ينسب اليه هذه الاعمال). وتكرِّر الوحدة الثانية تدخّل الله المزدوج هذا، مع انقلاب في الترتيب: آمن ابراهيم بمن دعى إلى الوجود غير الموجود (آ١٨)؛ وآمن نسل ابراهيم، أي الجماعة المسيحيّة، بمن يحيي الأموات (آ٢٥).

الوحدة الثانية (٤:١٨-٢٥): هذه الوحدة تنقل القارئ من الإيمان بالخلق، إلى الإيمان بقيامة الأموات. لقد كان بر ابراهيم نتيجة إيمانه بأنه سيكون أبًا لعدد كبير من الأمم (آ٢٢). وبولس، نظرًا لاهتمامه الكبير بخلق رابط متين بين ابراهيم والجماعة المسيحيّة، يشدّد على "موت" بدن ابراهيم وأحشاء سارة. ففي بعثه نسلاً لابراهيم، لم يخلق الله غير الموجود حسب، بل انتزعه من الموت. وإنّ ما قاد مسيرة ابراهيم ليس سوى الثقة والإيمان، وبالتالي فإن أعماله لم تأخذ مركز الصدارة في أي وقت من الأوقات. وهكذا هو الأمر بالنسبة إلى نسل ابراهيم، الذين يحصلون على البر بفضل الإيمان، لأنهم هم ايضا تلقّوا الوعد (آ١٣)؛ وكما آمن ابراهيم، يؤمنون هم أيضًا بمن يحيي الأموات (آ٢٤). وهكذا يربط بولس مجددا مصير المؤمنين بمصير ابراهيم.

اما الآيتان ٢٤-٢٥، فتستذكران اعترافًا إيمانيًا موروثًا من الجماعة الأولى. فكما نُسب إلى الله فعل تقدمة يسوع المسيح كذبيحة، فإن فعل القيامة يعود إليه أيضًا (آ٢٤). ذلك ان وحدة السر الفصحي جوهريّة في الفكر البولسي؛ لذا كان من الضروري اقامة الموازاة بين مفاعيل موت يسوع ومردودات قيامته. وإن التفصيلات الدقيقة التي يقوم بها بولس، تسمح له بان يوحّد بشكل جيد موت المسيح وقيامته، مقدِّمًا يسوع المسيح كمن يتمّم، بموته، صورة العبد (راجع. أش ٦:٥٣، ١٢ بحسب السبعينيّة).

الباب الثاني

من التبرير الى الخلاص

(٥:١ - ١١:٣٦)

شموليّة الخلاص بالمسيح
المستند إلى محبّة اللّه وأمانته

يتألّف النص بمجمله من جزئين: روم ٦-٨ وهو تأمّل حول الوجود المسيحي، وروم ٩-١١ وهو نص يضع الشعب اليهودي في إطار هذه الأزمنة الجديدة. أما روم ٥، فيشكّل افتتاحيّة لكل المجموعة.

عمل الله في المسيح (٥: ١-٢١)

كانت مكانة الفصل ٥، في تصميم الرسالة، موضوع نقاشات عديدة، وقد اقتُرحت لها حلول ثلاثة.

- يختتم الفصل ٥ التأمّل الذي بدأ في ١: ١٨، وهو بالتالي مرتبط بما سبق، مما يعني بأن ٣: ٢١-٥: ٢١ يتمحور حول التبرير.
- الفصل ٥ غير متجانس، إذ تبدو فيه الآيات ١-١١ بمثابة خاتمة القسم الأول من الرسالة، في حين تفتتح الآيات ١٢-٢١ قسمها الثاني وتعدّ للفصول ٦-٨.
- يشكّل الفصل ٥ بالحقيقة كلاّ متكاملاً، ويفتتح الفصول ٥-١١ المتمحورة حول الجماعة المسيحيّة، ومعنى إسرائيل في هذه الأزمنة الجديدة. ويُشكّل روم٥ بالتالي شكل جسر يربط بين قسمي الرسالة، لكنّه من ناحية البنية، يتعلّق بالفصول اللاحقة، وهذا ما تظهره بعض الأمور الأدبيّة.

في مفردات هذا الفصل عودة إلى الفصول السابقة، ولكن في شكل قطيعة. فالأفعال التي تشير إلى التبرير أو المصالحة، في ٥: ١-١١، تأتي في صيغة الماضي، سواء في آ ١-٩ بالكلام عن التبرير، أم في آ ١٠-١١ بالكلام عن المصالحة. فبولس ينطلق من التبرير الذي تحقّق، ويتطلّع إلى المستقبل، مؤكّدًا: "**نفتخر بالرجاء لمجد الله**" (آ٢ب)، ومشدداً على الخلاص (آ ٩-١٠). ذلك ان الماضي والحاضر يرتبطان ارتباطًا تامًا، نظرًا لارتكازهما على محبّة الله.

لم يعد لبعض العبارات المهمّة، مثل "كبرياء" أو "غضب" في روم ١-٤ المعنى عينه في ٥: ١-١١. ففي ١-٤، لا يجب الافتخار أبدًا (٢: ١٧، ٢٣؛ ٣: ٢٧؛ ٤: ٢)، أما

في ٥:١-١١، فالافتخار هو للمسيحي المبرَّر (٥:٢-٣، ١١)؛ والغضب الذي احتلّ مكانًا واسعًا في الفصول الأولى، لم يعد موضوعًا طاغيًا في ٥:١-١١؛ وفي كل الأحوال، ليس على المسيحي أن يخافه؛ والإيمان الذي كان محورياً في ١-٤ (حيث رصدنا ٣٤ استعمالاً لعبارة مشتقّة من الجذر "آمن") يختفي أمام الرجاء (راجع ٥:٢، ٤-٥؛ وأيضًا ٨:٢٠، ٢٤-٢٥).

في المقابل، تتجانس المفردات والمواضيع في روم ٥ مع الإطار الذي يلي، وخاصة مع مفردات ومواضيع الفصل ٨ (راجع "رجاء المجد" ٥:٢؛ ٨:١٧؛ الشدّة والآلام لا يشكّلان حاجزًا أمام المجد ٥:٤؛ ٨:١٨؛ دور الروح ٥:٥؛ ٨:١٦؛ المسيح الذي مات من أجلنا ٥:٨؛ ٨:٣٢؛ محبّة الله المفاضة للمؤمن في قلب حياته ٥:٥؛ ٨:٣٩). هذا التجانس في المفردات والمواضيع يجعل للمقطعين ٥:١-١١ و ٨:٣١-٣٩ دورًا تضمينيًا: انهما يحدّدان بالتالي وحدة أدبيّة. ومنذئذ يشكّل الخلاص أفق تفكير بولس. في هذا الإطار يفتح روم٥ الأفق على حاضر الجماعة المسيحيّة ومستقبلها.

اما صورة آدم في ٥:١٢-٢١، فهي تذكّر القارئ بشموليّة الخطيئة المعلَنة في ١:١٨-٣:٢٠، في حين يتخذ عمل المسيح في خط ٣:٢١-٢٦ و ٤:٢٢-٢٥ معناه الخلاصي وبُعده الفدائي، وسيتوسّع فيه الرسول في الفصول اللاحقة. إنّ شموليّة الخلاص التي شُدّد عليها في ٥:١٢-٢١ تضطر الكاتب إلى توضيح حالة إسرائيل.

وينتظم روم ٥ في مقطعين. يتناول المقطع الأول الخلاص من وجهة نظر الجماعة المسيحيّة (آ ١-١١)؛ أما في المقطع الثاني (آ ١٢-٢١)، فلا يستعمل بولس أية إشارة إيضاحيّة (هو لا يستعمل، لا "أنا/ أنت" ولا "نحن/ أنتم")، لأن جميع البشر معنيّون؛ وهنا يقترح الرسول تفكيرًا حول شموليّة الخلاص من خلال الموازاة: المسيح/آدم.

من التبرير/المصالحة إلى الخلاص بفعل محبّة الله (٥:١-١١)

٥ ١ فلَمَّا بُرِّرْنا بالإيمان حَصَلْنا على السَّلامِ مع اللهِ بربِّنا يسوعَ المَسيح،
٢ وبه أيضًا بَلَغْنا بالإيمانِ إلى هذه النِّعمَةِ الَّتي فيها نَحنُ قائمون، وَنَفْتَخِرُ بِالَّرجاءِ لِمَجْدِ الله،
٣ لاَ بل نَفتَخِرُ بشَدائِدِنا نَفْسِها لِعلمِنا أَنَّ الشِّدَّةَ تَلِدُ الثَّباتَ
٤ والثَّباتَ يَلِدُ فَضيلةَ الاختِبارِ وفَضيلةَ الاختِبارِ تَلِدُ الرَّجاء
٥ والرَّجاءُ لا يُخَيِّبُ صاحِبَه، لأَنَّ مَحبَّةَ اللهِ أُفيضَت في قُلوبنا بالرُّوحِ القُدُسِ الَّذي وُهِبَ لَنا.
٦ أجل، لَمَّا كُنَّا لاَ نَزالُ ضُعَفاء، ماتَ المسيحُ في الوَقْتِ المُحَدَّدِ مِن أَجْلِ قَوْمٍ كافِرين،

٧ **ولا يَكادُ يَموتُ أَحَدٌ مِن أَجْلِ امرِئٍ بارّ، ورُبَّما جَـرُؤَ أَحَـدٌ أَن يَمـوتَ مِـن أَجْـلِ امرئٍ صالِح.**
٨ **أَمَّا اللهُ فقَد دَلَّ على مَحبتِّهِ لَنا بأَنَّ المسيحَ قد ماتَ مِن أَجْلِنا إِذ كُنّا خاطِئين.**
٩ **فما أَحرانا اليَوم، وقَد بُرِّرنا بدَمِه، أَن نَنجُوَ به مِنَ الغَضَب!**
١٠ **فإِن صالَحَنا اللهُ بمَوتِ ابنه ونَحنُ أَعداؤُه، فَما أَحرانا أَن نَنجُوَ بحَياتِه ونَحنُ مُصالَحون!**
١١ **لاَ بَل إِنَّنا نَفتَخِرُ بِالله، بِرَبِّنا يسوعَ المسيحِ الَّذي بِه نِلْنا الآنَ المُصالَحة.**

بعد التوسّع الذي اجراه بولس، في ١:١٨-٤:٢٥، بشأن الروابط بين البرّ والإيمان -وكان قد اعلنها في ١:١٧- يوضّح بولس، في ٥:١-١١ وفي الفصول اللاحقة، ما ورد في ١:١٦ب: "[البشارة] **هي قدرة الله لخلاص كلّ مؤمن**". ومنذئذ صار الخلاص المزمع محور تفكير بولس (آ٩-١٠).

تشكّل روم ٥:١-١١ افتتاحيّة تلعب دورين. إنها تقدّم المجموعة الثانية (روم٥-١١)، وبشكل خاص ٥:١٢-٨:٣٩. وهي في الوقت ذاته تشكل تضمينًا مع ٨:٣١-٣٩: التبرير هو أساس الرجاء بالحياة الأبديّة (٥:١؛ ٨:٣١-٣٤)؛ الشدّة والرجاء متلازمان (٥:٣-٤؛ ٨:٣٥-٣٧)؛ لأن ثقة المؤمن بالخلاص النهائي ترتكز على محبّة الله التي ظهرت بموت المسيح (٥:٨؛ ٣٥-٨-٣٩)، وأفيضت بالروح في قلوب المسيحيين (٥:٥).

ونجد في مقطع ٥:١-١١، ضمير جمع المتكلّم "نحن" حاضرا ابداً، لأن بولس يضع فيه ركائز الجماعة المسيحيّة. وتساهم عبارات عديدة في تقدّم فكر بولس بشكل متناغم ("ليس هذا وحسب... بل أيضًا"، آ٣، ١١؛ "فما أحرانا" آ٩، ١٠)، مؤكدا بأن الماضي هو ضمان المستقبل، بحيث يتاح للمسيحيّين "**في الشدائد**" أن يفتخروا "**برجاء مجد الله**"، لأن الله نفسه قد برّرهم (آ ١، ٧) وصالحهم بالمسيح (آ ١٠-١١). ذلك ان التبرير والمصالحة هما نافذتان للخلاص المستقبلي (**راجع الاطار: مفاعيل موت المسيح**)؛ وهكذا وجد المسيحيون السبيل إلى الافتخار الصحيح.

ويبرز بولس ثلاثة أزمنة:

- يشدِّد بولس، مستعينًا بموازاة، على الطابع الفريد لموت المسيح، وهو الحدث الماضي والمؤسِّس: "**لما كنا ضعفاء**" (آ٦أ)؛ "**لما كنا خاطئين**" (آ ٨ ب). هذه الحالة الأصليّة تبرز قيمة المحبّة التي أظهرها الله لنا بموت المسيح (آ٨أ). وفي وقت محدَّد من التاريخ، وضع المسيح حدًّا لحالة الخطيئة، عندما برّر المسيحيين وصالحهم بموته (آ ٩:١-١٠).

– الزمن الحاضر هو زمن السلام مع الله والحصول على النعمة (آ ١، ٢)، إنه زمن انتظار مجد الله؛ انه زمن شدة، ولكنه زمن رجاء (آ ٣، ٤). ويدرك المسيحيون قوة محبة الله لهم، لأن الروح أفاضها في قلوبهم (آ٥).

– يرتقب بولس أخيرًا زمن الخلاص، لأن ما تمّمه المسيح من أجل الكفّار والخاطئين يضمن لنا هذا الخلاص منذ اليوم. ويأتي برهان مزدوج ليعبّر عن أسُس هذا الخلاص وعن ثقة بولس بزمن الانتظار هذا (آ ٩-١٠).

المسيح وخلاص كل البشر (٥:١٢-٢١)

١٢ فكَما أَنَّ الخَطيئَةَ دَخلَت في العالَم عَن يَدِ إنسانٍ واحِد، وبِالخَطيئَةِ دَخَلَ المَوت، وهكَذا
سَرى المَوتُ إلى جَميعِ النَّاسِ لأَنَّهُم جَميعاً خَطِئوا...
١٣ فالخَطيئَةُ كانَت في العالَمِ إِلى عَهْدِ الشَّريعة، ومع أَنَّه لا تُحسَبُ خَطيئَةٌ على فاعِلِها إِذا لم
تَكُنْ هُناكَ شَريعة،
١٤ فقَد سادَ المَوتُ مِن عَهْدِ آدَمَ إِلى عَهْدِ موسى، سادَ حتَّى الَّذينَ لم يَرتَكِبوا خَطيئَةً تُشبِهُ
مَعصِيَةَ آدم، وهو صُورةٌ لِلَّذي سيَأتي .
١٥ ولكِن لَيسَتِ الهِبَةُ كَمِثْلِ الزَّلَّة: فإِذا كانَت جَماعَةُ النَّاسِ قد ماتَت بزَلَّةِ إنسانٍ واحِد،
فبِالأَوْلى أَن تَفيضَ على جَماعَةِ النَّاسِ نِعمَةُ اللهِ والعَطاءُ المَمْنوحُ بِنعمَةِ إِنسانٍ واحِد، أَلا
وهو يسوعُ المسيح.
١٦ ولَيسَتِ الهِبَةُ كَمِثْلِ ما جَرَّت مِنَ العَواقِبِ خَطيئَةُ إِنسانٍ واحِد. فالحُكْمُ على أَثَرِ خَطيئَةِ
إِنسانٍ واحِد أَفْضى إِلى الإِدانة، والهِبَةُ على أَثَرِ زَلاَّتٍ كَثيرةٍ أَفضَت إِلى التَّبْرير.
١٧ فإِذا كانَ المَوتُ بزَلَّةِ إِنسانٍ واحِد قد سادَ عن يَدِ إِنسانٍ واحِد، فما أحرى أُولئِكَ الَّذينَ
تَلَقَّوا فَيضَ النِّعمَةِ وهِبَةَ البِرِّ أَن يَسودوا بالحَياةِ بِيَسوعَ المسيحِ وَحدَه.
١٨ فكَما أَنَّ زَلَّةَ إِنسانٍ واحِدٍ أَفضَت بجَميعِ النَّاسِ إلى الإِدانة، فكَذلِكَ بِرُّ إِنسانٍ واحِدٍ يَأتي
جَميعَ النَّاسِ بالتَّبْريرِ الَّذي يَهَبُ الحَياة.
١٩ فكما أَنَّه بمَعصِيَةِ إِنسانٍ واحِدٍ جُعِلَت جَماعةُ النَّاسِ خاطِئَة، فكَذلِكَ بِطاعةِ واحِدٍ تُجعَلُ
جَماعةُ النَّاسِ بارَّة.
٢٠ وقَد جاءَتِ الشَّريعةُ لِتَكثُرَ الزَّلَّة، ولكِن حَيثُ كَثُرَتِ الخَطيئَةُ فاضَتِ النِّعمَة،
٢١ حتَّى إِنَّه كما سادَتِ الخَطيئَةُ لِلمَوت، فكذلك تَسودُ النِّعمَةُ بالبِرِّ في سَبيلِ الحَياةِ الأَبَدِيَّةِ
بِيَسوعَ المسيحِ رَبِّنا.

تتقابل هذه الآيات مع المقطع السابق المتمحور حول الجماعة المسيحيّة. لا نجد فيها أية إشارة توضيحيّة (إلا في آ ٢١ حيث نجد عبارة مكرّسة: "**بيسوع المسيح ربنا**")، لأن بولس يتوجّه إلى البشريّة قاطبة. غير أن الرسول يبني تفكيره على آ ١-١١، فتأتي عبارة "فكما أن"، في آ١٢، لتربط بين المقطعين ربطا وثيقاً؛ وفي الحالتين، ينظر بولس إلى الأزمنة المتعاقبة، ويعطي البراهين القاطعة. لكنه يتوقّف في ٥:١٢-٢١ عند أصول الحالة الدراماتيكيّة التي تعيشها البشريّة، ليبرز المعنى الشامل لموت المسيح. ففي المقطعين، يتطلع بولس إلى رجاء اخروي، وهكذا نجد النعمة المذكورة في ٥:٢ في القلب من الآيات ١٢-٢١ (آ١٥ حيث ترد مرتين، وآ ١٧، ٢٠، ٢١).

ويتخلل الآيات ١٢-٢١ التضاد "**واحد/الجميع**" وهو يتعلّق بآدم والناس حينًا، وبالمسيح والجنس البشري حينًا آخر؛ إلا ان العلاقة التي يهتم بها بولس، فهي بين المسيح والبشرية. يتألّف المقطع من ثلاث وحدات (آ ١٢-١٤؛ ١٥-١٧؛ ١٨-٢١)، تبدأ كل منها بأداة وصل (فكما، ولكن)، وتنتهي بذكر لعمل المسيح (آ ١٤، ١٧، ٢١). ففي آ١٤ لا يُذكَر آدم لذاته، بل بالنظر إلى المسيح: "**هو صورة للذي سيأتي**"، ذلك ان ما يهمّ بولس هو شخص المسيح والتأمل في عمله؛ أما آدم، فليس سوى وسيلة لإبراز الفكرة.

تحتوي الآيات ١٢-١٤ على مقارنة غير مكتملة تؤكّد شموليّة الخطيئة منذ ما قبل الشريعة؛ أما البراهين المبدئية، فتعطي طابعًا خاصًا للوحدة الثانية (آ ١٥-١٧): انها تبرز فيض الخيرات الناتج عن عمل يسوع المسيح؛ ذلك أن خطيئة واحدة أغرقت البشريّة في الموت. اما المسيح فوجد ذاته في مواجهة مع خطايا عديدة؛ ولا مجال للمقارنة بين مردودات عمل الاثنين. وهكذا، بعد ان يكون بولس قد برّز الفوارق، يستطيع، في الوحدة الأخيرة، أن يقيم موازاة بين الإثنين (آ ١٨-٢١).

كان بولس قد طرح، مرّات عديدة، تفكيرًا كريستولوجيًا (١:٣-٤؛ ٣:٢٢-٢٥؛ ٤:٢٤-٢٥؛ ٥:١-١١)، وهو الآن يتابع هذا التأمّل، مستعينا بصورة آدم الذي هو "**صورة للذي سيأتي**".

آدم

"آدم" هو إسم عام يعني "الإنسان"، وغالبًا ما يأخذ معنى جماعيًّا: "البشر". ويختلف العلماء بشأن المعنى الحرفي للاسم. في تك ٢:٧؛ ٣:١٩، ٢٣، يطيب للرواية ان تلعب على الكلمات، بالربط بين "آدم" و"أداما" الأرض. فيما يستعمل تك ١:٢٧ و تك ٢-٣ اسم "آدم" مع "ال" التعريف (مما يعني أنه ليس إسم علم)، للحديث عن الانسان

الأول. غير أن "آدم" يُفهم كإسم علم (دون الـ التعريف) في بعض نصوص البيبليا العبريّة (تك ٣:١٧؛ ٤:٢٥؛ ٥:١، ٣ي؛ ١ أخ ١:١)، كما في الكتب القانونيّة الثانية (طو ٨:٦؛ سي ٤٩:١٦). أما كتاب الحكمة، فيذكر الإنسان الأول دون أن يعطيه إسمًا (٢:٢٣-٢٤؛ ٩:٢-٣؛ ١٠:١-٢). ويبقى الكتاب المقدّس بالإجمال كتومًا بما يخصّ شخص آدم، على العكس من التقليد اليهودي الذي يتوسّع في التفكير حوله: كان يتمتّع الإنسان أصلاً بالمجد، لكنّه أضاعه بحسد الشيطان، فتحوّل هذا المجد، بالغفران الإلهي، إلى مجد اسكاتولوجي (راجع. مثلاً "حياة آدم وحواء" كتاب يهودي منحول ما قبل العام ٧٠ ق.م.)

في الرسالة إلى الرومانيين (٥:١٢-٢١)، كما في الرسالة الأولى إلى القورنثيين (١٥:٢١-٢٢، ٤٤-٤٨)، يستلهم القديس بولس تيارات فكريّة يهوديّة في القرن الأول، على ضوء الإيمان بالمسيح، مصدر الخلاص لكلّ البشر. ففي ١ قور ١٥:٤٤-٤٨، وعلى مثال فيلون معاصره، يفسِّر بولس نصَّي الخلق على أنهما بداية نوعين متتاليين من البشر: الأول هو صورة الله (تك ١:٢٧)، والثاني مجبول من التراب (تك ٢:٧)؛ لكنّه يقلب الترتيب: "**كان آدم الأول نفسًا حيّة، وكان آدم الآخِر روحًا محييًا**" (١ قور ١٥:٤٥ب). أما في روم ٥:١٢-٢١، فيوسِّع الرسول كنايةً أوردها في ١ قور ١٥:٢١-٢٢: انه يستوحي موضوعًا عزيزًا على الأدب الرؤيوي الذي يتناول خطيئة آدم ومردوداتها على "من ولدوا منه".

وهكذا، عرف الفكر اليهودي تيارات متعدّدة، ركّز بعضها على حريّة الإنسان، في حين شدد بعضها الآخر على النزعة إلى الشر. وبعد خراب أورشليم سنة ٧٠، لم يتجاهل مؤلّف "رؤيا باروخ السريانيّة" خطيئة آدم الذي "جلب الموت لكلّ من لم يكن موجودًا في زمنه" (٥٤:١٥)، لكنّه ركّز ايضا بشكل كبير على الحريّة الشخصيّة: "ليس آدم مسؤولاً إلا عن ذاته. وكلّنا آدم لذواتنا" (٥٤:١٩). ويعرف كتاب عزرا الرابع" أيضًا المفاعيل المأسويّة لعصيان آدم على نسله؛ لكنه، في تساؤله حول أسباب خطيئة آدم، لا يتوقّف عند قيمة الحريّة الشخصيّة، ولا عند حسد الشيطان، كما فعل تقليد منبثق من كتاب الحكمة. فبحسب هذا الكاتب الرؤيوي، هناك في آدم وفي نسله "جذر رديء" هو مصدر العصيان تجاه الوصايا: "نما فينا القلب الرديء، فأزاغنا عن وصاياه، وقادنا إلى الفساد، وإلى سُبُل الموت" (عزرا الرابع ٨:٤٨). فكان الله وحده قادراً على تجديد الإنسان.

لقد رسمت هذه التيارات الفكريّة اليهوديّة المختلفة، السياق الثقافي للفكر البولسي، وحددت إطارًا للتأكيد الذي يصعب شرحه بصدد نهاية آ١٢: "لأنهم جميعًا خطئوا". وتأتي عبارة "لأنهم" لتعطي المعنى الأفضل من ناحية القواعد، والذي نجد مثيله في ٢ قور ٥:٤؛ وفل ٣:١٢؛ ٤:١٠. فالتشديد هو على الخطايا الشخصيّة، وعلى مسؤوليّة كل إنسان في ما وصلت إليه حالته التعيسة؛ وبالتالي، لن تكون لقوة الخطيئة التي دخلت، بواسطة آدم، أية مردودات، إلا بمقدار ما يتورّط كل واحد شخصياً بالتمرّد على الله. هذا ما أبرزه بعض الآباء اليونان في الماضي، وما تقترحه الدراسات اليوم.

ولكن إن ترجمنا "به خطيء البشر جميعاً"، فإن عبارة "به" تتعلّق عندئذ بآدم. ففي خط الترجمة اللاتينيّة (الفولكاتا)، رأى الآباء اللاتين، ولوثر من بعدهم، أن في خاتمة الآية ١٢ تضمينًا لكلّ البشر من خلال عمل آدم. وهكذا فان كل خطايا البشريّة، احتوتها خطيئة آدم.

لقد اعترف معاصرو بولس بشكل من التضامن بين آدم والبشر أجمعين. وهذا التضامن في الشر -وهي فكرة كانت مقبولة في زمنه- لفت نظر بولس، بصفته صورة التضامن الوحيد الذي له أهميّة في نظره، اي التضامن الذي نسجه المسيح بينه وبين البشر. فبموته وقيامته، حمل يسوع البشر أجمعين، لكن شمول البشر هذا لا ينفي الموافقة الشخصيّة التي تقع على كلّ إنسان. وبولس، باستعانته بآدم، وضع في الواجهة بنية للوجود البشري وللخلاص. وبذلك أعدّ طروحاته في روم ٦-٨ حول الشراكة مع المسيح.

خطيئة آدم

للإشارة إلى عمل آدم، يستعمل بولس أربع مفردات. "الخطيئة" نجدها مشخّصة، وهي "تفصل الإنسان عن الله"، وتتسبّب بالموت الروحي - ويشكّل الموت الجسدي علامته الطاهرة. وتشير عبارة "معصية" (parabasis)، في ١٤:٥، إلى صورة من يسير إلى جانب الطريق ويبتعد عن السبيل. فهي وصفٌ لطريقة تصرّف؛ أما الخطأ (paraptôma ١٥:٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠)، بمعنى ما سقط جانبًا، فيدلّ عن النتيجة؛ في حين أن "العصيان" (parakoè - وتعني حرفيًّا عدم الإصغاء ١٩:٥)، فتضع الخاطىء بعيدًا (para) عن كلمة كان يُفترض أن يتلقّاها.

القسم الأول

حالة الجماعة المسيحية
زمن توتر
(٦:١ – ٨:٣٩)

يتألّف هذا القسم من ثلاثة أجزاء، يعالج كل منها جانبًا من الحياة المسيحيّة في علاقتها بالخطيئة. يحدّد بولس أولاً، في شكل توضيحات، رأيه بالعلاقات بين الخطيئة والنعمة (٦:١-٧:٦)، ثم يشرح وجهة نظره بالروابط بين الشريعة والخطيئة (٧:٧-٢٥). ويعطي بعدها تأمّلاً حول الحياة بحسب الروح (٨:١-٣٠)، وتأتي الخاتمة في ٨:٣١-٣٩.

الجزء الأول

الخطيئة وفيض النعمة (٦:١ -٧:٦)

في هذا الجزء، تتلاقى البداية مع الخاتمة للإعلان بأن عمل المسيح حاسم بالنسبة إلى المسيحيّين، بمقدار ما يكونون بشراكة معه؛ فالمسيحيون وقد "**ماتوا عن الخطيئة**" (٦:٢)، "**ماتوا عمّا كان يأسرهم، وحُلُّوا من الشريعة**" (٧:٦)؛ وهم بالتالي مسؤولون عن خدمة جديدة. ونجد في ٦:٦ و ٧:٦ فعلاً واحدًا باليونانية، هو (Katargein)، بمعنى "أبطل، ألغى" أو في المجهول (حُلّ من)؛ والمعنى الضمني لهذا الفعل هو "إزالة حاجز، للسماح بتحريرٍ ما".

٦:٢ أما وقد **متنا** عن الخطيئة،
فكيف نحيا فيها من بعد؟
٦:٤ لنحيا حياة جديدة...
المسيح... **أُقيم من بين الأموات**

٦:٦ إنساننا *القديم* قد صُلب معه
ليزول (Katargein) هذا البشر الخاطيء
٤:٧ كذلك أنتم **أُمِتُّم** عن الشريعة، بجسد المسيح
لتصيروا إلى آخرَ
إلى الذي **أُقيم من بين الأموات**
٦:٧ **حُلِلْنا** من الشريعة (Katargein)
وقد **متنا** عمّا كان يأسرنا
وأصبحنا نعمل في نظام الروح *الجديد*

الحياة المسيحيّة هي تحرّر، وهي نجاة: بمعنى أنها مرور من الموت إلى الحياة، من العبوديّة إلى الحريّة، من الخضوع للشريعة إلى التحرّر منها. وينتقل النص من "نحن" (٦:١-٩) إلى "أنتم" (٦:١١-١٤، ١٦-٢٢؛ ٧:٤ب)، لأن المناشدات لمسيحيي روما تقطع الحديث ذا البعد العامّ. فبولس، في الواقع، لا يقدِّم تفكيرًا نظريًّا حول الحياة المسيحيّة، بل يتوجّه بشفافية نحو جماعة لم تستخرج كل نتائج الجديد في المسيحية (راجع التساؤلات: *أَوَ تجهلون...* في ٦:٣أ؛ ٧:١أ).

يتألّف هذا الجزء من مقطعين (٦:١-١٤؛ ٦:١٥-٧:٦) يقدّمان بعض التوضيحات حول مكانة الخطيئة في نظام النعمة؛ وكان لا بدّ من هذه التوضيحات في اعقاب التأكيدات التي وردت في ٥:٢٠-٢١. يتساءل بولس أولاً حول العلاقات بين الخطيئة والنعمة، ومن ثم يطرح مسألة الشريعة. كان بولس، في ٣:٨ و ٥:٢٠، قد تحقق من فيض النعمة مقابل شمولية الخطيئة. لكن بعض معارضيه استنتجوا من هذه التأكيدات خلاصات مغلوطة، فكان عليه التوضيح. يبدأ كلٌّ من المقطعين بالطريقة عينها: سؤال (٦:١ب، ١٥ب)، ثم جواب سلبي (٦:٢أ، ١٥ج.)، يتبعهما توضيح يرتكز على معرفة من يكتب إليهم. اما المقطع الثاني، فيبدأ من التأكيد الأخير الذي ورد في الآيات السابقة (آ١٤-١٥).

توضيح أول: فيض النعمة الناتج عن ازدياد الخطيئة قد يدعو إلى البقاء في الخطيئة (٦:١-١٤)

٦ ١ **فماذا نَقول؟ أَنَتَمادى في الخَطيئَةِ لِتَكثُرَ النِّعمَة؟**
٢ **مَعاذَ اللّه! أَمَّا وقَد مُتْنا عنِ الخَطيئَة، فكَيفَ نَحْيا فيها مِن بَعدُ؟**
٣ **أَوَتَجهَلونَ أَنَّنا، وقَدِ اَعتَمَدْنا جَميعًا في يسوعَ المسيح، إِنَّما اعتَمَدْنا في مَوتِه**

٤ **فدُفِنَّا مَعَه في مَوتِه بالمَعمُودِيَّةِ لِنَحْيا نَحنُ أَيضًا حَياةً جَديدة كما أُقيمَ المَسيحُ مِن بَينِ الأَمواتِ بمَجْدِ الآب؟**
٥ **فإذا اتَّحَدْنا به فصِرْنا على مِثالِه في المَوت، فسنَكونُ على مِثالِه في القِيامةِ أَيضًا.**
٦ **ونَحنُ نَعلَمُ أَنَّ إنسانَنا القَديمَ قد صُلِبَ معَه لِيَزولَ هذا البَشَرُ الخاطِئ، فلا نَظَلَّ عَبيدًا لِلخَطيئة،**
٧ **لأَنَّ الَّذي ماتَ تَحرَّرَ مِنَ الخَطيئَة.**
٨ **فإذا كُنَّا قَد مُتْنا مع المسيح، فإنَّنا نُؤمِنُ بأَنَّنا سنَحْيا معَه.**
٩ **ونَعلَمُ أَنَّ المسيح، بَعدَما أُقيمَ مِن بَينِ الأَموات، لن يَموتَ بعدَ ذلِك ولن يَكونَ لِلمَوتِ علَيه مِن سُلطان،**
١٠ **لأَنَّه بمَوتِه قد ماتَ عنِ الخَطيئَةِ مَرَّةً واحِدَة، وفي حَياتِه يَحْيا لله.**
١١ **فكَذلِكَ أحسَبوا أَنتُم أَنَّكم أَمواتٌ عنِ الخَطيئة أَحْياءٌ للهِ في يسوعَ المسيح.**
١٢ **فلا تَسودَنَّ الخَطيئَةُ جَسَدَكمُ الفاني فتُذعِنوا لِشَهَواتِه،**
١٣ **ولا تَجعَلوا مِن أَعضائِكم سِلاحًا لِلظُّلْمِ في سَبيلِ الخَطيئَة، بلِ أجعَلوا أَنفُسَكم في خِدمَةِ الله، على أَنَّكم أَحْياءٌ قاموا مِن بَين الأَموات، واجعَلوا مِن أَعضائِكم سِلاحًا لِلْبرِّ في سَبيلِ الله،**
١٤ **فلا يَكونَ لِلخَطيئَةِ مِن سُلطانٍ علَيكم. فَلَستُم في حُكْمِ الشَّريعة، بل في حُكْمَ النِّعمَة.**

المقطع مبنيّ حول العلاقة موت/حياة (ترد عبارات موت، مات، مائت، ١٥ مرة؛ وعبارات حياة، يحيا، حي، قام، ٩ مرات)، في التضاد بين عمل ماضٍ له طابع الموت، وبين الحياة المنبثقة من الموت، وقد قُدِّمت بمعنى إيجابي. الزمن الحاضر الذي وُلِد من الشراكة في موت المسيح وقيامته، هو زمن توتر. ذلك ان المسيحيين، وقد دُفنوا مع المسيح، اصبحوا، بالحقيقة، "**أحياء لله في يسوع المسيح**" (آ١١)، ومع ذلك، فإن قيامتهم تبقى مستقبليّة (آ٥؛ راجع أيضًا آ٨).

وبولس، من خلال تساؤل (آ٢ب)، يضعضع أعداءه، على الفور: ***"أما وقد متنا عن الخطيئة، فكيف نحيا فيها من بعد؟"*** وفي هذه الآيات، يترجم بولس، على طريقته، قناعة الجماعة الأولى الشاملة، المؤمنة بأن الحياة المسيحيّة لا تستقيم مع الخطيئة؛ لأن المسيحيين، وقد اعتمذوا بموت المسيح، فقد تمثّلوا به تمامًا. وللتعبير عن هذا التماثل مع المسيح، يستعمل بولس عبارات مركّبة بواسطة حرف الجرّ "مع" (syn): "**دفنا معه**" (آ٤)؛ "**إنساننا القديم... صُلب معه**" (آ٦) (هذان الفعلان هما في صيغة الحاضر لحدث ماض)، "**إذا اتّحدنا به صرنا على مثاله في الموت**" (حرفيا: صرنا نبتة واحدة بالتشبّه بموته آ٥)؛ (والفعل هنا هو في صيغة الماضي الناجز، ممّا يدلّ على مفاعيل عمل ماضٍ. وهذا التشبه، باليونانيّة، يصف جيّدًا الشراكة في تيار حياتي واحد).

هذا الزمن الماضي بالنسبة للمسيح والمسيحيين الذين اعتمذوا بموته، تمّ مرة واحدة وحيدة،. لكن، ومع كون المسيحيين مرتبطين به كليًّا، فالمسيح هو وحده أكمل العودة إلى الله. وهكذت نرى ان الواقع المسيحي يُعبّر عنه بعبارات الحياة، وليس من خلال مفردات القيامة. فما داموا قد ماتوا عن الخطيئة، فهم انما ينتظرون الاكتمال(آ٥ب، ٨ب). علماً بإن حالة المسيح الحاضرة تتعلّق بمعرفة واختيار (آ٩)، في حين أن مشاركة المسيحيين الكاملة في حياته تتعلّق بالإيمان (آ٨ب). ولم يعد للموت وللخطيئة أية سلطة على المسيح، مع أن هاتين القوّتين المعاديتين تتهدّدان المسيحيّين الذين عليهم أن يحقّقوا الموت عن الخطيئة في حياهم اليوميّة.

ونظرًا لهذه الاختلافات، وأمام صعوبات مسيحيي روما في عيش حياهم الجديدة، يوجّه إليهم بولس نداءً ليصبحوا بالفعل أمواتًا عن الخطيئة، أحياءً للمسيح (آ ١٢-١٤). وتلعب الآية ١١ دور الرابط بين وحدتين اتخذتا طابعين مختلفين. فالمسيحيّون مدعوون للكشف، في تصرّفاهم، عن أن الخطيئة لم تعد تملك عليهم (آ ١٤،١٢)، وعليهم بالتالي أن يضعوا قيد العمل المبدأ المعلَن في آ٦: "**إنساننا القديم قد صُلب معه**". وهكذا فان الطاعة (آ١٢، ١٦-١٧)، وإخضاع المرء اعضاءَه للخطيئة أو لله (آ ١٣، ١٦، ١٩)، يعلنان مسبقاً التركيبة الأساسيّة للآيات ١٥-٢٣، حيث تتواجه قوّتان متعارضتان: الخطيئة من جهة، والبر من جهة ثانية. وتأتي الآية ١٤ كتعبير عن يقين: "**لا يكون للخطيئة من سلطان عليكم**". فبالعماذ، ترك المسيحيّون نظام الشريعة وصاروا في حكم النعمة، لذا سينجون من سلطان الخطيئة. وهكذا نرى، بين بداية المقطع ونهايته، انزلاقاً واضحاً. ففي مطلع المقطع، كانت المواجهة بين الخطيئة/النعمة، أما في النهاية فقد دخلت الشريعة.

العماذ في رسائل بولس

الإشارات إلى العماذ قليلة جدًا في الرسائل الكبرى (٣:٦ -٤؛ ١ قور١:١٣ -١٧؛ ١٠:٢؛ ١٣:١٢؛ ٢٩:١٥؛ غل ٢٧:٣؛ يمكن أن نلحق بها ١ قور١١:٦ و ٢ قور٢٢:١). وبولس، دون أن يضع طقس العماذ موضع شك، يوجه اهتمامه أولاً إلى اعلان الكلمة (١ قور ١٦:١ -١٧)، فمنها تنبثق عطيّة الروح (غل ٣:١-٥) التي تشكّل بداية الحياة المسيحيّة. وباستثناء ١ قور١٣:١٢ -وهو نص صعب- لا يقارب بولس بين العماذ والروح. ففي روم ٦، استخدم الرسول رمزيّة العماذ بالتغطيس، ليصف مشاركة المسيحي في حياة المسيح نفسها: ذلك انه دُفن في موت المسيح لحياة جديدة. فالعماذ يميت الجسد الذي هو أداة الخطيئة، ويمكّن المشاركة، في المسيح، بحياة لله. وهكذا انتهى زمن العبوديّة، فكان لنا في طقس العماذ تعبير عن استحواذ المسيح على المؤمن تجاه الخطيئة.

توضيح ثانٍ: نظام النعمة لا يدعو إلى الخطيئة (٦:١٥ -٧:٦)

١٥ فماذا إذًا؟ أَنَخطأُ لأَنَّنا لَسنا في حُكْمِ الشَّريعة، بل في حُكْمِ النِّعمَة؟ مَعاذَ اللهِ!
١٦ أَلا تَعلَمونَ أَنَّكم، إذا جَعَلتُم أَنفُسَكم عَبيدًا في خِدمَةِ أَحَدٍ لِتَخضَعوا لَه، صِرتُم عَبيدًا لِمَن تَخضَعون: إِمَّا لِلخَطيئَةِ وعاقِبَتُها المَوت، وإِمَّا لِلطَّاعَةِ وعاقِبَتُها البِرّ؟
١٧ ولكِنِ الشُّكرُ للهِ! فقد كُنتُم عَبيدًا لِلخَطيئَة ولكِنَّكم أَطَعتُم بِصَميمِ قُلوبِكم أُصولَ التَّعليمِ الَّذي إِلَيه وُكِلتُم.
١٨ وأَصْبَحْتُم، بَعدَما حُرِّرتُم مِنَ الخَطيئَة، عَبيدًا لِلبِرّ.
١٩ وتَعْبيري هذا بَشَرِيٌّ يُراعي ضُعفَ طَبيعَتِكم . فكما جَعَلتُم مِن أَعضائِكم عَبيدًا في خِدمةِ الدَّعارةِ والفِسْقِ وعاقِبَتُهما التَّمرُّدُ على الله، فكَذلِكَ اجعَلوا الآنَ مِنها عَبيدًا في خِدمَةِ البِرِّ الَّذي يَقودُ إِلى القَداسة.
٢٠ لَمَّا كُنتُم عَبيدًا لِلخَطيئَة، كُنتُم أَحرارًا مِن جِهَةِ البِرّ،
٢١ فأَيَّ ثَمَرٍ حَمَلتُم حينَذاك؟ إِنَّكم تَخجَلونَ الآنَ مِن تِلكَ الأُمور لأَنَّ عاقِبَتَها المَوت.
٢٢ أَمَّا الآنَ، وقَد أُعتِقتُم مِنَ الخَطيئَة وصِرتُم عَبيدًا لله، فإِنَّكم تَحمِلونَ الثَّمَرَ الَّذي يَقودُ إِلى القَداسة، وعاقِبَتُه الحَياةُ الأَبَدِيَّة،
٢٣ لأَنَّ أُجرَةَ الخَطيئَةِ هي المَوت، وأَمَّا هِبَةُ اللهِ فهي الحَياةُ الأَبَدِيَّةُ في يسوعَ المَسيحِ رَبِّنا.

٧ ١ أَوَتَجهَلونَ، أَيُّها الإِخوَة، وإِنِّي أُكَلِّمُ قَومًا يَعرِفُونَ الشَّريعة، أَن لا سُلطَةَ لِلشَّريعةِ على الإِنسانِ إِلاَّ وهو حَيّ؟
٢ فالمَرأَةُ المُتَزَوِّجَةُ تَربِطُها الشَّريعةُ بِالرَّجُلِ ما دامَ حَيًّا، فإِذا ماتَ حُلَّت مِنَ الشرِّيعةِ الَّتي تَربِطُها بزَوجِها.
٣ وإِن صارَت إِلى رَجُلٍ آخَر وزَوجُها حَيّ، عُدَّت زانية. و إِذا ماتَ الزَّوجُ تحَرَّرَت مِنَ الشَّريعة، فلا تَكونُ زانيةً إِذا صارَت إِلى رَجُلٍ آخَر.
٤ وكَذلِك أَنتُم يا إِخوَتي، فقَد أُمِتُّم عنِ الشَّريعةِ بِجَسَدِ المسيح لِتَصيروا إِلى آخَر، إِلى الَّذي أُقيمَ مِن بَينِ الأَموات، لِنُثمِرَ لله،
٥ لأَنَّنا حينَ كُنَّا في حُكْمِ الجَسَد، كانَتِ الأَهواءُ الأَثيمَةُ تَعمَلُ في أَعضائِنا مُتذَرِّعةً بِالشَّريعة، لِكَي نُثمِرَ لِلمَوت .
٦ أَمَّا الآن، وقَد مُتْنا عَمَّا كانَ يأسِرُنا، فقَد حُلِلْنا مِنَ الشَّريعة وأَصبَحْنا نَعمَلُ في نِظامِ الرُّوحِ الجَديد، لا في نِظامِ الحَرْفِ القَديم .

لا يستثني بولس نفسه عن وضع المسيحيين العامّ، لذا نراه يكرر عبارة آ١٤ج، في صيغة المتكلّم الجمع: "**أنخطأ لأننا لسنا في حكم الشريعة، بل في حكم النعمة؟**" (آ١٥)، ويبرِّر جوابه السلبي على السؤال بواسطة وحدتين (آ ١٦–٢٣؛ ٧:١–٦): "ألا تعلمون" (آ١٦) "أوَتجهلون" (١:٧). في هذا المقطع الثاني، يوبّخ بولس الرومانيين، دون ان ينسى أنه ينتمي معهم إلى الجماعة عينها (١٥:٦، ١٧أ؛ ٤:٧ب–٦). وإذا لفت الانتباه، في الوحدة الأولى ١٦:٦–٢٣، إلى التحرّر من الخطيئة؛ ففي الوحدة الثانية ١:٧–٦، يشدد على الانعتاق من الشريعة التي كانت تثير "الأهواء الأثيمة".

يقابل بولس، في بداية المقطع، بين نوعين من الحياة: الأول مطبوع بالشريعة وبالهمّ على تتميم الوصيّة؛ والثاني هو تحت لواء النعمة وقبول عطيّة الله؛ ويختم في نهاية المقطع بالقول: "**أصبحنا نعمل في نظام الروح الجديد، لا في نظام الحرف القديم**" (حرفيا: بحيث اصبحنا نخدم في جدّة الروح، لا في عتق الحرف). هذا المقطع يُفاجئ القارئ، لأن الشريعة والنعمة اللّتين تظهران في جوهر شروحات بولس، تبدوان هنا وكأنهما غائبتان: فالشريعة لا تظهر إلا في ١:٧...، والنعمة لا تُذكر إلا في آ٢٣أ، ومن خلال عبارةٍ مشتقّة هي "هبة الله". اما عبارة "الشكر لله" (آ٢٥أ)، فهي من سياق آخر. وبولس يريد ، بالحقيقة، أن يُظهر لقرائه أن مسألة الخطيئة، بالنسبة إلى المسيحيين، لا يجب أن تُطرح بعد الآن، لأنه قد وُضع حدٌّ نهائي لسيادتها. ففي الوحدة الأولى (١٦:٦–٢٣)، هوذا بولس يعيد تأكيدات المقطع السابق ويتوسّع فيها، واصفا الوضع الجديد لمسيحيي روما: "**أصبحتم، بعدما حُرّرتم من الخطيئة، عبيدًا للبر**" (١٨:٦). أما في (١:٧–٦)، فيعود إلى الشريعة التي تثير "الأهواء الأثيمة" والتي تم تحرير المسيحيين منها. لذا لا يمكن أن يُتّهم بأنه يدعو إلى الخطيئة لتفيض النعمة، طالما ان المسيحيين قد تحرّروا منها نهائيًا. ويا له من تفاؤل!

في ١٦:٦–٢٣ رتّب بولس تفكيره عبر التضاد بين مفردات "اطاع، جعل ذاته في خدمة، عبد" (١٦:٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٢) من جهة، وبين مفردات "حرَّر، حر" (١٨:٦، ٢٠، ٢٢) من جهة ثانية. وقد استعمل بولس هذه المفردات بشكل مزدوج؛ انه، تماشيًا مع تقليد العهد القديم، يتذكّر أنه من الفخر للإنسان أن يكون خادمًا، بل عبدًا لسيّد قادر ومهم؛ لذا نراه لا يتردّد في إبراز هذه الصفة، مع علمه بالطابع النسبي للعبارات المستعملة (آ١٩).

وبولس، في دحضه "الدعاة الخطيئة"، يستذكر الخبرة العامّة (آ١٦). فبوسع الطاعة أن تكون طاعة للخطيئة، فتفتح بالتالي أبواب الموت المحقّق، بدل من أن تفتح

أبواب الحياة لله؛ وبوسعها ايضا أن تكون طاعة لله، فتقود إلى البرّ. فان الخطيئة والبر لا يتعارضان بصفتهما قوّتين تتنازعان المسيحيين، لأن الله هو إلى جانب البر: انه هو الذي يحقق البر، والنتيجة معروفة أصلاً. لقد غلب البر، لأنه نتيجة عمل الله، كما أن الموت هو فعل الخطيئة.

وللتعبير عن القرار الملحّ الذي يجب على المسيحيين أن يتخذوه، يضع بولس، وجهاً لوجه، الخطيئة (٦:١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٣) والبر (٦:١٨، ١٩، ٢٠) ويشخّصهما. ويدعو مسيحيي روما لاختيار معسكرهم، علمًا بأن نتيجة المعركة محسومة مسبقا، لأن المسيحيين قد نجوا من الخطيئة أقلّه مبدئيا: "**كنتم عبيدًا للخطيئة... لكنكم أطعتم الآن**" (آ١٧). إلا ان القطيعة مع الخطيئة، كما يظهر جليًّا من الأفعال المستعملة بصيغة المجهول في آ١٨، ليست من فعل المسيحيين، بل من فعل الله. وتلخّص الآية ١٨، بواسطة مفردات جديدة، المقطع السابق.

إن الانتقال من التعلّق بالخطيئة إلى عبوديّة البرّ (آ١٧ب-١٨)، يتضمّن نتائج عمليّة يذكرها بولس في آ١٩-٢٣. وتشكّل دعوة آ١٩ب فاتحة للآيات ٢٠-٢٢ المبنيّة على شكل تناقض، فتتبنّى صورة الطريقين الشهيرة التي تعرض أمام الإنسان إمكانية الاختيار (تث ٣٠:١٥-١٨؛ متى ٨:١٣-١٤)؛ الطريق الأول يقود إلى الموت، والثاني إلى الحياة. لكن بولس يعتبر أن الاختيار قد تمّ، وهو يشكّل الهويّة المسيحيّة، بفضل عمل الله في المسيح:

٦:٢٠ لما **كنتم عبيدًا للخطيئة**، كنتم أحرارًا من جهة البرّ

٦:٢١ فأي ثمر "حملتم" حينذاك؟ إنكم تخجلون الآن من تلك الأمور، لأن **عاقبتها الموت**.

٦:٢٢ أما الآن، وقد **أعتقتم من الخطيئة** وصرتم عبيدًا لله، فإنكم تحملون الثمر الذي يقود إلى القداسة، وعاقبته **الحياة الأبديّة**.

يشدّد بولس في هذه الآيات على القطيعة التي تحقّقت مع الماضي (الآن آ١٩ب، وتكررت في آ٢١-٢٢)، ويدعو إلى اختيار يخص الحاضر، ويذكّر بالهدف الأخير. لقد عرف قراء بولس عصيان الله الناتج عن النجاسة والفوضى؛ انهم مدعوون الآن الى خدمة البر الذي يقود إلى ***القداسة*** (آ١٩ب). هذه المفردة تتكرّر في آ٢٢، ليس كهدف يجب أن يتحقّق، بل كحقيقة راهنة يحياها المسيحي على طريق الحياة الأبديّة. وفي مقابل الفوضى

والحياة الفاسقة (حرفيًّا: بلا شريعة anomia التي يستعملها مرتين في آ١٩)، تعبّر القداسة عن الشراكة مع الله. ففي حين تتسبّب الخطيئة بأعمال عديدة تمزّق الإنسان، وهي مترابطة مع بعضها (هذه *"الأمور عاقبتها الموت"* آ٢١؛ راجع آ١٩: دعارة وفسق)؛ وعلى العكس من ذلك، فان خدمة الله توحّد الإنسان وتنبت القداسة.

في آ٢٣ يتكرّر الكلام عن هبة الحياة الأبديّة؛ فالحياة المتأثّرة بالخطيئة تحمل الموت كنتيجة حتميّة؛ أما نتيجة الحياة بحسب البرّ، فهي الحياة الأبديّة، شرط أن يتذكّر المؤمن أن ذلك ليس أجرة عملٍ ما، بل هبة مجانية. إن هبة الله المجانيّة بيسوع المسيح هي أساس العلاقات بين الله والبشريّة (راجع ٥:١٥-١٦).

أي "تعليم أساسي؟" (روم ٦:١٧)

"أطعتم بصميم قلوبكم أصول التعليم الذي إليه وُكلتم" (آ١٧) **عبارة صعبة! والترجمة الحرفيّة هي: "قاعدة التعليم التي إليها أُسلمتم". يدلّ الفعل في صيغة المجهول إلى الله، كونه هو فاعل هذا التسليم. ولكن ما هو هذا التعليم الأساسي؟ رأى البعض أن هذا التعليم يعود إلى زمن لم يكن فيه الذين يكتب إليهم بولس قد صاروا مسيحيين بعد، لذا ترجموا: "الشكر لله! فمع أنّكم كنتم خطأة وأطعتم من كلّ قلبكم مثال التعليم الذي خضعتم له، والآن، وقد حُررتم من الخطيئة..." وهكذا تبدو العبارة متعلقة بماضي الرومانيين، وتعود إلى الزمن الذي كانوا فيه وثنيين أو يهودًا. لكنّها ترجمة لا تحترم النص اليوناني.**

يجدر بنا ان نحافظ على التفسير العادي، ونعطي لكلمة "قاعدة" (Typos) معنى "ملخّص التعليم الذي يتضمن وجهاً عمليًّا". ذلك ان الأفعال المستعملة تفترض تغييرًا حاسمًا سبق ان حصل في وقت معيّن (في الماضي الناجز). فلقد كان المؤمنون يتلقّون، عند العماد، ملخّصًا للكرازة المسيحيّة، إضافة إلى عدد من القواعد توجه السلوك العملي. فمع أنّ صيغة المجهول "وُكِلتم" تؤكّد بوضوح على دور الله، إلا ان بوسعها أن تدل على فكرة الانتقال الحرّ من سيد إلى آخر، كما كان يحصل في القديم.

تشكّل الوحدة ٧:١-٦ الشقّ الثاني من الجواب السلبي على السؤال المطروح في ٦:١٥: **"أنخطأ لأننا لسنا في حكم الشريعة، بل في حكم النعمة؟ معاذ الله!"**. لم يذكر بولس الشريعة في الفصل ٦، بالتضاد مع النعمة، سوى مرتين، إلا انه ركّز تفكيره من ثم على الخطيئة وعلى الحواجز الموضوعة بينه وبين المسيحيّين. فلم يوضّح رأيه بشأن مكانة

الشريعة. بيد أن ذلك بدا ضرورياً، لأن الشريعة، بحسب رأيه، هي التي تعرِّف بالخطيئة (٣: ٢٠) وتتسبّب بتكاثر الخطأ (٥: ٢٥).

"**لا سلطة للشريعة على الانسان إلا وهو حي**"! (آ١ ج). يرتكز بولس، في شرح رأيه، على عادة في التشريع الروماني تستطيع المرأة بموجبه، إذا مات زوجها، أن تكون شرعيًّا لغيره. فبموت الرجل، لا يعود للشريعة من سلطة تمارسها تجاه المرأة. فمع أن الرسول لا يقيم مقارنة كاملة بين حالة المرأة المحرّرة بموت زوجها وحالة المسيحيين، لكنه استفاد من هذه الممارسة التشريعيّة. فإن المبدأ المذكور في آ١ يشبه إلى حد ما الوجود المسيحي: فلكي يتحقّق التحرّر، لا بدّ من موت شخص ثالث. لقد تحرّرت المرأة من شريعة الزوج (آ٢)، بحكم موته؛ فبالطريقة عينها تحرّر المسيحيون من الشريعة (آ٦)، لأن "**جسد المسيح" المصلوب أماقم عن الشريعة**". وهكذا أبطل موت المسيح الشريعة بالنسبة إلى المسيحيين؛ وكما أن المرأة المذكورة في آ١-٣ لم تعد خاضعة للشريعة التي تربطها بزوجها، هكذا ايضا حُرِّر المسيحيّون من الشريعة.

وتؤكّد آ٤ هذا التفسير، ولكن: بخلاف المرأة (وهي لا تموت بموت زوجها)، على المسيحيين أن يمرّوا في الموت، اتحاداً مع المسيح (٦: ٣-٨). ذلك ان المسيحيين، وقد تحرّروا من الشريعة، اصبحوا ملك المسيح (ينتمون إلى آخَر، إلى القائم من بين الأموات آ٤)، لأن جسد المسيح حرّرهم، فجُذبوا إلى مغامرة الموت. لقد اهتمّ بولس دائمًا بإظهار المفاعيل العمليّة لحالة المسيحيين الجديدة؛ إنهم اليوم، يحملون ثمارًا لله. بينما في السابق، كانت أهواء الإثم، في الجسد، تعمل في أعضاء المسيحيين بواسطة الشريعة (آ٥ راجع ٦: ١٣، ١٩) ليحملوا ثمارًا تقود إلى الموت (راجع ٦: ٢١-٢٢). ففي حالة جسدية ضعيفة يعيشها الإنسان، كانت الأهواء الأثيمة تستعمل الشريعة لتقود إلى الموت. أما الآن، فالشريعة باقية، لكن المسيحيين تحرّروا منها، ولم يعد بإمكانها أن تصبح أداة للخطيئة. فلقد غيّر موت المسيح العلاقة بالشريعة بشكل جذري. والمسيحيون، إذ ماتوا عن الشريعة، فقد ماتوا عما كان "يستعبدهم". هذه العبارة الأخيرة لا تقصد الشريعة فقط، بل كل ما يؤدّي إلى نظام استعبادي: أي اللحم، الأهواء الآثمة، الشريعة. إن الموت عن الخطيئة يفتتح حياةً جديدة تتميّز بالوحدة مع القائم من الموت وبحضور الروح.

كان بولس قد وضع تضاداً بين حكم الشريعة وحكم النعمة، وها هو في آ٦ يضع، وجها لوجه، "جدة الروح" (خدمة جديدة، خدمة الروح) و"**عتق الحرف القديم**" (الخدمة القديمة، خدمة حرف الشريعة). هذه الازدواجيّة المتناقضة "روح/حرف" تشكّل مقدّمة لروم ٨. ففي بداية آ٦، يستعمل بولس "الشريعة" بمعنى الشريعة الموسويّة؛ ثم يدع هذه

العبارة جانبًا لصالح عبارة "الحرف"، لأن التناقض ليس بين الروح والشريعة، بل بين الروح والحرف (راجع الفصل ٢ بشأن الروح والحرف). ذلك ان "عتق الحرف" هو طابع الحقبة التي كانت فيها الأهواء الأثيمة تتدخّل بصفتها قوى الموت، حين كانت الشريعة، كحرف مكتوب، مفروضة على الإنسان العاجز عن تحقيقها. أما "جدّة الروح"، فهو الزمن الذي يعطي فيه الروح القوّة لتتميم المطلوب، حين تفقد الشريعة ما فيها من طاقة للموت، تستخدمها الأهواء الأثيمة. وهكذا، فان لعبارة "جدة الروح" صلة بإرميا الذي يتكلّم عن "عهد جديد" (٣١:٣١)، وبحزقيال الذي يتنبّأ بـ"قلب جديد، وروح جديد" (٢٦:٣٦)، مما يؤكّد على ما ورد في روم ٨:٢. فإنّ ازدواجيّة جديد/قديم تذهب بنا إلى الرجاء النبوي، في علاقة جديدة بين الله وشعبه.

الجزء الثاني

الخطيئة والشريعة (٧:٧-٢٥)

يرتبط القسمان ٧:٧-٢٥ و ٨:١-٣٩ كما يرتبط وجها حقيقة واحدة. في روم ٧، نقرأ وصفًا لقوّة الخطيئة التي تجبر الإنسان على العيش بحسب الجسد، وتُبعِد الشريعة عن هدفها. أما في روم ٨، فإن الشريعة التي "حُكم عليها في الجسد" صارت عاجزة، في حين يسمح الروح بنوع جديد من الحياة. وتشكّل روم ٧:١-٦ الانتقال نحو توضيح بشأن الشريعة. وبولس، قبل ان يصف الحياة المسيحيّة، بكونها حياة بحسب الروح، يوضح نظرته إلى الشريعة، نظرًا لضرورة ذلك في محيط الوثنيين المسيحيين بروما الذين يحتقرون الشريعة. فلقد أراد بولس التأكيد على أن العجز الأساسي ليس في الشريعة، بل في الإنسان ذاته. كان الرسول، عبر صيغة مؤثرة، قد قدَّم الشريعة في ٧:٥ على انها "أداة" للأهواء الأثيمة؛ ومثل هذه النظرة تستوجب التوضيح. وهذا ما يقوم به بولس على مرحلتين: يتساءل أولاً حول طبيعة الشريعة ودورها (٧:٧-١٣)، ومن ثمّ يكشف أنّ المأساة تأتي من طبيعة الإنسان نفسه (٧:١٤-٢٥)؛ إنه بشرٌ لحمي، تضعه طبيعته في خدمة الخطيئة التي تحوّل الضعف إلى خطأ (آ١٤ و آ٢٥).

طبيعة الشريعة ودورها (٧:٧-١٣)

٧ **فماذا نَقول؟ أَتَكونُ الشرَّيعةُ خَطيئَة؟ مَعاذَ الله! ولكِنِّي لم أَعرِفِ الخَطيئَةَ إِلاّ بِالشرَّيعَة. فلَو لم تَقُلِ الشرَّيعة: لا تَشتَهِ، لَما عَرَفتُ الشَّهوَة.**

٨ وانتهَزَتِ الخَطيئةُ الفُرصَةَ فأَورَثَتْني بِالوَصيَّةِ كُلَّ نَوعٍ مِنَ الشَّهَوات، فإِنَّ الخَطيئَةَ بِمَعزِلٍ
عن الشَّريعَةِ شيءٌ مَيت.
٩ كُنتُ أَحْيا مِن قَبْلُ إذ لم تَكُنْ شَريعة. فَلَمَّا جاءَتِ الوَصِيَّة، عاشَتِ الخَطيئَةُ ومُتُّ أَنا.
١٠ فإذا بالوَصِيَّةِ الَّتي هي سَبيلٌ إلى الحَياةِ قد صارَت لي سَبيلاً إلى المَوت،
١١ ذَلِك بِأَنَّ الخَطيئَةَ انتهَزَتِ الفُرصَةَ سَبيلاً فأَغوَتْني بالوَصِيَّةِ وبِها أَماتَتْني.
١٢ الشَّريعَةُ إذًا مُقَدَّسةٌ والوَصِيَّةُ مُقَدَّسةٌ عادِلةٌ صالِحة.
١٣ فهَل صارَ الصَّالِحُ سَبَبًا لِمَوتي؟ مَعاذَ اللّه! ولكِنَّ الخَطيئَةَ، لِيَظهَرَ أَنَّها خَطيئة، أَورَثَتْني
المَوتَ، مُتَذَرِّعةً بما هو صالِح، لِتَبلُغَ الخَطيئَةُ أَقْصى حُدودِ الخَطيئَة، مُتَذَرِّعةً بِالوَصِيَّة.

بُنيت الآيتان ٧ و ١٣ بالطريقة عينها، وهما تشكّلان تضمينًا يحدِّد المقطع. ففي آ٧-١٣، اغلب الأفعال هي في صيغة الماضي، وقد استعمِلت فيها عبارتان متقاربتان هما "**الشريعة**" و "**الوصايا**". أما ابتداءً من آ١٤، فتأتي الأفعال كلّها في صيغة الحاضر، ويغيب كل ذكر للـ "**وصية**". ذلك ان الشريعة ليست خطيئة (آ٧ب) بل، على العكس، هي مقدّسة، ولا يمكن للخطيئة أن تغيّر من طبيعتها. لكن الخطيئة تستعمل ما هو جيّد لتصنع الموت، وهي بذلك تظهر خبثها (آ١٢-١٣). وبين هذين الموقفين، يتساءل بولس حول سيطرة الخطيئة على الشريعة.

وبولس، بغية شرح أفكاره المتعلّقة بالشريعة التي هي "سبيل لمعرفة الخطيئة" (٣:٢٠)، وبالتالي وسيلة "لتكثر الزلة" (٥:٢٠)، هوذا يتناول وصية محدّدة، تلك التي تحرّم الشهوة. ويُظهر بولس بأنه كان لا بدّ ان تتحدد الوصيّة لكي يكون هناك إثم؛ ومن خلال هذه الوصيّة، استطاع الرسول أن يلمّح إلى آدم (تك ٣:١٣). فالآيتان ٨ و ١١ متوازيتان: وصية معيّنة تفرض على الإنسان أن يأخذ موقفًا؛ وهنا تكمن عظمة الوصيّة ومبرّر وجودها. فإن تُمِّمت الوصيّة، تكون مصدر حياة؛ وإن رُفضت قادت إلى الموت. وفي الواقع، لا يمكن أن يحصل تمرّد إلا إذا كانت هناك شريعة (٤:١٥). وهنا يلعب بولس، في النص، على كلمتين، هما شريعة ووصيّة (آ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣). وهكذا فان استعمال "الوصية" يُغني ارضية النص من العهد القديم، لأن عبارة "وصية" تذكّر بالشريعة الموسويّة (خر ٢٠:١٧؛ تث ٥:٢١) -وقد وردت بنوع جليّ في آ٧ج، لكنّها توحي أيضًا بالوصيّة التي وُجِّهَت قديمًا إلى آدم (آ٩). ذلك أن الوصيّة هي منذ البدء وراء تأسيس الإنسانيّة. كما ان اللعب على عبارتي **الشريعة/الوصيّة**، يُضفي منحى شموليا على الفكر البولسي، مع الحفاظ على الدور الخاص بالشريعة الموسويّة. ففيما يحدّد بولس دور الشريعة الموسوية، يرسِّخ الفكرة بإظهاره بأن كلّ وصيّة تلعب دورًا مشابهًا وملزما، سواء عُرفت

عبر الضمير ام عبر الشريعة. وبالتالي، فإن الخطيئة تولد عندما يُخرق أمر الوصيّة (آ٩ب). فشريعة موسى جيّدة هي، لأنها عرّفت إسرائيل على إرادة الله، لكنّها تُبرز قوة الخطيئة التي عرفت كيف تحتويها.

ليست الشريعة هي السبب، بل ضعف الإنسان (٧: ١٤-٢٥)

١٤ نَحنُ نَعلَمُ أَنَّ الشَّريعةَ روحيَّة، ولكِنِّي بَشَرٌ بيعَ لِيَكونَ لِلخَطيئَة.
١٥ وحقًّا لا أَدْري ما أَفعَل: فالَّذي أُريدُه لا أَفعَلُه، وأَمَّا الَّذي أَكرَهُه فإِيَّاه أَفعَل.
١٦ فإِذا كُنتُ أَفعَلُ ما لا أُريد، فإِنِّي أُوافِقُ الشَّريعةَ على أَنَّها حَسَنَة.
١٧ فلَستُ أَنا الَّذي يَفعَلُ ذلِكَ، بَلِ الخَطيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ ،
١٨ لأَنِّي أَعلَمُ أَنَّ الصَّلاحَ لا يَسكُنُ فِيَّ، أَي في جَسَدي. فالرَّغبَةُ في الخَيرِ هي بِاستِطاعَتي، وأَمَّا فِعلُه فلا.
١٩ لأَنَّ الخَيرَ الَّذي أُريدُه لا أَفعَلُه، والشَّرَّ الَّذي لا أُريدُه إِيَّاه أَفعَل.
٢٠ فإِذا كُنتُ أَفعَلُ ما لا أُريد، فلَستُ أَنا أَفعَلُ ذلِك، بلِ الخَطيئَةُ السَّاكِنةُ فِيَّ.
٢١ فأَنا الَّذي يُريدُ فِعلَ الخَيرِ أَجِدُ هذه الشَّريعة، وَهيَ أَنَّ الشَّرَّ بِاستِطاعَتي،
٢٢ وأَنِّي أَطيبُ نَفسًا بشَريعةِ اللهِ مِن حَيثُ إِنِّيَ إِنسانٌ باطِن،
٢٣ وَلكِنِّي أَشعُرُ في أَعْضائي بِشَريعةٍ أُخرى تُحارِبُ شَريعةَ عَقْلي وتَجعَلُني أَسيراً لِشَريعةِ الخَطيئَة، تِلكَ الشَّريعةِ الَّتي هي في أَعْضائي.
٢٤ ما أَشْقاني مِن إِنسان ! فَمن يُنقِذُني مِن هَذا الجَسَدِ الَّذي مَصيرُه المَوت؟
٢٥ الشُّكرُ لله بِيَسوعَ المسيحِ ربِّنَا ! فهاءَنَذا عَبْدٌ بِالعَقْلِ لِشَريعةِ الله وعَبْدٌ بِالجَسَدِ لِشَريعةِ الخَطيئَة .

يتألّف المقطع من وحدتين. تؤكّد الوحدة الأولى بأن الشريعة ليست السبب، بل ضعف الإنسان الذي استغلته الخطيئة (آ١٤-٢٥)؛ وتذهب الوحدة الثانية (آ٢١-٢٥) الى أبعد، حين تحدّد الآليات التي تتلاعب في الإنسان، فتحوّله من ضعيف إلى خاطئ.

توضح الوحدة الأولى (آ١٤-٢٠) الروابط بين الشريعة، والخطيئة، والموت (راجع. آ١٠-١١، ١٣). ليس الخطأ في طبيعة الشريعة بل في طبيعة الإنسان؛ فالشريعة روحيّة، لكن الإنسان بشر لحمي. ويضاف إلى مثلّث الشريعة والخطيئة والموت عنصر رابع: اللحم المرتبط بطبيعة الإنسان نفسه؛ فالإنسان لحمي، ضعيف؛ وضعفه يؤدي به إلى الخطيئة (آ١٤ج.)، لذا يفترض أن يُخلق من جديد. ولقد بُنيت آيات عدّة بشكل متوازٍ

(آ١٥، ١٦أ، ١٧ من جهة، و آ١٩، ٢٠أ، ٢٠ب من جهة أخرى) لتعطي طابعًا مأساويًّا لضعف الإنسان الذي تسكنه رغبة في الخير، لكنّه في الحقيقة ضحيّة الخطيئة التي تملكت عليه.

آ١٥: **الذي أريده لا أفعله، وأما الذي أكرهه فإياه أفعل**
آ١٩: **الخير الذي أريده لا أفعله، والشر الذي لا أريده أفعله**
آ١٦أ: **فإذا كنت افعل ما لا أريد، فإني أوافق الشريعة**
آ٢٠أ: **فإذا كنت افعل ما لا أريد... انها الخطيئة الساكنة فيّ**
آ١٧: **فلست أنا الذي يفعل ذلك، بل الخطيئة الساكنة فيّ**
آ٢٠ب: **فلست أنا الذي يفعل ذلك، بل الخطيئة الساكنة فيّ.**

وهكذا تشخّص الآية ١٨ الكائن اللحمي وتحدّد مأساة الإنسان: في الإنسان رغبة في عمل الخير، لا يستطيع تحقيقه بسبب ضعفه الطبيعي. فان لديه الوعي الكافي ليعترف بأن الشريعة جيدة، وان عليه ان يسعى إلى الخير، لكن ليس لديه القوّة التي تسمح له بتحقيق هذا الخير، لأن الخطيئة تفرض شريعتها، شريعة الشر. هنا يأتي دور الروح الذي يسعى إلى ان يجنّب الإنسان هذا الضعف الكامن في قلب الرغبة غير المشَبعة. لكن بولس، وقبل أن يُظهر بان بوسع الروح ان يجنّب المرء هذه المأساة، يتابع دراسة الصراع الموجود في الإنسان ويذكر آلياته.

وما نشهده من توتر في الإنسان لا يعود إلى أسباب ظرفية عابرة. ذلك ان، لعجزه عن الانتقال من "إرادة" الخير إلى "فعل" الخير، اساساً ابرزته الوحدة الثانية (آ٢١-٢٥). وينطلق بولس من الاستنتاج بأن "**الشر باستطاعتي**" (آ٢١)؛ وليس ذلك أمرا مفاجئًا، بما أن الخطيئة تسكن الإنسان، ولكنه يبحث باهتمام عن أسباب هذا التمزّق لدى الإنسان. وهنا نجدنا بازاء بعض الأفكار الأنتروبولوجيّة التي تنير مأساة الإنسانيّة. فالإنسان الباطن هو الإنسان الذي يحرّكه العقل او الفكر (في اليونانيّة: نحن)، أي الإنسان المدرك، القادر على الاعتراف بصلاحية شريعة الله، أي إرادته (راجع ٢:١٤-١٥). لكن هناك شريعة أخرى -فُضحت في آ٢١- ما زالت تعمل: انه الشر يفرض نفسه؛ انها تجعل الإنسان سجين شريعة الخطيئة، لأنها تُخضعه للخطيئة. والشر الذي يقوم به الإنسان، يحارب شريعة عقله الذي يريد الخير، دون أن يستطيع تحقيقه؛ وهكذا يجعل منه الشر سجين قوّة الخطيئة. هذا هو معنى آ٢٣ حيث لا تتماهى "**الشريعة الأخرى**" مع شريعة الخطيئة، بل تخدمها، وكأن في الإنسان نزعة إلى الشر، بمثابة طبيعة ثانية فتسهّل سيطرة الخطيئة.

معانٍ مختلفة لكلمة "شريعة"

تتخذ عبارة "شريعة"، في الفصل ٧ وبداية الفصل ٨ من الرسالة إلى الرومانيين، معاني متعدّدة يوضحها بولس أحيانًا باستعماله صفة ينعتها بها، ولكن ليس دائمًا. فيما يلي مختلف المعاني الممكنة لهذه الكلمة:

- **التشريع الروماني** (٧: ١ -٣)
- **الحدث، الواقع** (٧: ٢١)
- **شريعة الله** أو الشريعة التي يتبعها العقل (آ٢٢، ٢٣، ٢٥). فالانسان، حتى حين لم يكن قد تجدّد بقوّة الروح، يعرف بعقله ما يجب عليه فعله، ولو كان غير قادر على تتميمه. وتأخذ شريعة الله وجه الشريعة الموسويّة، لكنّها لا تتماهى معها. فالوثنيّون أنفسهم، مع جهلهم لشريعة موسى، يستطيعون التعرّف إلى شريعة الله، والعيش بموجبها، من خلال ضميرهم.
- "**الشريعة الأخرى**" (آ٢٣) تدلّ على قوة تفرض ذاتها على الإنسان.
- "**شريعة الخطيئة**" (آ٢٣، ٢٥؛ ٨: ٢): حين تسيطر الخطيئة على الإنسان لتقوده بعيدًا عن السُبُل التي يستشفها عقله أنها سبل واعدة.
- "**شريعة الروح**" التي تمنح الحياة (٨: ٢)، القريبة من شريعة المسيح (غـــل ٦: ٢)؛ إنها الشريعة التي لا تفرض ذاتها على الإنسان من الخارج، بل هي تلك التي يقتنع الإنسان بصوابيّتها، وتتجسد في رغبة العيش بحسب الإنجيل. وغالبًا ما تدلّ العبارة على "**شريعة موسى**" (٧: ٤، ٥، ٦، ٧، إلخ) في مختلف أوجهها، لأنها تتضمّن مهمّات متعدّدة.
- يمكن أن تدلّ على **الشريعة التي "تأمر"** وتفرض، وفي هذه الحالة تناقض الإيمان، لأنها تقود إلى موقف الثقة بالأعمال، وليس إلى موقف الاستسلام لله (٣: ٢١أ، ٢٧، ٢٨). فالشريعة الآمرة تبرز الخطيئة والعصيان، وتنزع عنهما القناع، فتؤدّي بالإنسان إلى الاعتراف بأنه خاطئ (٣: ٢٠؛ ٤: ١٥؛ ٧: ٨ -١٢)، فهي بالتالي ليست خارجة عن مشروع الله الخلاصي. ليس للشريعة قدرة على اعطاء الحياة او التبرير، لأن الخطيئة تسيطر عليها فتفقدها قوتها؛ انها تأمر، ولكنها تبقى عاجزة عن إعطاء القوّة للتنفيذ.
- شريعة موسى هي أيضًا "**نبوءة**"، وإعلان عن الحالة الراهنة (٣: ٢١ب، ٣١)؛ وكانت قد اعطيت لاسرائيل لتقوده الى المسيح (غـــل ٣: ٢٤). والشريعة، من هذا المنطلق، تتوجّه بكليّتها نحو المسيح الذي يتمّمها (١٠: ٤). وهكذا يسير الإنجيل والشريعة في الخط عينه، شرط أن لا يعطي الإنسان الأولويّة لأعمال الشريعة الموسويّة. إنّ هدف الشريعة هو المحبّة، ومن يحب قريبه يتمّم شريعة موسى (١٣: ٨؛ غل ٥: ١٤). لم تفقد الشريعة شيئًا من قيمتها، طالما إنها تساعد الإنسان، في حياته اليوميّة، على عيش الحب الذي يشكّل ملء الشريعة؛ لكن ما عتق، هو كل ما يشكِّل، في الشريعة، حاجزًا بين إسرائيل والأمم، أو كل ما يعكس ملامح حقبة معيّنة من تاريخ إسرائيل.
- ويمكن للشريعة أخيرًا أن تدلّ على شريعة موسى بالمعنى الحصري، أي على كتب التوراة الخمسة (٣: ٢١ب)، لا بل ايضا على كلّ العهد القديم (٣: ١٩). ذلك ان الشريعة هي ميزة إسرائيل؛ أما الوثنيون، فهم من دون شريعة (٢: ١٤)، لأنهم لم يتلقّوا الشريعة الموسويّة، ومع ذلك، فهم ليسوا بلا شريعة، طالما أن ضميرهم يدلهم على تصرّف يرضي الله (٢: ١٥)؛ ومثل هذه الشريعة مكتوبة في قلوبهم. إنهم، وإن كانوا لا يملكون حرف الشريعة، لكنّهم قادرون على تتميم الوصايا الأخلاقيّة التي احتوتها شريعة موسى.

يطلق الإنسان المنقسِم نداء استغاثة للتخلّص من جسد الموت. فالجسد، إذا لم يتملّكه النَفَس، الروح (pneuma)، فسيخضع لا محالة للمبدأ الذي ذكّرت به الآية ٢١: فالشر بالتالي، هو وحده، في متناول الإنسان. الجسد هو جسد موت، وهو مكان تستفيد فيه الخطيئة من ضعف الإنسان الفطري لتزيغه عن شريعة الله، شريعة الحياة.

وتأتي آ ٢٥ب لتلخّص معطيات النقاش للإنسان الذي لم يستفد بعد من هبة الروح، ولم يتبرر: الإنسان عقل وبشر (لحم sarx). وهو بالتالي غير قادر على تحقيق ما يراه حسنًا، إذ ينقصه الروح، أي تلك القوّة التي تمكّنه من الانتقال إلى الفعل. ويكاد نص روم٧ ينتهي بصرخة عجز ويأس، لولا المجدلة التي حملتها آ٢٥أ، مذكّرة، بشكل غير مباشر، بأن بولس يتكلّم عن الإنسان "خارجاً" عن عمل المسيح: انه يعلم جيدًا أن الأمر لن يعود كذلك بعد الآن. ذلك هو مرمى مجدلة آ٢٥أ المقتضبة: "**الشكر لله بيسوع المسيح ربنا**". ذلك ان الإنسان لم يعد، منذ اليوم، في حالة يأس، فقد انتهى تمزّقه الفطري. وهكذا، وقبل إظهار دور الروح، كان لا بدّ من تبيان انقسام الإنسان الذي لا يقوده الروح.

من يقول "انا" في ٧:٧-٢٥؟

هناك، في ٧:٧-٢٥، فرادةٌ في استعمال الضمائر. ففي القلب من التفكير البولسي، نجد فاعلاً أساسيًا هو الـ "**أنا**"؛ وقد أثار تحديد هذه الشخصيّة أكثر من فرضية. ففي آ٧-١٣ يُقدَّم المشهد في صيغة الماضي، ولا يظهر في الـ "انا" أي انقسام داخلي. انه يشير إلى آدم -وقد شُخص جليًا في آ٩- بصفته الإنسان الذي يواجه الوصيّة الإلهيّة. وهذه الوصيّة، لملتقيها، هي أكثر شموليّة من الشريعة الموسويّة، لكنّها أكثر محدوديّة من حيث المضمون؛ ومع ذلك، فمبدأ الأمر والنهي مرتبط جوهريًا بالشريعة. هذا الـ "أنا" هو آدم، أو بالأحرى كل إنسان، على مثاله، يكون تحت سلطة الوصيّة والخطيئة والعصيان. أما في آ ١٤-٢٥، فالفاعل هو شخص معاصر لبولس، لذا رأى فيه بعضهم المسيحي الذي، بالرغم من الحياة مع المسيح، يبقى منقسمًا: يعترف بالخير ولا يتمّمه. وفي الواقع، يبدو من المنطقي، في صلة مع آ٧-١٣، ان نشخص الـ "أنا" في الخاطئ الذي لم يتبرّر بعد بالإيمان، أي ذاك الذي لم يقده الروح. وهكذا تصبح هذه الآيات بمثابة نظرة المسيحي إلى الإنسان الذي لم يصبح حتى الآن تحت إمرة الروح، وإلى المؤمن الذي يبقى منقاداً للروح إلى حدّ ما.

الكائن البشري بحسب بولس

الإنسان، بحسب بولس، كما بحسب الفكر السامي، يشكل وحدة متكاملة؛ ولكن بوسعنا أن نتناوله من وجهات نظر متعدّدة. كما انه لا يُفهم ابداً، في حد ذاته، خارجاً عن علاقته بالمجموعة التي ينتمي إليها: فهو كائن علائقي. هناك مفردات مختلفة تشخّصه من وجهة نظر خاصة:

- الفكر (نحن)، فالإنسان العاقل، قادر على معرفة إرادة الله، لكنّه عاجز عن تحقيقها.
- الجسد (Sôma) يشير إلى الإنسان في حياده، المهيّأ للخير كما للشرّ.
- اللحم sarx: عبارة هي في الأصل ذات معنى حيادي، لكنّها، لدى بولس، ، تدلّ على الضعف البشري المعرّض للخضوع لقوّة الخطيئة.
- الخطيئة (hamartia) هي أولاً قوة من خارج الإنسان، يشخّصها القديس بولس دون تردد. ولكن بوسعها أن تنتمي إلى الأنتروبولوجيّا لتدلّ على الإنسان في مقاومته الجذريّة لله.
- واخيرًا الروح (pneuma)، وهو يشير إلى قدرة الإنسان على المشاركة في حياة الله بالذات.

الجزء الثالث

الخطيئة والروح. معنى الحياة بالروح (٨: ١ -٣٩)

تكمن وحدة روم ٨ في فكرة محبّة الله التي تجلّت مرّة واحدة ووحيدة في إرسال الإبن (آ٣، ٣٩). ويأتي عمل الروح على مدى حياة المؤمنين ليُترجم محبة الله. ففي ٧:٧-٢٥، لا يلعب الروح القدس أي دور، حيث قدّم بولس أنتروبولوجيا لم تتوقّف عند الروح البشرية (المختلفة عن العقل ٢٣:٧). بالمقابل نجد، في روم (٨:١-٣٠)، واحدًا وعشرين استعمالاً لعبارة "روح" بصفاتٍ ومعانٍ متعدّدة (١٧ منها في آ١-١٧). فلقد بُنيت هذه النظرة حول الروح في مقطعين: في الأول تأكيد على أن الروح يقود حياة المؤمنين اليوم (٨:١-١٧)؛ وفي الثاني تأكيد على أنه يفتح على المستقبل (٨:١٨-٣٠). في حين تشكّل آ٣١-٣٩ الخاتمة، مكمّلة الفكرة في المقطع الذي افتتح المجموعة الثانية من الرسالة (٥:١-١١)، وتذكّر به.

الروح، دليل المؤمنين اليوم (٨: ١-١٧)

٨ ١ فَلَيس بَعدَ الآنَ مِن حُكْمٍ على الَّذينَ هُم في يسوعَ المسيح،
٢ لأَنَّ شَريعةَ الرُّوحِ الَّذي يَهَبُ الحَياةَ في يسوعَ المسيح قد حَرَّرَتْني مِن شَريعَةِ الخَطيئَةِ والمَوت.
٣ فالَّذي لم تَستَطِعْهُ الشَّريعة، والجَسَدُ قد أَعيْاها، حَقَّقه اللهُ بإرسالِ ابنه في جَسَدٍ يُشْبِهُ
جَسَدنا الخاطِئ، كَفَّارةً لِلخَطيئَة. فَحَكَمَ على الخَطيئَةِ في الجَسَد
٤ لِيَتِمَّ فِينا ما تَقتَضيهِ الشَّريعةُ مِنَ البِرّ، نَحنُ الَّذينَ لا يَسلكُونَ سَبيلَ الجَسَد، بل سَبيلَ الرُّوح.
٥ فالَّذينَ يَحيَونَ بِحَسَبِ الجَسَد يَنزِعونَ إِلى ما هو لِلجَسَد، والَّذينَ يَحيَونَ بِحَسَبِ الرُّوح
يَنزِعونَ إِلى ما هو لِلرُّوح.
٦ فالجَسَدُ يَنزِعُ إِلى المَوت، وأَمَّا الرُّوح فَينزِعُ إِلى الحَياةِ والسَّلام.
٧ ونُزوعُ الجَسَدِ عَداوَةٌ لله، فلا يَخضَعُ لِشَريعَةِ الله، بل لا يَستَطيعُ ذلِك.
٨ والَّذينَ يَحيَونَ في الجَسَد لا يَستَطيعونَ أَن يُرضُوا الله.
٩ أَمَّا أَنتُم فلَستُم تَحيَونَ في الجَسَد، بل في الرُّوح، لأَنَّ رُوحَ اللهِ حالٌّ فيكُم. ومَن لم يَكُنْ
فيه رُوحُ المسيح فما هو مِن خاصَّتِه.
١٠ وإِذا كانَ المسيحُ فيكُم، فالجَسَدُ مَيْتٌ بسَبَبٍ مِنَ الخَطيئَة، ولكِنَّ الرُّوحَ حَياةٌ بسَبَبٍ مِنَ البِرّ.
١١ فإِذا كانَ الرُّوحُ الَّذي أَقامَ يسوعَ مِن بَينِ الأَمواتِ حالاًّ فيكُم، فالَّذي أَقامَ يَسوعَ
المَسيحَ مِن بَينِ الأَموات يُحْيي أَيضًا أَجسادَكُمُ الفانيةَ برُوحِه الحالِّ فيكُم.
١٢ فنَحنُ إِذًا أَيُّها الإِخوَةُ علَينا حَقٌّ، ولكِن لا لِلجَسَدِ لِنَحْيا حَياةَ الجَسَد،
١٣ لأَنَّكم إِذا حَيِيتُم حَياةَ الجَسدِ تَموتون، أَمَّا إِذا أَمَتُّم بِالرُّوحِ أَعمالَ الجَسَدِ فسَتَحيَون.
١٤ إِنَّ الَّذينَ يَنقادونَ لِرُوحِ الله يَكونونَ أَبناءَ اللهِ حَقًّا.
١٥ لم تَتلَقَّوا روحَ عُبودِيَّةٍ لِتَعودوا إِلى الخَوف، بل روحَ تَبَنٍّ به نُنادي: أَبّا، يا أَبَتِ!
١٦ وهذا الرُّوحُ نَفْسُه يَشْهَدُ مع أَرواحِنا بأَنَّنا أَبناءُ الله.
١٧ فإِذا كُنَّا أَبْناءَ الله فنَحنُ وَرَثة: وَرَثَةُ اللهِ وشُرَكاءُ المسيحِ في المِيراث، لأَنَّنا، إِذا شارَكْناه في
آلامِه، نُشارِكُه في مَجْدِه أَيضًا.

هذا المقطع هو نص كريستولوجي بامتياز (آ١، ١٧) بالرغم من حضور الروح الدائم. وهذه الآيات تدعونا إلى القيام بمسيرة. انها تُفتتح بإعلانٍ يتعلّق بخلاص آني، استفاد منه أناس يذكرهم بولس من خلال عبارة عامة ("الذين هم في يسوع المسيح" آ١٠)؛ وتختتم بقول يشدد على أن أعضاء الجماعة المسيحيّة مدعوون إلى المجد الإسكاتولوجي: "نحن ورثة الله... نشاركه في مجده أيضًا" (آ١٧). يتألّف المقطع من أربع وحدات (آ١-٤؛ آ٥-٨؛ آ٩-١١؛ آ١٢-١٧).

فمن دون إغفال التأكيدات الأنتروبولوجية المذكورة في ٧:٧-٢٥، يكرر بولس فكرة الخلاص الواردة في ٧:٤-٩، لأنه لم يشرح فكرته بعد، بصدد موت المسيحيين عن الشريعة عبر جسد المسيح، كما انه لم يفسّر حتى الآن جدة الروح. لذا انكبّت آ ١-٤ على هذا التوضيح المزدوج: انها تشير إلى أسس الحياة في الروح؛ وهذه الحياة تفترض تحرّرًا مسبقًا. وتشرح الآية ١ الدافع لصلاة الشكر المرفوعة في ٧:٢٥أ وتعبّر عن افتتاح زمنٍ جديد. لذا لم يعد هناك من دينونة للذين هم في المسيح يسوع.

نجد، في أصل ديناميّة الخلاص، إرسال الله ابنه "**في جسد يشبه جسدنا الخاطيء**" (آ٣أ). وبولس، بالرغم من انه شدد على تضامن المسيح مع الخطأة، يستخدم عبارة تنفي وجود الخطيئة في المسيح. صحيح أن المسيح لّبس الجسد الذي فيه تملك الخطيئة وتسود، لكن حيث لم تستطع الشريعة سوى أن تفضح "المستبد"، كان النصر للمسيح. فلقد حُكم على الخطيئة إلى الأبد في جسد المصلوب، لأنه كان بلا خطيئة (آ٣ ج)؛ وهكذا حقّق المسيح ما تمنت الشريعة ان تحققه، ولكنها كانت عاجزة عن تحقيقه (آ٤): فلقد برّر وقاد إلى الحياة.

في آ٢، هناك ترجمة مغايرة. لقد تبعت ترجمتنا (دار المشرق) بعض الناسخين، فجعلت من هذه الآية جوابًا على السؤال المطروح في ٧:٢٤ب: "**شريعة الروح... قد حرّرتني**". إلا ان هذه القراءة نسيت أن الآيتين لا تتكلّمان عن الشخص عينه. ففي ٧:٢٤ب، كان الكلام عن الإنسان غير المبرَّر الذي يعبّر عن توقه إلى التبرير؛ أما في ٨:٢، فالمسيحي هو المستفيد من التحرير المحقَّق. فمن الأفضل إذًا قراءة "**الروح الذي يهب الحياة في يسوع المسيح قد حرّرك**". وبهذا، يشدّد بولس على أهمية حديثه حين ناشد كل واحد من قارئيه. لقد عُزي هذا التحرّر إلى "**شريعة الروح الذي يهب الحياة بيسوع المسيح**" (آ٢ب). وحقق يسوع، بشكل نهائي، هذا التحرّر من شريعة الخطيئة والموت، لكن مفاعيل هذا العمل الفريد لا تظهر في الحياة اليوميّة إلا بمقدار ما ينقاد الذين حُرِّروا، للروح وليس للجسد (آ٤)

لا يمكن أن نفهم "**شريعة الروح الذي يهب الحياة**" إلا على ضوء انتظار ارميا (إر٣١:٣١) وحزقيال (حز٣٦:٢٧؛ ٣٧:١٤). كان هذان النبيان يرجوان عهدًا جديدًا، يشكّل نبعًا جديدا للحياة. فلقد كانا يرتقبان الوقت الذي يخاطب فيه الله مباشرة قلب شعبه، حين يتمّم الشعب، بعد أن يكون قد عرف الله حقًا، إرادة الله المكتوبة في قلب كل فرد. عندها، لن تعود الشريعة فريضة خارجيّة يتاح معها للخطيئة أن تسيطر عليها، بل شريعة داخليّة يتمّمها كل إنسان، بعد أن يكون قد ادرك مصداقيتها. فالمسيحي الذي

حُرِّر من الشريعة الموسويّة، ليس هو إذاً دون شريعة؛ لكن الشريعة التي تقود المسيحي لم تعد تحت تصرّف الخطيئة، بل في خدمة الروح الذي يعطي قوة على تنفيذها.

في هذه الآيات، كما كان الامر في روم ٧، تتخذ كلمة شريعة معاني متعدّدة. ان عبارة "**شريعة الروح الذي يهب الحياة**" تعكس نداءات الله المزروعة في قلب كل إنسان، طالما إنها مصدر حياة بفضل موت المسيح وقيامته. وفي المقابل، فإن "**شريعة الخطيئة والموت**" هي قوة الخطيئة التي تقود إلى الموت. وترجعنا العبارتان "**شريعة موسى**" و "**ما تقتضيه الشريعة**" (حرفيا: البر الذي تقتضيه الشريعة)، إلى الشريعة الموسوية التي أُعطيت أصلاً للتبرير والحياة، ولكنها، بالخطيئة والجسد، صارت عاجزة. ان شريعة موسى، بحسب بولس، كانت دليلاً جيدًا إلى البر، لكنّها كانت عاجزة عن إعطاء القدرة على تتميمه.

وبأسلوب تواز تضاددي، بين الجسد والروح، وبصيغة المجهول، تبرِّر الآيات ٨:٥-٨ التأكيد الذي ورد في آ٤. لم يذكر بولس في آ٧-٨ سوى المساوئ التي يسبّبها الجسد؛ وهذا التوسع في موضوع الجسد يخلق مفارقة مع حالة جماعة روما المسيحيّة (أما أنتم) التي تحيا بانقياد للروح (آ٩-١١). وتبدو المخاطر الواردة في هذا التوازي، وكأنها لا تتعلّق مبدئيًّا بجماعة روما، وهكذا نستشفّ الأسلوب التهكّمي البولسي!

والآيات ٥-٨ تقدم الروح والجسد بصفتهما قوّتين مضادّتين؛ وفي مكان آخر، يقابل بولس بين الخطيئة والروح (وكلاهما يسكنان الإنسان: راجع ٧:١٧، ٢٠ فيما يخصّ الخطيئة، و٨:١١ فيما يخصّ الروح)، أو بين الروح والحرف كما في ٢:٢٩ و٧:٦. وان التضادات المختلفة ليست على المستوى عينه. فـ "الجسد" هو الإنسان الذي بضعفه، ضحيّة مهيّأة تمامًا للوقوع أمام قوّة الخطيئة. انه ليس قوّة خارجة عن الإنسان، بل تعبير عن الإنسان في تقبّله للخطيئة؛ وهو لا يُعارض الروح إلا بمقدار ما يتواطأ مع الخطيئة. على العكس من الجسد، يأتي "الروح"، أي الإنسان القادر على التواصل مع الله. لا يرسم بولس في روم ٨ توازياً تضادديّاً بين الخطيئة والروح، لأن الخطيئة حُكم عليها في جسد المسيح، فلم يعد لها، حُكمًا، من وجود بالنسبة إلى المسيحي. والفعل "نزع إلى" (آ ٥-٧) هو ترجمة لفعل واسم يونانيّين يدلاّن على التصرّف والمشاعر التي تحرّك الحياة. فبإمكان الإنسان أن ينقاد، سواء للمشاعر المتأتّية من الجسد، ام لتلك التي تعود إلى الروح.

وهوذا بولس يبتعد عن المبادئ العامّة، ليتوجّه مباشرة إلى قارئيه (٨:٩-١١). إن حالتهم التي نشأت بفعل المسيح، تضعهم في منأى عن المنافسة بين اللحم والروح. وبولس، عندما يتوجّه إلى مسيحيين لم يعد عليهم من حكم، بيسوع المسيح، فهو انما

يتحدث عن "الجسد" وليس عن "اللحم". وعلى هذا النحو يبدو الرسول أمينًا لمفاهيمه الأنتروبولوجيّة، حين يستخدم عبارة حيادية: "الجسد"، لأن المؤمن قد أُنتُزع من ضعف اللحم (البشر) ومن نزعته الخاطئة. فمن خلال طروحات ثلاثة شرطيّة (آ٩ب، ١٠، ١١)، تُستنتج تبعات حضور الروح في مسيحيي روما، وهي تربط الروح بالمسيح ، بأشكال متعدّدة. الشرط الأول: "**من لم يكن فيه روح المسيح، فما هو من خاصته**" (آ٩ب)، وقد صيغ بعبارات سلبيّة. فمن خلال هذا الأسلوب المدهش، يلفت بولس النظر إلى الروابط القائمة بين الانتماء إلى المسيح، وبين الحياة بحسب الروح التي تشكّل علامته الظاهرة. فالروح يؤمّن الاستمراريّة بين الزمن الحاضر، وبين دعوة الأجساد المائتة إلى الحياة: إنه حياة بفضل بر الله الخلاصيّ. والانتماء إلى المسيح لا ينفي عن الإنسان حالته الفانية، لكن هذه الحالة الفانية لم تعد نهاية بفضل الروح. ذلك ان الروح هو عينه كان وراء قيامة المسيح، وهو ذاته يعمل في المؤمنين اليوم ولدى قيامتهم.

لقد أبرَزَ بولس المبادرة الإلهيّة في عملية التحرير من شريعة الخطيئة والموت، وفي حضور الروح في المؤمنين؛ وها هو الآن يذكّر المسيحيين بمسؤوليّتهم (٨:١٢-١٧). إن عليهم دَينًا تجاه الروح: يجب أن يعترفوا به، فيميتوا فيهم، بالروح، **أعمال الجسد!** وكنّا نتوقع ان نجد، في آ١٣، ذكرًا للّحم، لكن بولس هو أمين لوجهة نظره التي عبَّر عنها آنفًا: لم يعد بالنسبة الى المسيحيين من مكان للّحم. وهذه الأعمال هي حقا أعمال الجسد الذي أُفسد باللحم. وعلى عادته، غالبًا ما يستعمل بولس المفارقات: فالحياة تفتح على الموت، في حين أن الموت يفتح على الحياة (آ١٣).

وحدهم اولئك الذين ينقادون لروح الله يُدعَون "**أبناء الله**" (آ١٤)؛ انهم، بفضل الروح الذي نالوه، يتمكّنون من أن يصرخوا "**أبّا**". هذه المفردة الآراميّة تعبّر عن الحميميّة الفريدة بين يسوع وأبيه (راجع مر ١٤:٣٦)؛ ومنذئذ، وضع الروح المسيحيّين في وضع مشابه. ففي إثر يسوع، وبقوة الروح، يستطيعون أن يظهروا حميميّتهم مع الله، بصفتها تعبيرًا عن حريّتهم الحقيقيّة، وعن مسيرتهم نحو أرض جديدة. وهكذا تتجدّد حركة حدث الخروج بالنسبة إلى الجماعة المسيحيّة. لقد احصى إ. دي لا بوتري مقاربات عديدة بين روم ٨:١٤-١٨ وتقليد الخروج: القيادة (آ١٤؛ وتقول السبعينيّة أن الله قاد الشعب نحو الأرض الموعودة) والبنوّة (آ١٤-١٥)، وخاصة العلاقة بين البنوة والقيادة (راجع تث ٢:٨، ٥؛ ٣٢:٦، ١٢؛ إر ٣:١٤، ١٩؛ ٣١:٨-٩؛ إلخ...)؛ العبوديّة (آ١٥)؛ موضوع التحرير/النجاة (آ٢١، ٢٣)؛ الميراث (آ١٧). ولقد استُعيدت هذه المواضيع بعد العودة من السبي، سنة ٥٣٨، في مزمور ورد في أش ٦٣:٧-٦٤:١١. فلقد ذكّر اشعيا بالمراحم

القديمة، متضرعا إلى الله الآب؛ اما الروح القدس، فقد وُصف بانه ذاك الـذي وُهـب للشعب (اش ٦٣: ١١ بحسب السبعينيّة)، ولكنه هو ايضا ذاك الذي يقـوده إلى الراحـة (أش٦٣: ١٤).

لم يعد الميراث، في الرسالة إلى الرومانيين، أرضًا موعودة، بـل هـي مجموعـة الخيرات التي صارت للمسيحيين بالمسيح، وبشكل خاص ذلك المجد الذي يحوّل المسيحيين شيئًا فشيئًا. ومن هنا كانت عبارة "**ورثة الله، شركاء المسيح في الميراث**".

الروح، والروح القدس

يمكـن للعبـارة اليونانيّـة Pneuma أن تتخـذ معنـى نَفَـس أو روح؛ ولا يجـب أبـدًا إغفال المعنى الواقعي. غالبًا ما يكون من الصعب التمييز بين روح الله وروح الإنسان، في رسائل بولس عامة وفي روم ٨ خاصة، بحيث تختلط احياناً في الترجمات استخدام كلة "الروح" في معناها الصحيح (راجع ٨: ٤ -٥) . لكن بولس يميّز جيدًا بين روح الله وروح الإنسان (٨: ١٦)، وفي الوقت ذاته، فنحن بازاء حقيقتين مترابطتين؛ فروح الله يحيي روح الإنسان ويقوده، إنّه يتملّك المسيحي بكامله لأنه يسكن فيه (٨:٩).

وروح الله هو الروح الذي يأتي من الله، ويمنحه. ذلك ان حضوره يطبع حياة المسيحي (٨: ١٤). انه يمكّن من الصلاة، ويُدخِل في حميمية الله، لأن المؤمن، به يستطيع أن ينادي الله "أبا" ايها الآب(٨: ١٥ -١٦؛ غل٤: ٦). والروح من خلال المحبّة التي هي ثمرته، هو مصدر كل حياة مسيحيّة (غـل ٥: ٢٢ -٢٥). انه يعطي لحياة المؤمن معناها العميق، ويجعله يرجو ملء الحياة، لأن الروح هو باكورة كل الخيرات الآتية، بدءًا من حياة يسوع القائم، بملئها. وروح الله لا ينفصل عن المسيح: إنه روح المسيح (٨: ٩ب)، روح الإبن (غـل٤: ٦)، لأنه حُرِّر بموت المسيح وقيامته، ومكّن المسيح من أن يتخذ له وجهاً لدى المسيحيين.

المسيحيّون متجهون نحو المجد الآتي (٨: ١٨ -٣٠)

١٨ وأَرى أَنَّ آلامَ الزَّمَنِ الحاضِرِ لا تُعادِلُ المَجدَ الَّذي سيَتَجَلَّى فينا.
١٩ فالخَليقةُ تَنتَظِرُ بفارِغِ الصَّبْرِ تَجَلِّيَ أَبناءِ اللّه.
٢٠ فقد أُخضِعَت لِلباطِل، لا طَوْعًا مِنها، بَل بِسُلطانِ الَّذي أَخضَعَها، ومع ذلـك لم تَقطَـعِ الرَّجاء،
٢١ لأَنَّها هي أَيضاً ستُحَرَّرُ مِن عُبودِيَّةِ الفَسادِ لِتُشارِكَ أَبناءَ اللهِ في حُرِّيَّتِهم ومَجْدِهم.
٢٢ فإِنَّنا نَعلَمُ أَنَّ الخَليقةَ جَمْعاءَ تَئِنُّ إِلى اليَومِ مِن آلامِ المَخاض،

٢٣ **ولَيسَت وَحْدَها، بل نَحنُ الّذينَ لَنا باكورةُ الرُّوحِ نَئِنُّ في الباطِنِ مُنتظِرينَ التَّبنِّي، أَي افتِداءَ أَجسادِنا،**
٢٤ **لأَنَّنا في الرَّجاءِ نِلْنا الخَلاص، فإِذا شُوهِدَ ما يُرجى لم يَكُن رَجاء، وما يُشاهِدُه المَرءُ فَكيفَ يَرجوه أَيضاً؟**
٢٥ **ولكِن إِذا كُنَّا نَرْجو ما لا نُشاهِدُه، فبِالثَّباتِ نَنتَظِرُه.**
٢٦ **وكَذلِكَ فإِنَّ الرُّوحَ أَيضاً يَأتي لِنَجدَةِ ضُعْفِنا لأَنَّنا لا نُحسِنُ الصَّلاةَ كما يَجب، ولكِنَّ الرُّوحَ نَفسَه يَشفَعُ لَنا بأَنَّاتٍ لا تُوصَف.**
٢٧ **والَّذي يَختَبِرُ القُلوب يَعلَمُ ما هو نُزوعُ الرُّوح، فإِنَّهُ يَشفَعُ لِلقِدِّيسينَ بِما يُوافِقُ مَشيئَةَ الله.**
٢٨ **وإِنَّنا نَعلَمُ أَنَّ جَميعَ الأَشياءِ تَعمَلُ لِخَيْرِ الَّذينَ يُحِبُّونَ الله، أُولئِكَ الَّذينَ دُعُوا بِسابِقِ تَدْبيرِه.**
٢٩ **ذلكَ بأَنَّه عَرَفَهم بسابِقِ عِلمِه وسَبَقَ أَن قَضى بِأَن يَكونوا على مِثالِ صُورَةِ ابنِه لِيَكونَ هذا بِكْراً لإِخوَةٍ كَثيرين.**
٣٠ **فالَّذينَ سَبَقَ أَن قَضى لَهم بِذلك دَعاهم أَيضاً، والَّذينَ دَعاهُم بَرَّرَهم أَيضاً والَّذينَ بَرَّرَهم مَجَّدَهُم أَيضاً .**

يُنشد المقطع تمجيد المسيحي، وفيه أُشركت الخليقة؛ مجد هو بمثابة خير مزمع أن يأتي (آ١٨، ٢١)، وهو موضوع رجاء؛ ومن ثم بمثابة عطيّة وُهبت للمسيحيين (آ٣٠). فالمجد هو خير الله الأعظم، ويعبّر عن "ثقله" (من معنى الكلمة العبريّة Kabod)، وعن قيمته الحقيقيّة، على العكس من الأصنام التي تتميّز بالخفّة. والمسيحي مُعَدّ لأن يُمجَّد، أي أن تخترقه حياة الله بالذات. ولقد رُتِّب المقطع في ثلاث وحدات مترابطة، تبدأ كلّها بفعل إعلامي (آ١٨-٢٠؛ آ٢٢-٢٧؛ آ٢٨-٣٠): تعبِّر الوحدة الأولى عن انتظار بولس الموجَّه "**نحو الحرية ومجد أبناء الله**" (آ٢١). أما الوحدتان الثانية والثالثة اللتان تبدآن بـ "نحن نعلم"، فانهما تعطيان مرتكزات رجاء المجد المتمثّلة بسلسلة أنّات من جهة (آ٢٢-٢٧)، وبموقف الله تجاه المدعوين من جهة ثانية (آ٢٨-٣٠).

كانت الآية ١٧ج قد دعت مسيحيي روما إلى التطلع نحو المجد الآتي؛ ويتكرّر هذا الموضوع ويتوسّع في ٨:١٨-٢١. اما نص روم ٥-٨، فيتمحور حول حياة المسيحيين وشراكتهم مع المسيح وعلاقتهم بالروح. وبولس، بإدخاله بوضوح موضوع الخليقة التي "**أُخضعت للباطل**"، يعطي بعدًا جديدًا للخلاص. ومثل هذه الخليقة "لم تعد تلعب دورها المفترض تجاه الإنسان، بمعنى أنها لا تكشف له عن الله" (س. ليونيه S.Lyonnet؛ راجع ١:٢٠، ٢٥). ذلك ان وجهة نظر بولس مرتكزة على الجانب البشري، بحيث لم يعد ينظر إلى الخليقة لذاتها، بل من خلال علاقتها مع أبناء الله. وهكذا نجد في هذه الأفكار تقارباً مع فكر العهد القديم:

- تسبّبت سقطة الإنسان بفساد الخليقة (تك ٣:١٧-١٨) لأن الإنسان لا يُفهم خارج العلاقة مع كل ما هو "مخلوق"؛
- كان أشعيا قد أعلن عن الخليقة المجـدّدة (أش ٣٥؛ ٤١:١٨-٢٠؛ ٥٥:١٢-١٣؛ ٦٥:١٧؛ ٦٦:٢٢). فالانغماس في الفساد ("بسلطان الـذي أخـضعها" آ ٢٠)، وكذلك المشاركة في مجد أبناء الله، يرجعان إلى قدرة الله العظيمة. وهكـذا فـان الآيات ١٤-١٧، باستشهادها بمراجع من سفر الخروج، يرزّت البعـد الجمـاعي للخلاص؛ أما الان، فيشدّد بولس على الإطار الكوني للخلاص. ومن جديد، يُقدِّم الخلاص بوجهيه: احدهما هو التحرّر من العبوديّة، والآخر هو التمجيد بصفته خيرا مزمعاً، وبولس هو على يقين منه (آ ٣٠).

في ٨:٢٢-٢٧، نجدنا بازاء **أنّات** مثلّثة تعبّرعن الطابع غير المكتمل للخـلاص الحالي، وفي الوقت عينه عن حقيقته المؤكّدة (آ٢٤-٢٥). إنه أنين يشمل الخليقة الـتي "تئن" (آ٢٢أ)، مع أنين المسيحيين "نحن... نئن" (آ٢٣)، وأنين الروح "بأنّات لا توصف" (آ٢٦). وهنا أيضًا، هوذا المسيحيون في قلب فكر بولس. وان الفعلين اللـذين يـصفان حركة الخليقة هما، في اليونانيّة، مركّبين من حرف الجر (Syn) "مع" او "معاً"، وهو مـا يصعب نقله باللغة العربية: الخليقة "تئن **مع**" المسيحيين، و"تتألّم **مـع**" المـسيحيين آلام الولادة (آ٢٢). أما الروح، "**فيأتي لنجدة**" ضعف المؤمنين (آ٢٦).

تصف آ٢٣ انّات المسيحيين، وفيها صعوبات عديدة: "**وليـست (الخليقـة) وحدها، بل نحن الذين لنا باكورة الروح نئن في الباطن منتظرين التبنّي، أي افتـداء اجسادنا**".

- الجملة التي تشير إلى الروح "نحن الذين لنا باكورة الروح" يمكـن أن تُفهـم علـى وجهين، فإن شُرِحت بشكل جملة معترضة، ففي هذه الحالة تعبّر عن شكل أسـف: "مع أن لنا باكورة الروح، فنحن نئن" (وكان ينبغي ألا نئن!)؛ ولكـن يمكـن أن يكون لها معنى سبي، وهو الأفضل في نظرنا: "**لأن لنا باكورة الروح، نحن نـئن**"، فيصبح الأنين (الصرخة) بالتالي مصدر رجاء. وفي الواقع، يأتي هذا الجزء من الجملة في سياق الرجاء الذي ينشد الانتظار والتوتر والـيقين، ولـيس الـنقص او عـدم الاكتمال. ذلك ان كل شيء منظّم لخير المسيحيين؛ وهكذا تعبّر هذه الجملة عـن دوافع فخرهم وثقتهم.

- "**باكورة الروح**" تستحضر صورة ابتداء، وانتظار للمستقبل. واستنتج بعضهم أن جزءًا من الروح قد أُعطي للمؤمنين، وهذا يخالف كليا الفكر البولسي. فالمضاف إليه هو هنا بمثابة تفسير، بمعنى أن الباكورة هي الروح؛ وهذه الباكورة المعطاة للجماعة هي إعلانٌ عن الخيرات الآتية، أي البنوّة وتحرير الجسد.
- وأخيرًا، حذف بعض الناسخين ذكر التبنّي، إذ بدا لهم ان انتظار التبنّي مناقض للبنوّة المعطاة في هذا الزمن (آ١٥). والحقيقة، هي أن المسيحيين حصلوا، منذ الآن، على التبنّي وعلى تحرير أجسادهم، لكنّهم يرجون الوقت الذي فيه تعطي هذه الخيرات كل مفاعيلها. هذا هو معنى الآيتين٢٤-٢٥ اللتين تشدّدان على الرجاء الذي يطال انتظار الخيرات الاسكاتولوجيّة، بما فيها الخلاص.

إلا إن عمل الروح تجاه المؤمنين هو عمل مزدوج (آ٢٦-٢٧): فهو يأتي لنجدة ضعفهم من جهة، ويتشفّع لهم "**بأنات لا توصف**" من جهة ثانية. فلو لم يكن الروح عاملاً، لكان المؤمنون عاجزين عن التجاوب مع مقاصد الله في صلاتهم. ان بوسع هذه الفكرة أن تبعث على الدهشة، لأن الجماعة الأولى لم تكن تقلق حول ما يجب طلبه بالصلاة. ذلك لإن نجدة الروح، كما تشير الآية ٢٦أ، هي ميزة زمن الضعف. فالروح يتدخّل في قلب صلاة المسيحي. انه لا يدفعهم للتعبير علنًا عن صلاة يجب أن تُترجم لتُفهم، فتبني الجماعة -كما هو الحال مثلاً في ظاهرات التكلّم باللغات- لكنّه يتدخّل، في قلب كل صلاة، ليترجم لله كلام المؤمن. ذلك ان المؤمن، في ضعفه، لا يعرف ماذا يطلب لتنسجم صلاته مع مشروع الله؛ والحال أن الروح يريد ما يريده الله، فهو بالتالي يوحي للمؤمن بعبارات مناسبة للصلاة.

في الآيات ٢٢-٢٧، كان بولس يقول "نحن"، واضعًا المسيحيين في المركز من الخلاص. وعلى العكس، تبدو الآيات ٢٨-٣٠ أكثر انفتاحًا؛ فالمسيحيون هنا هم العارفون بمشروع الله والواثقون بنتائجه (نحن نعلم آ٢٨أ)، لكن بولس يتخلّى عن الـ "نحن" ليستعمل عبارات عامة: "**الذين يحبّون الله، الذين عرفهم بسابق علمه...**". كما أن عبارتي "أبناء الله" (آ١٩)، وأولاد الله (آ٢١) لم تكن تقصد المسيحيين، طالما أن الخليقة كلها تنتظر بفارغ الصبر تجلّي أبناء الله، ويتضح ان الذين يحبون الله ليسوا المسيحيين وحدهم. وهكذا نجد في النص بوادر لإنفتاح باتجاه الإنسانيّة جمعاء. ويقدّم بولس في هذا الفصل (روم ٨) الخيرات التي يحظى بها المسيحيون المنقادون للروح، لكنّه يتعمّد ألاّ يجعل منهم المستفيدين الوحيدين من المجد. فبولس هو على درجة من الثقة بحيث يعتبر المجد -وهو مزمع ان يحصل- وكأنه حقيقة راهنة قد مُنحت، طالما ان الله أخذ على عاتقه

اولئك الذين دعاهم: هناك خمسة أفعال تصف مسيرهم (آ٢٩-٣٠)؛ أما الدافع الثاني للثقة، فهو معرفة مشروع الله، يضاف إلى الدافع الذي وُلد من أنّات الروح.

محبة الله التي كُشفت بالمسيح، أساس شراكة المسيحيين مع الله (٨: ٣١-٣٩)

٣١ **فماذا نُضيفُ إلى ذلِك؟ إذا كانَ اللّهُ معَنا، فمَن يَكونُ علَينا؟**
٣٢ **إنَّ الَّذي لم يَضَنَّ بابْنِه نَفسِه، بل أَسلَمَه إِلى المَوتِ مِن أَجْلِنا جَميعًا، كَيفَ لا يَهَبُ لَنا معَه كُلَّ شَيء؟**
٣٣ **فمَن يَتَّهِمُ الَّذينَ اختارَهمُ الله؟ اللهُ هوَ الَّذي يُبرِّر !**
٣٤ **ومَن الَّذي يُدين؟ المَسيحُ يسوع الَّذي مات، بل قام، وهو الَّذي عن يَمينِ اللهِ والَّذي يَشفَعُ لَنا؟**
٣٥ **فمَن يَفصِلُنا عن مَحبَّةِ المسيح؟ أَشِدَّةٌ أَم ضِيقٌ أَمِ اضْطِهادٌ أَم جُوعٌ أَم عُرْيٌ أَم خَطَرٌ أَم سَيْف؟**
٣٦ **فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "*إِنَّنا مِن أَجْلِكَ نُعاني المَوتَ طَوالَ النَّهار ونُعَدُّ غَنَمًا لِلذَّبْح*".**
٣٧ **ولكِنَّنا في ذلِكَ كُلِّه فُزْنا فَوزًا مُبيناً، بالَّذي أَحَبَّنا.**
٣٨ **وإِنِّي واثِقٌ بِأَنَّه لا مَوتٌ ولا حَياة، ولا مَلائِكَةٌ ولا أَصحابُ رِئاسة، ولا حاضِرٌ ولا مُستَقبَل، ولا قُوَّاتٌ ،**
٣٩ **ولا عُلُوٌّ ولا عُمْق، ولا خَليقَةٌ أُخْرى، بِوُسعِها أَن تَفصِلَنا عن مَحَبَّةِ اللهِ الَّتي في المَسيحِ يَسوعَ رَبِّنا.**

في ٨: ١-٣٠ (راجع آ٣١أ)، وصل بولس إلى ذروة فكرته، وقد توّجها بنشيد (٨: ٣١-٣٩) يشكّل صدًى للاحتفال بمحبّة الله الذي به افتتح بولس المجموعة الثانية من الرسالة (٥: ٥-٨). يُفتتح النشيد ويُختتم بالاحتفال بمحبة الله للبشر، وقد تجلّت بالمسيح. ويعلن بولس أن ليس لأحدٍ القدرة على هدم المصالحة التي حقّقها الله بيسوع المسيح، ولا على تحجيم مفاعيلها. وبولس، لإظهار هذه الحصانة، وضع النشيد في إطار دعوى استوحت أش ٥٠: ٨-٩.

من خلال أربع تساؤلات (آ٣٢ب، ٣٣أ، ٣٤أ، ٣٥أ) يبيّن بولس الحصانة التي يتمتّع بها المسيحيّون. إلا أن السؤالين الأول والرابع فقط يشيران إلى المسيحيين بشكل واضح (نحن). لكن النشيد هو، من دون أدنى شك، احتفال بالشراكة الثابتة بين الله

والمؤمنين. يجيب بولس على كلّ سؤال بالتذكير بعمل الله، أو بالإشارة إلى عمل يسوع المسيح؛ ويُبرز الجواب الأخير (٣٥ب-٣٩) التطابق التام بين محبّة المسيح ومحبة الله التي كُشفت في المسيح يسوع ربّنا.

وتخترق مبادرة الله المقطع برمته؛ فعمله هو التعبير عن محبّته. تأتي الكريستولوجيا في هذا المقطع على خلفيّة العهد القديم، فيبدو يسوع بصورة اسحق الجديد (آ٣٢، راجع تك ٢٢:١٦)، وقد أخذ ملامح خادم الله الذي أُسلم عن الخطايا (أش ٥٣:٦ بحسب السبعينيّة). لكن بولس يقلب الأدوار؛ ففي حين طرح خبر التكوين ذبيحة اسحق بصفتها تعبيراً عن محبة ابراهيم لله وثقته به، يستخدم بولس التلميح إلى هذه الذبيحة ليبرز قيمة محبّة الله تجاه البشر. وعطيّة الإبن هذه مصدر كل الخيرات التي تمتعت بها الجماعة المسيحيّة (آ٣٢ب). وباتخاذه صورة الخادم، شفع المسيح الرب (آ٣٤ج، راجع مز ١١٠:١) بالخطأة (آ٣٤د؛ راجع اش ٥٣:١٢)، بعد أن أُسلم لأجلهم. وهنا (آ٣٤د) يأتي فعل "تشفّع" المذكور في آ٢٧ بصدد الروح، للدلالة على عمل المسيح.

لقد جُمعت الصعوبات التي بوسعها أن تفصل المسيحيين (نحن) عن محبّة المسيح، في فئتين: تجمع الأولى الآلام الكثيرة التي تتسبّب بها أحداث الحياة اليوميّة (آ٣٥ب)، وتضمّ الثانية كل القوى المناوئة كما تخيلها الإنسان القديم (آ٣٨ب-٣٩أ). وان الحالات المأسويّة المذكورة في آ٣٥ب تشبه المحن المرتبطة بالعمل الرسولي (راجع ١قور٤:٩؛ ٢قور١١:٤)، ولكنها، وبدرجة اولى، في خط تقليد العهد القديم الذي يربط بين شهادة إسرائيل الأمين لإرادة الله، وبين الاضطهادات التي تعرّض لها (راجع مز ٤٤ المثبت في آ٣٦). وفي الحالتين، ستؤول الهجمات إلى الفشل؛ إذ بفضل المحبّة التي يكنها الله لهم، سيخرج المسيحيون ظافرين من كل المحن التي تنهال عليهم. أما القوى المناوئة، فستعترف لا محالة بفشل محاولات الفصل التي قامت بها.

القسم الثاني

حاضر إسرائيل ومستقبله
(١:٩ -١١:٣٦)
بالنظر إلى إرادة الله الخلاصيّة الكونيّة وإلى وجود الجماعة المسيحيّة

لا يحقّق "اليهودي" ذاته بمجرّد امتلاكه الشريعة، أو بالختان (٢:٢٧)، **بل بختان "القلب بحسب الروح، لا بحسب حرف الشريعة"** (٢:٢٩). وأكثر من ذلك: "**فالأقلف الذي يراعي أحكام الشريعة**" يمكن أن "**يُعدّ قلفه ختانًا" من قِبَل الله** (٢:٢٦). هذه الأفكار قادت بولس إلى التساؤل حول تفوّق اليهودي وحول فائدة الختانة (٣:١). ويأتي الجواب المقتضب مخيِّبا إلى حدّ ما. ان لليهودي "**أفضليّة**" على أكثر من صعيد، والختانة مفيدة، لأن "**كلام الله قد أوكِل إليه**"، والله أمين. لكن بولس يعلم خيانة العديد من اليهود، ويعلم أن الله، في حكمه، منصِفٌ تجاه الجميع، ولايمكن لأحد بالتالي أن يدّعي لنفسه اية امتيازات؛ فكان على الرسول أن يشرح تأكيداته المقتضبة التي تبدو متناقضة ظاهريًّا، ويدعمها. وهكذا يشكّل الفصلان ٩و١١ من الرسالة إلى الرومانيين توضيحًا حول حاضر إسرائيل ومستقبله. انها شروحات ضروريّة، خاصة بعد أن تناول بولس، في روم ٥-٨، نتائج التبرير الذي تحقّق في المسيح يسوع، ورسم مسيرة الجماعة المسيحيّة تحت قيادة الروح. وكان من الطبيعي أن يتساءل القارئ حول وعود الله وأمانته لإسرائيل.

هوذا بولس، برسمه صورة إبراهيم (روم ٤)، أظهر بأن أفكاره حول الإيمان كانت في الخط المستقيم من تاريخ اسرائيل؛ فمنذ البدء، هو الله الذي كان يبرّر بالإيمان. فالأهميّة المعطاة للإيمان لا تتعارض مع الشريعة، بل تؤكّدها (٣:٣١ب). لكن سؤالاً واحدًا يبقى مطروحًا. ذلك ان الاستمراريّة بين تأكيدات بولس وبين الشريعة واضحة المعالم في حالة ابراهيم، حيث لا يظهر أي أثر للقطيعة. فما القول عندما نأخذ حالة إسرائيل بمجمله؟ ذلك ان نشأة الجماعة المسيحيّة بدت وكأنها قد تمّت على حساب

إسرائيل؛ فلا بدّ إذًا من التوضيح. وهكذا تشكّل فصول روم ٩-١١ توازناً مع الفصول ٦-٨ المتمحورة حول الجماعة المسيحيّة، بحثا عن العلاقات بين الوعد والإنجيل. ونجد القناعة عينها في هذا القسم من الرسالة، وهو يكرّر التأكيد: الله لم يرذل شعبه؛ ومجانيّة الخلاص وأمانة الله لا تنفصلان.

إذا انتبهنا إلى الأسماء المستعملة، نفهم اهتمامات الرسول. في روم ١-٣، غالبًا ما يستعمل بولس عبارة "يهودي" ضمن الثنائي يهودي/وثني (١٦:١؛ ٩:٢، ١٠، ١٧، ٢٨، ٢٩؛ ١:٣، ٩، ٢٩). أما في روم ٩-١١، فقد غابت هذه التسمية (إلا في ٢٤:٩ و ١٢:١٠ حيث المقارنة مع الوثني) لتظهر عبارة "إسرائيل" (٦:٩، ٢٧، ٣١؛ ١٩:١٠، ٢١؛ ٢:١١، ٧، ٢٥، ٢٦) و"إسرائيلي" (٤:٩؛ ١:١١)؛ والحال أن الإشارة إلى إسرائيل نادرة في الرسائل الأخرى (١قور١٨:١٠؛ غل ١٦:٦؛ فل ٥:٣؛ ٢قور ٧:٣، ١٣). ومن المعلوم ان العودة المنتظمة إلى مفردات معينة تحدّد مستوى النقاش؛ فبولس لا يهتمّ بهذا اليهودي أو ذاك، بل بالأحرى يجذّر فكره في تاريخ العهد، حيث جعل الله، من يعقوب، إسرائيل (تك ٢٩:٣٢؛ راجع روم ١٣:٩؛ ٢٦:١١).

إن تصميم هذا القسم من الرسالة معقّد بعض الشيء. ويمكن أن نميّز فيه جزئين، إذ يطرح بولس فيهما منهجين مختلفين. في الجزء الأول نلاحظ ظهور مجموعات مختلفة جنبًا إلى جنب. فكان همّ بولس ان يبحث في الكتب ما يفسّر الحالة الراهنة، ويظهر كيف ان رحمة الله وأمانته تندرجان في قلب تاريخ إسرائيل. فمن العلامات الفارقة في تاريخ إسرائيل دعوة الوثنيين وثبات بقية في إسرائيل، أي حضور الوثنيين إلى جانب وجود "**شعب عاص ومتمرّد**" (٦:٩-٢١:١٠). ثمّ يتساءل بولس، في الجزء الثاني، عن معنى هذه المجموعات، بعضها تجاه البعض: البقية بالنسبة إلى إسرائيل، والوثنيين بالنسبة إلى مجمل إسرائيل (١:١١-٣٢). ويأتي طرح الرسول بعد مقدّمة يعبّر فيها بولس عن غمّه (١:٩-٥) تجاه إخوته، وتنتهي بنشيد هادئ يتأمّل فيه حكمة الله الفاعلة في التاريخ (٣٣:١١-٣٦).

حالة مؤلمة (١:٩ -٥)

٩ ١ **الحقَّ أَقولُ في المسيح ولا أَكذِب، وضَميري شاهِدٌ لي في الرُّوحِ القُدُس،**
٢ **إِنَّ في قَلْبي لَغَمًّا شَديدًا وأَلَمًا مُلازِمًا.**

٣ **لقَد وَددتُ لو كُنتُ أَنا نَفْسي مَحْرومًا ومُنفَصِلاً عنِ المسيح في سَبيلِ إِخوَتي بَني قَومي باللَّحم والدَّم،**
٤ **أُولئِكَ الَّذينَ هم بَنو إسرائيل ولَهُمُ التَّبَنِّي والمَجْدُ والعُهود والتَّشريعُ والعِبادَةُ والمَواعِدُ**
٥ **والآباء، ومِنهمُ المسيحُ مِن حَيثُ إِنَّه بَشَر، وهو فَوقَ كُلِّ شيءٍ : إِلهٌ مُبارَكٌ أَبَدَ الدُّهور. آمين.**

تتميّز الجملة التي وضعها بولس في مقدّمة طرحه بالخطورة: إن لحالة إخوته، بحسب اللحم، قيمة كبيرة في عينيه. ذلك ان العذاب الذي أثاره ارتداد إسرائيل هزّ كيان بولس. ولقد وصف عمق حزنه من خلال عبارتين: "**الغم**" بمعنى الألم الداخلي على المستوى النفسي؛ و"**الألم**" بمعنى الوجع الجسدي. وأمام رفض إسرائيل، بلغ تمزق بولس درجة اطلق معها صرخة ألم (آ٣) شبيهة بالصرخة التي أطلقها موسى أمام نكث العهد: "**إنزع عنهم خطيئتهم إن شئت... وإلا امحُني من كتابك**" (خر٣٢:٣٢). ان عبارة "إسرائيليين" هو الإسم الموروث من الجد يعقوب – إسرائيل؛ ومن هذا الإسم الذي يشكّل رمز عظمة الشعب اليهودي، تنبثق الامتيازات التي يعدّدها الآن: "**التبني**" يجعل من إسرائيل الإبن البكر لله (خر٤:٢٢)؛ و"**المجد**" هو التعبير عن حضور الله وسط أخصّائه (مز ٨٥:١٠)؛ و"**العهود**" تجوب تاريخ إسرائيل من ابراهيم إلى داود؛ و"الشريعة" هي تلك العطية التي تحفظ إسرائيل وسط الأمم وتعبّر عن حكمته (تث ٤:٦)؛ و"**العبادة**" في الهيكل تسمح بلقاء الله مع أخصّائه –ويُحتفل بها أيضًا في المجامع، بطريقة مختلفة، من خلال دراسة الشريعة؛ و"**المواعيد**" التي أُعطيت للآباء ولداود كانت موضوع تأمل طيلة تاريخ إسرائيل، واتخذت من ثم طابعًا مسيحانيًّا (راجع روم ١:٢)؛ و"**الآباء**" يلعبون، بنوع خاص، دورًا كبيرًا في إيمان إسرائيل. وتبلغ امتيازات إسرائيل أوَجَها في الروابط اللحميّة التي تربط بين الإسرائيليين، إخوة بولس، وبين المسيح.

وينتهي مقطع المقدّمة هذا بمجدلة تتضمّن عبارة غير عاديّة. فان لقب الله المحفوظ للآب في الرسائل البولسية، نُسِب إلى المُسيح وهو "**إله مبارك أبد الدهور**". ومثل هذا التفسير يفترضه سياق المقطع وبنيانه. انه تفسير اقترحه العديد من الاختصاصيين، بعد أن كان آباء الكنيسة قد تبنوه. لكن البعض، أمام هذه العبارة غير المألوفة، حاولوا أن يتجنّبوا تطبيق هذا التهليل على شخص المسيح، فأعادوا بناء الجملة بشكل آخر، من خلال وضعهم فاصلاً بعد كلمة المسيح، لتصبح المجدلة موجّهة للآب الذي "**هو فوق كل شيء، إله مبارك ابد الدهر. آمين**". وسنجد في نهاية القسم نشيداً (١١:٣٣-٦٣) يرجّع صدى هذه المجدلة.

الجزء الأول

حالة إسرائيل الراهنة ودعوة الوثنيين، تندرج في الكتب (٩:٦-١٠:٢١)

تكمن وحدة هذا الجزء في إرادة بولس بأن يجذّر حالة إسرائيل الراهنة في الكتب. والعودة إلى الكتب، تتوسّع بشكل متوازٍ في روم ٩:٢٥-٢٩ وروم ١٠:٢٩-٢١. ففي آ ٢٥-٢٩ تبدو دعوة الوثنيين من جهةٍ، وثبات "بقيّة" أمينة في إسرائيل من جهة ثانية، متجذّرة في الكتب بفضل رحمة الله. في الفصل ١٠ نتعرف، في الكتب، على إعلان دعوة الوثنيين، إلى جانب عناد إسرائيل، هذا الشعب "**العاصي المتمرّد**". ولا يفُسر هذه المفارقة سوى التبرير بالإيمان: دعوة الوثنيين وعناد اسرائيل. ويقع مقطع روم ٩:٣٠-١٠:٤ في قلب الفكرة البولسيّة، حيث تلعب دور الخاتمة والفاتحة في الوقت عينه: يتواجه البرّ الآتي من الإيمان، مع برّ الشريعة؛ ويتخذ المسيح المكان المركزي من المأساة. بالمسيح وحده، صار البر بالإيمان ممكنًا (نجد عبارة "بر" ٨ مرات، وعبارة "إيمان" أو "آمن" ٤ مرات). وفي محاولة لرفع أي تهمة ظلم عن الله، يذكر بولس شريعة موسى مرّتين (من خلال ما قيل لموسى، أو ما كتبه موسى بالذات): في المرة الأولى، يعود بولس إلى رحمة الله (٩:١٥)؛ وفي المرّة الثانية، يذكّر بشروط البر الآتي من الشريعة (١٠:٥). ذلك انّ رحمة الله تقدِّم للإنسان سبيلاً يختلف عن سبيل الشريعة: البر الآتي بالإيمان، وهو الآخر متجذّر في الكتب. فمع هذه المعطيات المتوازية يمكننا تحديد عدد من المقاطع.

نقرأ أولاً مقطعًا يفتتح الطرح ليعبّر عن قناعة بولس الأولى: كلمة الله لم تفشل، ويُظهر بولس ميزات إسرائيل منذ البدء (٩:٦-١٣). ومن ثم يعطي مفتاحًا لقراءة تاريخ إسرائَيل يتمثّل في رحمة الله (٩:١٤-٢٩)، ويضيف إليه مفتاحًا آخر هو برّ الله (١٠:٥-٢١). ويين هذين المقطعين اللذين يؤسّسان حالة إسرائيل الراهنة، ضمن أمانة الله، يُظهر بولس الرابط الجوهري الذي يوحّد بين الشريعة والمسيح (٩:٣٠-١٠:٤).

منذ البدء، فرق بين ابناء الجسد وابناء الوعد (٩:٦-١٣)

٦ **وما سَقَطَ كَلامُ اللّه! فلَيسَ جَميعُ الّذينَ هم مِن إسرائيلَ بإسرائيل،**
٧ **ولا هم جَميعًا أَبناءُ إِبراهيم وإِن كانوا مِن نَسْلِه، بل "*بِإِسْحقَ يَكونُ لكَ نَسلٌ يُدعى بِاسمِكَ*".**

٨ وهذا يَعْني أَنَّ أَبناءَ الجَسَدِ لَيسوا أَبناءَ الله، بل أَبناءُ الوَعْدِ همُ الَّذينَ يُحسَبونَ نَسلَه،
٩ فهذا ما جاءَ في كَلامِ الوَعْد: "*سَأَعودُ في مِثْلِ هذا الوَقْت، ويَكونُ لِسارَةَ ابْنٌ*"،
١٠ لا بل هُناكَ أَمرٌ آخَر، وهو أَنَّ رِفْقَةَ حَبِلَت مِن رَجُلٍ واحِدٍ هو أَبونا إِسْحق ،
١١ فقَبلَ أَن يُولَدَ الصَّبِيَّان ويَعمَلا خَيرًا أَو شَرًّا، لِيَبْقى تَدبيرُ الله القائمُ على حُرِّيَّةِ الاِختيار،
١٢ وهو أَمْرٌ لا يَعودُ إِلَى الأَعمال، بل إِلى الَّذي يَدْعو، قيلَ لَها: "*إِنَّ الكَبيرَ يَخدُمُ الصَّغير*"،
١٣ فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "*إِنِّي أَحبَبتُ يَعْقوبَ وأَبغَضتُ عِيسو*".

لقد حصل انشقاق في تاريخ الخلاص؛ ذلك ان إسرائيل الذي تلقّى هذا الكمّ من الخيرات، رفض المسيح، وهو قمة تاريخه. يشكّل هذا الشق كسراً مأساوياً وضع أمانة الله موضع تساؤل، والحال أن الله لا يندم على عطاياه. وبولس يريد أن يبرز التماسك في ما يبدو متناقضًا. فمن بعد الانطباع الأول، تكشف قراءة مجددة لتاريخ الآباء عن استمراريّة مواقف الله. فالوعود (٩:٨، ٩) والاختيار (٩:٦، ١١) كانا دومًا أساس العلاقات بين الله والآباء. بوسعنا أن نكون من نسل ابراهيم، دون أن نكون من أولاده (آ٧أ)؛ ذلك ان أولاد الوعد وحدهم يشكّلون نسله الحقيقي. ولدعم القناعة التي طرحها في آ٧أ، يعود بولس إلى تك ٢١:١٢، مما يجبره على تمييز نوعين من "النسل": نسل ابراهيم بحسب الجسد، من جهة، ونسله بحسب الموعد ورمزه اسحق، من جهة ثانية. فنسل اسحق يستحقّ حتما لقب أبناء ابراهيم، وإن كان يعقوب وحده، بفعل اختيار، هو من تلقّى الوعود فيما بعد. وهكذا يقيم بولس تضاداً بين أولاد اللحم وأولاد الله. وتلتقي كلمات بولس مع أفكاره حول ورثة إبراهيم في روم ٤، حيث كان الوعد يلعب الدور الحاسم (٤:١٣-١٦)؛ لكن الوعد حينذاك كان يخص نسل ابراهيم برمته، وكان اهتمام بولس مُنصَباًّ على طريقة نقل الوعد: البر من الايمان؛ ولذا لم يعر اهتمامًا لإمكانيّة التمييز داخل نسل ابراهيم، لأنه أعلن أن لا نسل إلا بالإيمان.

ترتكز ولادة اسحق على وعدٍ تلقاه ابراهيم؛ أما دور يعقوب، فيتعلّق باختيار يتحدّى كل فهم بشري. فليس ليعقوب وعيسو مصير واحد، سيما وقد اختير الصغير على حساب البكر. فالدعوة إذًا تفوق حق البكورية وتفوق الأعمال. ذلك ان الله يدعو ويوزّع الأدوار دون أن يأخذ البكوريّة بعين الاعتبار، وقبل أن يحقّق الإنسان أي عمل. ويشدّد بولس مرارًا، في هذا المقطع كما في المقطع التالي، على الدور القاطع الذي تأخذه الدعوة التي يوجهها الله (راجع آ٧ حرفيا: "باسحق سيُدعى لك نسلٌ" آ١٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، وثلاث منها ترد ضمن استشهادات من العهد القديم). ونجد، في استبعاد الرسول الأعمال (آ١٢أ)، إعلاناً مسبقاً لمبدأ التبرير، كُشِف عنه في ٩:٣٠-١٠:٤. وتأتي قصة

يعقوب وعيسو لتمكّن بولس من التقدم في طرحه: كل شيء يرتكز على اختيار، ولكن هذا الاختيار يقلب، بالاكثر، المسار الاعتيادي للأحداث. وإن مشهد ابني يعقوب والتشديد على حرية الله، يرسمان في الأفق تاريخ العلاقات المدهشة التي تربط بين إسرائيل والامم الوثنيّة (آ٢٥-٢٩).

رحمة الله تعمل بين الوثنيين كما في داخل إسرائيل.

بقية (٩:١٤-٢٩)

١٤ فماذا نَقول؟ أَيَكونُ عِندَ اللّهِ ظُلْم؟ حاشَ لَه!
١٥ فقَد قالَ لِموسى: "*أَرحَمُ مَن أَرحَم وأَرأَفُ بِمَن أَرأَف*".
١٦ فلَيسَ الأَمرُ إِذًا أَمرَ إِرادَةٍ أَوسَعي، بل هو أَمرُ رَحمَةِ اللّه.
١٧ فقَد قالَ الكِتابُ لِفِرعَون: "*ما أَقَمتُكَ إِلاَّ لأُظهِرَ فيكَ قُدرَتي ويُنادى بِاسْمي في الأَرضِ كلّها*".
١٨ فهو إِذًا يَرحَمُ مَن يَشاء ويُقَسِّي قَلْبَ مَن يَشاء .
١٩ ولا شَكَّ أَنَّكَ تَقولُ لي: " فلماذا يَشْكو بَعدَ ذلك؟ مَن تُراهُ يُقاوِمُ مَشيئَتَه؟"
٢٠ مَن أَنتَ أَيُّها الإِنسانُ حتَّى تَعتَرِضَ على الله؟ أَيَقولُ الصُّنْعُ لِلصَّانِع: لِمَ صَنَعتَني هكذا
٢١ أَلَيسَ الخَزَّافُ سَيِّدَ طينِه، فيَصنَعُ مِن جَبْلَةٍ واحِدَةٍ إِناءً شَريفَ الاِستِعمال وإِناءً آخَرَ خَسيسَ الاِستِعمال؟
٢٢ فإِذا شاءَ اللهُ أَن يُظهِرَ غَضَبَه ويُخبِرَ عن قُدرَتِه فاحتَملَ بِصَبْرٍ عَظيمٍ آنِيَةَ الغَضَب، وهي وَشيكَةُ الهَلاك،
٢٣ ومُرادُه أَن يُخبِرَ عن سَعَةِ مَجْدِه في آنِيَةِ الرَّحمَةِ الَّتي سَبَقَ أَن أَعَدَّها لِلمَجْد، أَي فينا نَحنُ
٢٤ الَّذينَ دَعاهم، لا مِن بَينِ اليَهودِ وَحْدَهم، بل مِن بَينِ الوَثَنِيِّينَ أَيضًا...
٢٥ فقَد قالَ في سِفْرِ هُوشَعَ: "*مَن لم يَكُنْ شَعْبي، سأَدْعوهُ شَعْبي، ومَن لم تَكُنْ مَحبوبَتي سأَدْعوها مَحبوبَتي،*
٢٦ *وحَيثُ قيلَ لَهم: لَستُم بشَعْبي، سيُدعَونَ أَبناءَ اللهِ الحَيّ*".
٢٧ ويَهتِفُ أَشَعْيا كذلِك في كَلامِه على إِسرائيل: "*وإِن كانَ بَنو إِسرائيلَ عَدَدَ رَمْلِ البَحْر، . فالبَقِيَّةُ وَحْدَها تَنالُ الخَلاص،*
٢٨ *فإِنَّ الرَّبَّ سَيُتِمُّ كَلِمَتَه في الأَرضِ إِتمامًا كامِلاً سريعاً*".
٢٩ وبِذلِكَ أَيضًا أَنبَأَ أَشَعْيا فقال: "*لو لم يَحفَظْ رَبُّ القُوَّاتِ لَنا نَسلاً، لَصِرْنا أَمثالَ سَدومَ وأَشباهَ عَمورَة*".

التدبير الإلهي يُثير الدهشة، خاصة عندما لا يعود خط الفصل فاعلاً في إسرائيل وحده، بل يمرّ بين إسرائيل والوثنيين. والرحمة، هي الموضوع الذي يوحّد المقطع، لأنها وحدها تشرح الحالة الحاضرة. هذه الآيات بُنيت في وحدتين يسبقهما تساؤل (آ١٤-١٨؛ آ١٩-٢٩).

هوذا بولس، بعد تفحص لزمن الآباء، يواصل استعراضه لتاريخ إسرائيل، بما أن مبدأ الرحمة يضع موسى على المسرح (٩:١٤-١٨). فالدعوة ترتكز على رحمة الله (٩:١٥، ١٦، ١٨، ٢٣؛ ١١:٣٠، ٣١، ٣٢)، وليس على "إرادة" الإنسان أو "سعيه" الحثيث (آ١٥-١٦)، لأن الله الذي يرحم، هو أيضًا ذاك الذي يقسّي (آ١٨). ويدعم بولس تأكيده هذا برواية الخروج من مصر (خر ٤:٢١؛ ٧:٣، ١٣، ١٤؛ ٩:١٢؛ إلخ..) وهي، إمّا تشدّد على مسؤوليّة الفرعون الذي يقسو قلبه، او تنسب قسوة فرعون إلى الله. ويحلو للنص البيبلي، من خلال هذه الصيغ المتناقضة، أن يبين بان ليس بوسع اي رفض بشري أن يوقف ارادة الله في الخلاص. فالفرعون هو صورة الوثني الذي، من حيث لا يدري، يمجّد الله، لأن عناده يُفجّر قدرة الله، ويتسبّب بالتالي في إعلان "الإسم" في كل الأرض. وهنا يستخدم بولس الحبكة البيبليّة، مبيّنا ان إسرائيل هو الآن المناهض الذي يتسبّب في إعلان "الإسم" في كل الأرض. أما الوثنيون، فنراهم يتجاوبون مع الدعوة الموجّهة إليهم، وها هم، على عكس الفرعون، يعلنون الإسم دون أي إكراه. وانطلاقا من هذا التحوّل في التصرّفات، صار بوسع بولس ان يطبّق على الوثنيين النصوص التي كانت تشير أصلاً إلى إسرائيل، لأنهم، وقد دُعوا للإيمان بالمسيح، أخذوا، إلى حدّ ما، مكان إسرائيل، (آ٢٥-٢٦).

ويفترض بولس اعتراضًا يفتتح به الوحدة التالية (٩:١٩-٢٩). فهو يعرف تمامًا أنه يستعمل أسلوبًا تأكيديًا أكثر منه برهانيًا، لكنّه يدعو من يعارض المبدأ المذكور في آ١٨، ويعارض بالتالي مشروع الله، أن يتذكّر بأنه كالإناء في يد الخزّاف (٩:١٩-٢٠). وهي صورة بيبليّة بامتياز (أش ٢٩:١٦؛ ٤٩:١٥ب؛ إر ١٨:١-٦؛ سي ٣٣:١٣). فكما يستعمل الخزّاف الطين على سجيّته، هكذا يتصرّف الله تجاه البشر. فأبناء إسرائيل القديم (اليهود) الذين استغلّوا صبر الله، هم "**آنية الغضب**"، اما الوثنيون المدعوون، فهم "**آنية الرحمة**" (آ٢٢-٢٣). "وآنية الغضب" هم الأشخاص الذين استغلّوا صبر الله وتمادوا في الخطيئة، فأُسلموا للهلاك. ويتجنّب بولس تمامًا أن ينسب إلى الله وحده مصير هؤلاء الأشخاص. ولا يساوره القلق ذاته بشأن "آنية الرحمة" التي صنعها الله نفسه، هؤلاء "الذين دعاهم" بجودته. والآيات ٢٢-٢٣ هي في خط ٣:٢٥-٢٦، إذ برّز بولس التضاد بين

زمن الصبر من جهة، وبين الزمن الحاضر من جهة ثانية. ويُعبَّر عن مجّانيّة عمل الله تجاه المدعوين بمفردات مشابهة لما ورد في ٢٩:٨-٣٠، ولو أن بولس لم يتوسّع في روم ٩ في كل مراحل المسار الذي كان قد رسمه في روم ٨. فهنا أيضًا تبرز القناعة عينها لتؤكد بأن كل شيء يرتكز على رحمة الله. وإن المشاعر التي تحرّك مسيحيي روما من اصل وثني، تفسّر تشديد بولس على رحمة الله في دعوته؛ هم الذين استفادوا من هذه الرحمة، ولا يمكنهم أن ينسبوا لذواتهم أي استحقاق، مهما كان صغيراً.

منذ آ٦ يضع بولس مصائر عديدين وجهاً لوجه:

- مصير اسحق، ابن الوعد، مقابل مصير اسماعيل، الإبن بحسب اللحم.
- مصير يعقوب، ابن الاختيار، وابن وعد مزدوج (آ ١٢ب، ١٣ب)، مقابل مصير عيسو.
- مصير موسى، الشاهد على رحمة الله وقدرته، مقابل مصير فرعون الوثني، المعادي لله ولشعبه.
- مصير آنية الغضب، مقابل آنية الرحمة؛ أي مصير إسرائيل عامة، مقابل مصير المدعوين من اليهود والوثنيين.

تأتي آ٢٥أ كمقدّمة لسلسلة من الشواهد الكتابيّة. فبعد ان استعرض بولس مشهد الآباء وموسى، ينهي برهانه حول رحمة الله بالعودة إلى هوشع وأشعيا (آ٢٥-٢٩)، لأنهما يدعمان آ٢٢-٢٤، كما يدعمان مجمل طروحات بولس. لقد صار الوثنيون شعب الله؛ اما إسرائيل، فقد انقسم إلى قسمين، وبدرجة غير متساوية: لأن "البقية" وحدها هي المدعوّة. ويستعمل بولس شاهدين من هوشع (هو٢:٢٥؛ ٢:١)، ليجعل من مملكة الشمال الغارقة في خطيئتها، صورة للوثنيين. وبولس، باستخدامه لهوشع، يظهر حريّته في الاستناد إلى الكتب؛ ذلك ان اقوال هوشع تتعلّق، في الحقيقة، بمملكة الشمال وتعلن توبتها. أما بولس، فيطبّق على الوثنيين الداخلين إلى الجماعة المسيحيّة أسماء رمزيّة تعود إلى اثنين من أولاد هوشع ("من لم يكن شعبي" و"من لم تكن محبوبتي"). وإنّ التحوير في المعنى لهو في غاية الاهمية، لأن نص هوشع تضمن صورتين متقابلتين. فبالمعنى الحرفي، تعلن هذه النصوص عودة إسرائيل برمته إلى الله؛ لكنّها، وبحسب قراءة بولس، تستشف رحمة الله تجاه الوثنيين. والحال ان نص روم١١:١١-٢٤ يطرح السؤال حول العلاقات التي تربط مجمل إسرائيل بالوثنيين.

ويطبّق بولس على اسرائيل مرجعين من أشعيا (أش١٠:٢٢-٢٣ و ١:٩). يسعى المرجع الأول إلى جعل "بقية" إسرائيل الحالية متجذرة في الكتب (آ٢٧-٢٨)، في حين يشدد المرجع الثاني (آ٢٩) على رحمة الله في بنيان هذه "البقيّة". والمرجع من أش

١٠:٢٢-٢٣ يتضمّن فكرة رجاء ووعد؛ فهي لا توحي بأية حصريّة من نوع "وحـدها البقيّة الصغيرة تخلص". لذا فإن الترجمة الأفضل هي ان "البقيّة تخلص" (س. ليوني)، مـن دون اية كلمة اضافية. هذه "البقية"، رمز الرجاء، سنجدها في ١١:١-١٠.

بقية إسرائيل في سفر أشعيا

إن موضوع البقيّة عزيز جداً لدى النبي أشعيا الذي سمّى أحد أبنائه "بقية تعود" (اش٣:٧). فلقد كان النبي شاهدًا، في القرن الثامن ق.م.، على نكبات عسكريّة عديدة طالت إسرائيل، فرأى فيها إعلانًا لدينونة الله للشعب الخائن. لكن النبي، في الوقت عينه، حوّل هذه الكوارث إلى علامة رجاء: فأعلن أن الله لن يتراجع عن اختيار اسرائيل الذي خسر من امجاده في هذه المآسي.إلا ان تاريخ إسرائيل لم يتوقّف، كما في حالة سدوم وعَمورة؛ بل شكّل الناجون من هذه الكوارث تلك "البقية" التي أعلنت استمراريّة اسرائيل واعادة بنائه. وقد نُسبَ إلى هذه "البقيّة" دور تشفّعي: فهي التي كانت تحمي الشعب، كما كانت وراء تجديد اسرائيل، وبالتالي وراء خلاصه.

بر الإيمان والمسيح (٩:٣٠-١٠:٤)

٣٠ **فماذا نَقول؟ نَقولُ إنَّ الوَثنيِّينَ الَّذينَ لم يَسعَوا إلى البرِّ قد نالوا البرَّ الَّذي يَأتي مِنَ الإيمان،**
٣١ **في حين أَنَّ إسرائيلَ الَّذي كانَ يَسْعى إلى شَريعةِ برٍّ لم يُدرِكْ هذه الشَّريعة.**
٣٢ **ولِماذا؟ لأَنَّه لم يَنتَظِرِ البرَّ مِنَ الإيمان، بَل ظَنَّ إِدْراكَه بالأَعمال، فصَدَمَ حَجَرَ صَدْم،**
٣٣ **فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "*هاءَنَذا واضِعٌ في صِهيُونَ حَجَرًا لِلصَّدمِ وصَخْرَةً لِلعِثار، فمَن آمَنَ بِه لا يُخْزى*".**

١٠ ١ **أَيُّها الإخوَة، إنَّ مُنيَةَ قَلْبي ودُعائي لله مِن أَجلِهم هُما أَن يَنالوا الخَلاص.**
٢ **فإِنِّي أَشهَدُ لَهم أَنَّ فيهم حَمِيَّةً لله، ولكِنَّها حَمِيَّةٌ على غيرِ معرِفَة.**
٣ **جَهِلوا برَّ الله وحاوَلوا إِقامةَ برِّهم فَلم يَخضَعوا لِبرِّ الله.**
٤ **فغايَةُ الشَّريعةِ هي المسيح، لِتَبْريرِ كُلِّ مُؤمِن.**

يشكّل هذا المقطع انتقالاً: فهو يختتم التأمل في رحمة الله وفي فكرة اسـتمراريّة "بقيّة"؛ كما يفتح الأفق على برّ الله وعلى رفض غالبيّة اسرائيل. ويعبر المقطع من الـبرّ الآتي من الإيمان (٩:٣٠ب) إلى البرّ المُعطى لكلّ من يؤمن (١٠:٤ب). ويتـألّف مـن وحدتين (٩:٣٠-٣٣؛ ١٠:١-٤) تُختم كل منهما باعلان حول المسيح.

يستنتج بولس الخلاصات من قراءته تاريخ إسرائيل (٩:٣٠-٣٣)، فيؤكّد أن هذا التاريخ تحقّق في زمنه، في شخص المدعوين من يهودٍ ووثنيين. كما يستخلص الرسول تعليمًا من الأحداث ("فماذا نقول؟")، ويعطي تفسيراً ("ولماذا؟" آ٣٢أ). ذلك أن المسيح المذكور في آ٣٣، من خلال صورة، هو السبب الاكبر لرفض إسرائيل. وسيكرر بولس آ٣٠، في ١٠:٢٠، في شكل مرجع من العهد القديم. وهوذا بولس يضع موازاة بين موقفين وبرّين:

- الوثنيون الذين لم يكونوا يسعون إلى البرّ، حصلوا على البر؛ لكنّه "**البر الذي يأتي من الإيمان**" (آ٣٠ب؛ راجع آ٣٣ج.).
- إسرائيل **الذي كان يسعى إلى شريعة تمنح البرّ، لم يبلغ هدفه**. فهو لم يحقّق بالتالي الهدف الذي عرضته عليه الشريعة، لأنّه تعلّق بالشريعة ليحصل على البرّ، بالأعمال وليس بالإيمان؛ فهو لم يسر في خط ابراهيم.

ترتبط مسيرة الإيمان بالمسيح، وهو الحجر الذي اصطدم به إسرائيل. ويصف بولس مفاعيل اللقاء بالمسيح -وقد سُميّ في هذه الوحدة من خلال صورة- بمساعدة مرجع من أش ٢٨:١٦ دُمج بـ أش ٨:١٤، حيث نقرأ: "**حجر صدم، صخرة**". اما "البقية"، فقد استعيرت من أش ٢٨:١٦. ذلك ان اشعيا، مقابل المعاهدات المرية مع مصر، والكلام المخادع مع أشور، يذكّر أنّ سلالة داود هي "**حجر الزاوية الثمين**" والوحيد، بالنسبة إلى الشعب، لأن الرب نفسه وضعه (أش ٢٨:١٤-٢٠). أما سياق أش ٨:١٤، فمختلف، إذ ان بوسع الرب -وهو عادة "الملجأ والحصن" لشعبه- أن يصبح مخيفًا، و"**حجرًا للصدم**"، إن لم يكن الشعب أمينًا. وبولس، في ضوء إيمانه بالمسيح وتأمّله بإسرائيل الذي فضّل اعتقاداته على الاعتراف بالمسيح، قام بقراءة مسيحانية لنصوص اشعيا، مخلصا إلى أن "**حجر الصدم**" هو المسيح بالذات. ونهاية المرجع (آ٣٣د) تفتح إمكانية الحصول على خيرات الخلاص، أمام كل إنسان.

وينعكس روم ٩:٣٠-٣٣، كما في مرآة، في نص روم ١٠:٣-٤، وهو يختم الوحدة الثانية (١٠:١-٤). ولَكَم تمنّى بولس أن يكون محرومًا، أي ملعونًا، ومرذولاً من الله ومن الجماعة، ليُخلّص إخوته بحسب اللحم (راجع ٩:٢-٣)، لكن لا أمل في تحقيق أمنية مثل هذه. ومن ثمّ، وبطريقة واقعيّة، وبأسلوب عاطفي، يصلي الرسول (آ١) من أجل خلاص من كانوا يظنّون أنهم يحصلون على البرّ بالأعمال. وهم اولئك الاسرائيليون الذين حظوا بمراحم الله، وتسكنهم الغيرة عليه طالما يسعون إلى شريعة البرّ (٩:٣١)،

ولكنّها غيرة غير مستنيرة. ذلك ان إسرائيل بحث عن برّه الخاص، البرّ بالأعمال وليس بالإيمان؛ فانه تبع شريعة البر دون أن يفهم بأنّ البرّ يتعلّق بالإيمان وليس بالأعمال. واسرائيل لم يقبل أن تكون غاية الشريعة هي المسيح ، وهو وحده القادر أن يعطي البرّ الذي وعدت به الشريعة. انه لم يعترف بوجود سبيل مشترك نحو البرّ، عبر الإيمان. الا إنّ البحث عن البر، وهو الهدف الذي حدّده إسرائيل لذاته، لم يبطل؛ لكن الإسرائيليين، بتعلقهم ببرّهم الشخصي، لم يستشفوا قط العلاقة الجوهريّة التي تربط الشريعة بالمسيح، لأن "**غاية الشريعة هي المسيح**".

هذه العبارة الشهيرة، بوسعها أن تأخذ معاني عدّة، لأن الكلمة اليونانيّة Telos (اي النهاية والختام) تعني الحدّ والوقفة، ولكنها تعني أيضًا الغاية، لا بل الاكتمال. ومن هنا كانت إمكانيّة فهمها بمعنيين: "وضع المسيح حدًّا للشريعة"، أو "ان المسيح هو غاية الشريعة وكمالها".

- "**المسيح يضع حدًّا للشريعة**"، وبالتالي تكون الشريعة مؤقّتة، وتتخذ مكاناً بين الوعد وبين المسيح الذي يضع لها حدًّا. قراءة كهذه ترافقها صعوبات، لأن بولس لا يمنع اليهود المسيحيين من اتّباع الشريعة التي تجد ملئها واكتمالها في المحبّة (١٣:٨؛ غل ٥:١٤).
- "**المسيح غاية الشريعة**". في الفلسفة الهللينيّة، غالبًا ما تتضمّن عبارة Telos اليونانيّة معنى الغاية، وخاصة عندما يتعلّق الأمر بالحياة. ثم أن هناك استمراريّة بين ٩:٣٠-٣٣ و ١٠:١-٤: إسرائيل لم يبلغ الشريعة، لأنّه لم يفهم أنها تؤدّي إلى المسيح. وبالفعل، ان الشريعة تفترض البرّ (٤:٨) الحاصل بموت المسيح وقيامته. ويمكننا ايضا أن نحدّد هذا المعنى على النحو التالي: ليس المسيح غاية الشريعة حسب، بل هو الذي يتمّمها.

إن ازدواجية العبارة موفّقة، فالمسيح هو حقًّا غاية الشريعة؛ إنه في خطّها وهو الذي يتمّمها، لأنه يدفع بمبادراتها القوية إلى اقصى الحدود. ولكنه، في الوقت عينه، يضع حدًّا للشريعة التي تدّعي انها مصدر البرّ.

إسرائيل بين البرّين (١٠:٥-٢١)

٥ **وقد كَتَبَ موسى في البرِّ الآتي مِن أَحكامِ الشَّريعة: "*إنَّ الإنسانَ الَّذي يُتِمُّها يَحيا بها*".**
٦ **وأَمَّا البرُّ الآتي مِنَ الإِيمان فيَقولُ هذا الكلام: "*لا تَقُلْ في قَلْبِكَ: مَن يَصعَدُ إِلى السَّماء؟ (أَي لِيُنزِلَ المسيح)*"**
٧ ***أَو: مَن يَنزِلُ إِلى الهاوِيَة؟ (أَي لِيُصعِدَ المسيحَ مِن بَينِ الأَموات)*".**

٨ فماذا يَقولُ إذًا؟ " *إِنَّ الكَلامَ بِالقُرْبِ مِنكَ، في فَمِكَ وفي قَلبِكَ*". وهذا الكَلامُ هو كَلامُ الإِيمانِ الَّذي نُبَشِّرُ بِه.
٩ فإِذا شَهِدتَ بِفَمِكَ أَنَّ يسوعَ رَبّ، وآمَنتَ بِقَلبِكَ أَنَّ اللّهَ أَقامَه مِن بَينِ الأَموات، نِلتَ الخَلاص.
١٠ فالإِيمانُ بالقَلب يُؤَدِّي إِلى البِرّ، والشَّهادةُ بالفَمِ تُؤَدِّي إِلى الخَلاص،
١١ فَقَد وَرَدَ في الكِتاب: " *مَن آمَنَ به لا يُخْزى*" .
١٢ فَلا فَرْقَ بَينَ اليَهودِيِّ واليُونانِيّ، فالرَّبُّ رَبُّهم جَميعًا يَجودُ على جَميعِ الَّذينَ يَدعونَه.
١٣ " *فكُلُّ مَن يَدْعو باسمِ الرَّبِّ يَنالُ الخَلاص*".
١٤ كَيفَ يَدْعونَ مَن لَم يُؤمِنوا بِه؟ وكَيفَ يُؤمِنونَ بِمَن لَم يَسمَعوه؟ وكَيفَ يَسْمَعونَه مِن غَيرِ مُبَشِّر؟
١٥ وكَيفَ يُبَشِّرونَ إِن لَم يُرسَلوا؟ وقَد وَرَدَ في الكِتاب: " *ما أَحسَنَ أَقدامَ الَّذينَ يُبَشِّرون!*"
١٦ ولكِنَّهُم لَم يُذعِنوا كُلُّهم لِلبِشارة، فقَد قالَ أَشَعْيا: "*يا رَبّ، مَن الَّذي آمَنَ بِما سَمِعَ مِنَّا؟*"
١٧ فالإِيمانُ إِذًا مِنَ السَّماع، والسَّماعُ يَكونُ سَماعَ كَلامٍ على المسيح.
١٨ على أَنِّي أَقول: أَتُراهُم لم يَسمَعوا؟ بَلى، " *لَقَد ذَهَبَ صَوتُهُم في الأَرضِ كُلِّها، وأَقوالُهم في أَقاصي المَعْمور*"
١٩ غَيرَ أَنِّي أَقول: أَتُرى إِسرائيلُ لم يَفهَمْ؟ سَبَقَ أَن قالَ موسى : " *سأُثيرُ غَيرَتَكم مِمَّن لَيسوا بِأُمَّة، وعَلى أُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغضِبُكم*.
٢٠ أَمَّا أَشَعْيا فلا يَخْشى أَن يَقول: " *إِنَّ الَّذينَ لم يَطلُبوني وَجَدوني، والَّذينَ لم يَسأَلوني عَن شَيءٍ تَراءَيتُ لَهم*".
٢١ ولكِنَّه يَقولُ في إِسرائيل: " *بَسَطتُ يَدَيَّ طَوالَ النَّهارِ لِشَعبٍ عاصٍ مُتَمرِّد*".

يتضمّن المقطع وحدتين هما على علاقة وثيقة بـ ٩:١٤-٢٩. في الأولى، استنتاج لوجود نوعين من البر، وشرح لماهيّة فكرة "البر بالإيمان" الموجودة أصلاً في تقليد إسرائيل (١٠:٥-١٥)؛ فان سخاء الله ورحمته هما تجاه الجميع، (راجع ٩:١٩-٢٩). وفي الوحدة الثانية (١٠:١٦-٢١)، تأكيد على مسؤوليّة إسرائيل، فتغيب كل إشارة إلى الله الذي يقسّي (كما في ٩:١٤-١٨)، وكل اهتمام باتجاه "البقيّة" (٩:٢٥-٢٩)، ليتوجّه الانتباه إلى رفض إسرائيل لدعوة الله.

كانت الشريعة عينها تعرف برّين. فبعد ان تمت الاشارة إلى وجود برٍّ يتأتّى من تتميم الوصايا، ولو نظرياً، اخذت الوحدة (١٠:٥-١٥) تفسر كيف يعمل البر بالإيمان،

بعد أن بُرّزت أهميّته في المقطع السابق ("الإيمان" ٩: ٣٠، ٣٢؛ ١٠: ٦، ٨، ١٧؛ "آمن" ٩: ٣٣؛ ١٠: ٤، ٩، ١٠، ١١، ١٤، ١٦؛ وقد كانت هذه المفردات بمثابة مفاتيح في روم ٤)، وكيف يتجذر في الشريعة عينها. ذلك ان البرّ بالإيمان يقود إلى الخلاص ("خلّص" ٩: ٢٧؛ ١٠: ٩، ١٣؛ ١١: ١٤، ٢٦؛ "خلاص" ١٠: ١، ١٠؛ ١١: ١١)؛ وهو في قلب تقليد إسرائيل، كما سبق وتوضح في روم ٤، انطلاقًا من صورة إبراهيم. فبين البر في ظل الشريعة، والبرّ الذي يحقّقه المسيح، لا تناقض قط. وبالفعل، فإن كلمة الإيمان التي تعلنها الجماعة المسيحيّة، هي قريبة، كما كانت قريبة كلمة الله التي تضمنتها الشريعة؛ فالكلمة المُعلنة في الشريعة هي "**رسالة الإيمان**".

إلا ان التناقض بين البرّين، البرّ الذي اعطاه إسرائيل لذاته، والبرّ الآتي من الله، مبنيّ على الكتب عينها (آ٥-٨). يشخّص بولس البرّ، كما شخّص الشريعة والخطيئة في حالات أخرى. والبرّان يجدان اساسهما في الشريعة، لكن شروط تحقيقهما متناقضة. "**فالبر الآتي من الشريعة**"، كان قد قدّمه موسى، وهو الذي أعطى الشريعة لإسرائيل وكتبها (آ٥). وهنا يعود بولس إلى اح ١٨: ٥ الذي يفترض ان كل فرائض الشريعة قد أُتمت. وبرٌّ كهذا يستند، إذن، إلى سعي الإنسان فقط.

ثم يبحث بولس عن جذور "البرّ الآتي من الإيمان" في سفر تثنية الاشتراع؛ فيستعير عبارةً من تث٩: ٤ "**لا تقل في قلبك**"، ليوجِّه نظرة نحو عمل الله المجّاني على مدى تاريخ الخلاص. ذلك ان امتلاك الأرض لم يكن مكافأة استحقّها الشعب؛ فمن الخطأ التفكير على هذا النحو: "**لأني بار أدخلني الرب لأمتلك الأرض**". ويرتكز "البر بالإيمان" في روم ١٠: ٦ج-٨ على تث٣٠: ١٢-١٤. هوذا موسى يدعو إسرائيل إلى التوبة، لأن الله جعل ذاته قريبًا من الإنسان بكلمته، ويكفي أن يقبلها الإنسان، دون الحاجة إلى أي بحث عسير. فكما كان عليه عمل الله عبر التاريخ، يبقى "البر بالإيمان" قريبًا؛ وهكذا تكون كلمة تثنية الاشتراع بمثابة استباق لقرب كلمة المسيح المعطاة من أجل البرّ.

يقارن سفر التثنية بين قرب الكلمة من جهة، وبين البحث عنها "**في السماء وما بعد البحار**" من جهة ثانية. فالكلمة القريبة من الإنسان، "**في فمه وفي قلبه**"، تقوم في واجب محبة الله، كما جاء في تث ٣٠: ٦ (راجع آ١٠ب). وهذه الوصيّة قابلة التحقيق، لأنّ الله نفسه سيختن قلب إسرائيل (تث٣٠: ٦). كما ان نص التثنية هذا قريب من إر٣١: ٣١-٣٤ وحز ٣٦: ٢٥-٢٧. فلقد اقتربت الكلمة من البشر على يد موسى، ولكنّ هذه القربى لن تعطي كامل مفاعيلها، من دون أن يتدخّل الله ذاته ويختن قلب الإنسان.

والحال، لم يعد من الضروري، في نظر بولس، الانتظار أو التوق إلى تدخّل جديد لله، لأن كلمة الايمان المُعلنة في العهد القديم، صارت قريبة، وإلى الأبد، بموت المسيح وقيامته (آ ٨). لهذا، نقّح بولس نص التثنية ليصبح استباقًا للطريق الذي حقّقه المسيح؛ فلم يعد الأمر يتعلّق بالذهاب الى ما وراء البحار، بل في البحر، اي بالنزول إلى الهاوية، إلى أعماق الأرض. وهكذا، من خلال هذه القراءة، تكون الشريعة عينها قد أعلنت خط سير المسيح، وقد صعد إلى السماء ونزل إلى أسافل الأرض؛ فالشريعة تتكلّم عنه، إذ إن البر الذي يعطيه المسيح هو مسبقا البر المعروض في الشريعة. وهذا التوازي بين تث ٣٠:١٢-١٣ والمسيح اصبح ممكنا ولا شك بفضل قراءة لترجوم للنص.

هذا الترجوم -وهو ترجمة آراميّة للنص البيبلي العبري، ليُقرأ في المجامع أثناء الاحتفالات الليتورجيّة، وهو يفسر غالبًا النص العبري- يقرأ المرجع من سفر التثنية على الشكل التالي: "ليست الشريعة في السماء لتقولوا: ليت كان لنا أحد كموسى النبي ليصعد إلى السماء ويأخذها عوضنا، ويُسمعنا الوصايا لنعمل بها! وليست الشريعة وراء البحر الكبير لتقولوا: ليت كان لنا أحد كيونان النبي ليترل إلى أعماق البحر الكبير، ويصعدها لنا فيُسمعنا الوصايا لنعمل بها! (ترجوم نيوفيتي)؛ ذلك أن المسيحيين الأوائل كانوا يعتبرون موسى ويونان صورتين للمسيح. هذا الشرح الترجومي سمح لبولس أن يطبّق بعفوية نص تثنية الاشتراع على المسيح (راجع آ٦ج و٧ب).

في ١٠:٩-١٣ يواصل بولس برهانه بدقّة متناهية، مستعملاً سلسلة من أدوات الوصل: "ف، في الواقع، هكذا"، بحيث تستند كل آية إلى ما سبقها. ويستخدم بولس طرق التفسير المعروفة في زمانه، فيلعب على مفردتين من تث ١٤:٣٠، هما "الفم والقلب" (آ٨). ويُدخل، في آ٩-١٠، حركتي "شهِد/اعلن وآمن". وهكذا، من خلال بنية رائعة، وعبر انقلاب في ترتيب المفردات، كشف بولس عن عمق الروابط بين البرّ والخلاص:

٩ إذا (شهدت) **بفمك** أن يسوع رب

وآمنت **بقلبك** أن الله أقامه من بين الأموات **نلت الخلاص**

١٠ فالإيمان **بالقلب** يؤدّي إلى **البرّ**

والشهادة بالفم تؤدّي إلى **الخلاص**

آ٩ ب تربط الخلاص بالإيمان في القلب، في حين تعتبر آ١٠أ أن البر هو نتيجة الإيمان؛ أما الخلاص، فينسب إلى الشهادة بالفم. وفي الوقت ذاته، يشدد بولس على ان غاية الشهادة للإيمان هي الخلاص.

وتعطي آ١١-١٣ الأسس الكتابيّة لهذه التأكيدات، وتضفي عليها مدىً شاملاً. ذلك ان بولس، حين يكـــرر في آ١١ مـــا ورد في أش ١٦:٢٨ "**مـــن آمـــن بـــه لا يُخزى**"(راجع روم ٩:٣٣ج)، فهو انما يعبر عن انفتاح باتجاه اليهودي واليوناني (آ١٢). وهذا ما أراده أيضًا حين عاد، في آ١٣، إلى يوئيل النبي الذي أعلن خلاص الوثنيين في نهاية الأزمنة. وبالفعل، فإن دعوة الله موجّهة إلى أشخاص من اليهود والوثنيين (٩:٢٤)، ممـــا يعني أن عبارة "**من يدعو باسم الرب**" ممكنة لليهودي والوثني على الـــسواء (١٠:١٢). فالدعوة باسم الرب هي، للجميع، طريق الخلاص، بصرف النظر عن أصلهم؛ والطريـــق الوحيد الممكن للخلاص: هو الشهادة، والإيمان، والدعوة باسم الرب. أما عبارة "**مـــن يدعو باسم الرب**" (بمعنى "الذين يدعون باسم الرب")، فتشير إلى المسيحيين، مما يعني أن الرب لم يعد إله إسرائيل، كما في العهد القديم، بل هو الرب يسوع.

وترتبط الآيات ١٤-١٥ بالآيات السابقة بواسطة عبارتي "يدعو، يؤمن"؛ انهما تستعرضان المسار الكامل الذي يربط ما بين رسل الإنجيل والدعوة باسم الرب. يقلـــب بولس المسار المنطقي، فينطلق من دعوة إسم الرب ليصل إلى مصدرها. وللتعـــبير عـــن الطريق الذي يجب السير فيه، يستعمل بولس أربعة تساؤلات وخمس عبـــارات: دعـــوة الإسم، والإيمان، والسماع، والتبشير، والإرسال. وفيما تتعلّق الازمنـــة الثلاثـــة الأولى بالمتلقين، يصبح الإرسال مصادقة على عمل المبشِّر. ومن خلال السماع والكلمة، هوذا بولس يشخّص المسيح والكرازة الرسولية: فالمسيح حاضر عبر التبشير الرسولي، لأن من يسمع هذا التبشير يسمع المسيح بالذات. وإذا كان نص أش ٥٢:٧، الوارد في آ١٥، يعني اعلان بناء أورشليم، لكنه يتضمّن بعدًا مسيحانيًّا، لأن أشعيا الثاني، في نبؤته، كان يتطلع إلى ملكوت يحققه الله ذاته.

ويتساءل بولس عمّن استطاع أن يتجاوب مع التبشير الرسولي المطبوع بقـــرب الكلمة (١٠:١٦-٢١)؛ مع ان بساطة المسار المعروض لم تؤدِّ بإسرائيل إلى الطاعة. ويأتي الاستشهاد بنص من أش ٥٣:١ (بحسب السبعينيّة) ليربط حاضر إسرائيل بتقليد إسرائيل. فكما تساءل النبي عن مدى قبول الناس لكرازته، تساءل بولس حول المصير الذي لقيـــه التبشير المسيحي: "**يا رب، من آمن بما سمع منا؟**" (آ١٦ب). أما الجـــواب علـــى هـــذا السؤال، فيأتي في آ١٩-٢١ ليقابل بين موقف الوثنيين من جهة، وموقف إسرائيل مـــن جهة ثانية. لكن بولس لم يعد يكتفي بالموازاة، لأن بين الوثنيين واليهود تداخلا وترابطاً. ويسند وجهة النظر هذه (آ١٩) مرجع من تث ٣٢:٢١، ينبئ عن جوهر ما سيُطرح في ١١:١١-١٥. فجواب الوثنيين سيكون ذا اهمية كبرى لإسرائيل. وفيمـــا تـــذكّر آ١٧،

باقتضاب، بالمراحل التي تمكّن من الإيمان، وهي الإيمان، النداء(Akoè، أي ما يُسمع، الضجة، الكلام)، الكلام الملفوظ، تشرح في الوقت عينه، معنى قول أشعيا للوضع الحاضر. إذ ان النداء، أي ما يُسمع، يتخذ سلطته من المسيح؛ وبهذا المعنى، يمكّن من اللقاء مع المسيح بالذات (آ١٤، ١٧).

تبرز الكتب مسؤوليّة إسرائيل الكاملة؛ فقد دوّت الكلمة في كل مكان، وفهم إسرائيل جيدًا. فالمزمور ١٩:٥ كان قد أعلن صدوح صوت المبشّرين في كل مكان. اما إدراج تث ٣٢:٢١ في آ١٩ب، فيعبِّر عن رفض إسرائيل، ولكنّه يفتح المجال في الوقت عينه لامكانيّة تحوّل في موقفه. فان اسرائيل سيغضب ويغار عندما يتحقّق من أن الوثنيين الذين كان يعتبرهم أمَّة جاهلة وغير مهيّأة لقبول كلمة الرب، قد قبلوها. كما يُعلن هذا المرجع عن فكرة التلاقي بين مصيري اسرائيل والأمم، تلك الفكرة التي يتوسّع فيها بولس في ١١:١١+. اما الآيتان ٢٠-٢١، فهما مرجع من أش ٦٥:١-٢، لكن بولس يعرض تفسيره الخاص: ان آيتي اشعيا تعبّران عن رحمة الله تجاه إسرائيل، بحيث يبدو رفض اسرائيل مستهجنًا جداً؛ فلقد تصرّف الشعب على مثال الوثنيين!

يتبع بولس، في شرحه لنص أشعيا، طريقة بعض التيارات اليهودية ، فيستند إلى معطى من الترجمة السبعينيّة التي، في معرض الكلام عن إسرائيل، تستعمل مفردات يونانيّة مختلفة (ethnos "أمّة وثنيّة"، و Laos "شعب"، وهي العبارة الشائعة للدلالة على إسرائيل). فهو يقسم ابطال المأساة إلى قسمين: استُخدمت آ١ للدلالة على الوثنيين الذين لا يبحثون عن الله، ومع ذلك وجدوه؛ اما آ٢، فتشير إلى رفض إسرائيل، وهذا يتماشى مع فكر أشعيا. وتبدو نتائج الكرازة مدهشة للوهلة الأولى: فقد رفضها الشعب الذي وُجِّهت إليه، فيما برز مستفيدون جدد. ووجد بولس لهذه المفارقة سندًا كتابيًّا، إذ انها تكشف عن استمراريّة مخطّط الله، مع اعتبار ان للقطيعة حدّاً. فالكتاب المقدّس (٩:٢٥-٢٩؛ ١٠:٢٠-٢١) كان قد أعلن عن مستفيدين جدد للكلمة، لكنّه رأى مسبقاً غيرة إسرائيل التي ستصبح مصدر خلاص لكل اسرائيل. وهكذا، في نهاية روم ١٠، لن يضع بولس موازاة بين الوثنيين و "البقيّة"، بل بين الوثنيين وإسرائيل في مجمله.

الجزء الثاني

معنى "البقيّة" وترابط إسرائيل والأمم (١١:١-٣٢)

في روم ١٠:١٨-١٩ تساؤلان يُبرزان مسؤوليّة إسرائيل: "على اني أسأل...".

وفي ١١: ١، ١١، يرفض بولس، على دفعتين، فكرة أن يكون الله قد رذل إسرائيل، ثم يختم بإعلان احتفالي عن سرِّ عصيان إسرائيل (١١: ٢٥-٣٢). يهيّئ المقطعان الأوّلان (آ١-١٠ و آ١١-٢٤) هذا الإعلان؛ وعلى العكس، فان مضمون السر (آ٢٥-٣٢) يثبّت الأجوبة التي قدمها في المقاطع السابقة.

يميّز المقطع الأول (آ١-١٠) بين "بقيّة إسرائيل" التي، بالرغم من كونها صغيرة وضعيفة، تعطي شهادة عن الأمانة، وبين إسرائيل الذي رفض كلمة المسيح؛ لكن الأهمّ هو أنّ النص وضع مبدأً واضحًا يؤكّد أن إسرائيل قُسّيَ، ولكنه لم يُرذل. ولا يَغفل المقطع الثاني (آ١١-٢٤) عن موضوع "البقيّة" المطروح سابقًا، بل يُظهر، من خلال براهين، المراحم التي حصلت لإسرائيل برمته بواسطة "البقيّة" والآباء.

لم يُرذل إسرائيل، بل قُسّي قلبه. وتأكيدًا لتقليد إسرائيل، تبقى "بقيّة" ازاء من قَستْ قلوبهم (١١: ١-١٠)

١١ ١ **فأَقولُ إذًا: أَتُرى نَبَذَ اللهُ شَعبَه؟ حاشَ لَه! فإِنّي أَنا إِسرائيليٌّ مِن نَسْلِ إبراهيم وسِبْطِ بَنْيامين.**
٢ **ما نَبَذَ اللهُ شَعبَه الَّذي عَرَفَه بسابِقِ عِلمِه. أَوَلا تَعلَمونَ ما قالَ الكِتابُ في إِيلِيَّا؟ كَيفَ كانَ يُخاطِبُ اللهَ شاكيًا إِسْرائيلَ فَيَقول:**
٣ **" *يا رَبّ، إِنَّهم قَتَلوا أَنبياءَكَ وهَدَموا مَذابِحكَ وبَقِيتُ أَنا وَحْدي، وهُم يَطلُبونَ نَفْسي* " ؟**
٤ **فماذا أُوحِيَ إِلَيه؟ "*إِنّي استَبقَيتُ لي سَبعَةَ آلافِ رَجُلٍ لم يَجْثوا على رُكَبِهِم لِلبَعْل*".**
٥ **وكَذلِكَ في الزَّمَنِ الحاضِرِ لا تَزالُ بَقِيَّةٌ مُختارةٌ بالنِّعمَة.**
٦ **فإِذا كانَ الاِختِيارُ بالنِّعمَة، فلَيسَ هو إذًا بالأَعمال، وإلاَّ لم تَبْقَ النِّعمَةُ نعمَة.**
٧ **فماذا إِذاً؟ إِنَّ الَّذي يَطْلُبُه إِسرائيلُ لم يَنَلْه وناله المُختارون. أَمَّا الآخَرونَ فقَد قَسَت قُلوبُهم**
٨ **كما وَرَدَ في الكِتاب: "*أَعطاهُمُ اللهُ روحَ بَلادَة، وعُيونًا لِكَيلا يُبصِروا وآذانًا لِكَيلا يَسمَعوا إِلى اليَوم*".**
٩ **وقالَ داوُد: " *لِتكُنْ مائِدَتُهم فَخًّا لَهم وشَرَكًا وحَجَرَ عِثارٍ وجَزاءً* .**
١٠ ***لِتُظلِمْ عُيونُهم فلا تُبصِر، واجعَلْ ظُهورَهم مُنحَنِيةً أَبَدًا*" .**

تطابقاً مع تاريخ إسرائيل، كانت آيات روم ٩: ٢٧-٢٩ قد اكدت على استمراريّة وجود "بقيّة"، كمصدر رجاء لاسرائيل بمجمله. كما ذكّرت روم ١٠: ٢١ بخيانة غالبيّة إسرائيل؛ وفي هذا المقطع تتلاقى "البقيّة" مع "**الشعب الرافض العاصي**".

بالرغم من كل المظاهر، لم يرذل الله شعبه، لأنه أمين على وعده. ويقدِّم بولس شاهدين ليتوسّع في هذه الفرضيّة: الأول هو بولس، والثاني هو "بقيّة إسرائيل"، تجسدها صورة اليهود المسيحيين. فالرسول هو برهان حي لأمانة الله تجاه شعبه (آ١). ويعود بولس إلى لقبين بارزين في فل ٣:٥: انه "**إسرائيلي... من سبط بنيامين**" ولكنه يضيف، كما كان قد أكّد في روم ٤ و ٩:٧-٨، بانه "**من نسل ابراهيم**" بحسب اللحم، وبحسب الموعد. لكن هذا الجواب الشخصي يبقى غير كافٍ؛ ففي كل الحقبات، كانت "بقية" قد أمنّت استمراريّة العلاقات بين الله وشعبه. وتأتي هنا مبادرة إيليا لتشهد على هذه الخبرة (١ مل ١٩:١٠-١٨)؛ فإيليا النبي، كما هو الحال مع بولس، لم يكن وحيدًا، إذ ان الله ذاته جعله يعي ذلك. فكما في أيام إيليا، حفِظَ الله لنفسه "**بقية مختارة بالنعمة**"، وليس بفضل اعمالها (١١:٥-٦ راجع ٩:٢٧)، فالبقيّة هي إذًا علامة على عمل الله المجّاني، وهي بالتالي علامة للبرّ بالإيمان. وكان على الوثنيين المسيحيين أن يتذكّروا ذلك في زمن كتابة الرسالة.

لكن الجواب، من خلال "البقيّة"، لم يكن شافيًا بصورة تامّة، كما يتضح من تتمة طرح بولس، لأن المسألة تتعلّق بالعلاقات بين الله وشعبه، وليس بينه وبين قسم من هذا الشعب. لا يمكن أن يُرذل الشعب ذاته: وبولس يشارك صموئيل (١ صم ١٢:٢٢)، وصاحب المزامير (٩٤:١٤) في ثقتهما. فلقد عرف الله شعبه "**بسابق علمه**" (آ٢)؛ وهذه المعرفة التي، بحسب معناها الاشتقاقي، تعبِّر عن الحب، تُعيد القارئ مباشرة إلى روم ٨:٢٩ حيث تُطبَّق على المسيحيين الذين "**عرفهم الله بسابق علمه... وسبق أن قضى لهم... ودعاهم... وبرّرهم...ومجّدهم**". وبولس، قبل أن يميّز "البقيّة" عن الآخرين، القى نظرة على مجمل شعب إسرائيل. وفيما اراد أن يوضح بان مبدأ النعمة المطروح سارٍ، عاد إلى التفصيلات التي أوردها في ٩:٣٠-٣١ وفي ١٠:٢٠، ليؤكد، في روم ١١:٧، بان الفصل لم يعد بين إسرائيل والوثنيين، بل بين إسرائيل والمختارين أي "البقيّة". وهكذا اجاب بولس، في الوقت عينه، على السؤال المطروح في آ٢: اسرائيل لم يُنبَذ.

لكن قسوة الآخرين تشكل مفاجئة. فإن فيهم كثيرا من الحمية (١٠:٢)، ولطالما سعوا إلى "شريعة برّ" (٩:٣١)؛ إلا ان بولس، بالاخص، يشعر بالحاجة إلى جعل قسوة إسرائيل تندرج في قلب تقليده بالذات. فكانت العودة إلى الكتب ضروريّة جدًا، وهي التي تعترف بالقسوة، ولكنها تجهل ان يكون الله قد رذل إسرائيل. فلقد تابع الله دعوته لإسرائيل الذي قسّى قلبه، لكنّه لم يرذله أبدًا؛ ففي إسرائيل، هناك عدد من المختارين، هم "البقيّة"، في حين كان هناك آخرون، قست قلوبهم، لكن أيًّا منهم لم يُرذل. ذلك ان

القسوة تترك الباب مفتوحًا أمام التوبة. وهو ما يدلّ عليه المجهول الإلهي (آ٧ب) الـذي يجعلنا نستشف بأن هذه القسوة تدخل في مخطط الله (كما في ١١:٢٥؛ **راجع الاطـار: غضب الله**).

وينسب بولس هذه القسوة إلى الكتب، عبر اسـتخدامه مـرجعين (آ٨-١٠): فالمرجع الأول يجمع، بتصرّف، ما بين أش ١٠:٢٩ وتث ٣:٢٩؛ فيما يستخدم المرجـع الثاني مز ٦٩:٢٣-٢٤. فعبارة "**أعطاهم الله روح بلادة**" هي من أشعيا ١٠:٢٩؛ فيما تستعير خاتمة المرجع الكتابي من سفر تثنية الاشتراع. وكان نص أشعيا في الأصل حكماً على أشور، حتى ان "**روح البلادة**" الذي انصبّ على سكان أورشليم، منعهم من فهـم الرؤى الموجّهة إليهم. وهكذا، بواسطة بعض التحويرات، استطاع بولس تطبيقه علـى إسرائيل. أما لهجة نص التثنية، فمختلفة جداً: فان موسى يعلن بأن الوقت قد حان كـي يهب الله كل ما يلزم لمعرفته. وهكذا، في سفر التثنية، كما في النص البولسي، فإن عبارة "**إلى اليوم**"، تفتح على رجاء تغيير ما.

ويأتي الاستشهاد بالمزمور ٦٩:٢٣-٢٤ ليكمل الدليل الكتابيّ. فالمزمور الـذي طالما طُبّق على آلام المسيح، هو في الأساس صلاة يوجّهها البار المُـضطَهَد إلى الله. وفي الآيات التي نقلها بولس، يطالب صاحب المزمور بعقاب يطال المتكبّرين الذين يسخرون منه. ويلتصق بولس بنص السبعينيّة، مضيفا فقط عبارة "الشرَك". وتشير "المائدة"، بحسب الترجمة الآراميّة (الترجوم)، إلى مائدة الذبائح؛ انها ترجّع صدى انتقاد لاسرائيل المتعلّـق بعباداته وشريعته، لدرجة تمنعه من قبول دعوة الله لبقيّةٍ مختارة، بالنعمة، في المسيح. لكن العقاب في الكتاب المقدّس يعني أيضًا دعوة إلى التوبة.

رفضٌ مفيد، انتظار الملء (١١:١١-٢٤)

١١ **فأَقولُ إذًا: أَتُراهم عَثَروا لِيَسقُطوا سُقوطًا لا قِيامَ بَعدَه؟ مَعاذَ الله! فإِنَّه بِـزَلَّتِهم أَفْـضى الخَلاصُ إِلى الوَثَنِيِّينَ لإِثارةِ الغَيرةِ في إِسرائيل.**
١٢ **فإِذا آلَت زَلَّتُهم إِلى يُسْرِ العالَم ونُقْصانُهم إِلى يُسرِ الوَثَنِيِّين، فكَيـفَ يَكـونُ الأَمْـرُ في اكتِمالِهم؟**
١٣ **أَقولُ لَكم أَيُّها الوَثنِيُّون: بقَدرِ ما أَنا رَسولُ الوَثنِيِّين، أُظهِرُ مَجدَ خِدمَتي**
١٤ **لَعلِّي أُثيرُ غَيرَةَ الَّذينَ هم مِن لَحْمي ودَمي فأُخلِّصَ بَعضًا مِنهم.**
١٥ **فإِذا آلَ إِبْعادُهم إِلى مُصالَحَةِ العالَم، فما يَكونُ قَبولُهم إِلاَّ حَياةً تَنبَعِثُ مِنَ الأَموات!**

١٦ وإذا كانتِ الباكورةُ مُقدَّسة، فالعَجينُ كُلُّه مُقدَّسٌ أَيضًا. وإذا كانَ الأَصْلُ مُقَدَّساً، فالفُروعُ مُقدَّسةٌ أَيضاً.
١٧ فإذا قُضِّبَتْ بَعضُ الفُروع، كُنتَ أَنتَ زَيتونَةً بَرِّيَّة فطُعِّمتَ مَكانَها فأَصبَحتَ شَريكًا لَها في خِصْب أَصلِ الزَّيتونَة،
١٨ فلا تَفتَخِرْ على الفُروع. وإذا افتَخَرتَ، فاذكُرْ أَنَّكَ لا تَحمِلُ الأَصْلَ، بلِ الأَصْلُ يَحمِلُكَ.
١٩ ولا شَكَّ أَنَّكَ تَقول: " قُضِّبَت فُروعٌ لأُطعَّمَ أَنا" .
٢٠ أَحسَنتَ! إِنَّها قُضِّبَت لِعَدَمِ إِيمانها، وأَنتَ باقٍ لإِيمانكَ، فلا تَتَكَبَّرْ بل خَفْ.
٢١ فإذا لم يُبقِ اللهُ على الفُروعِ الطَّبيعِيَّة، فلَن يُبْقِيَ عَلَيك.
٢٢ فاعتَبِرْ بلِينِ اللهِ وشِدَّتِه: فالشِّدَّةُ على الَّذينَ سقَطوا، ولِينُ اللهِ لَكَ إِذا ثَبَتَّ في هذا اللِّين، وإِلاَّ فتُفصَلُ أَنتَ أَيضًا.
٢٣ أَمَّا هم فإِذا لم يَستَمِرُّوا في عَدَمِ إِيمانِهم يُطعَّمون، لأَنَّ اللهَ قادِرٌ على أَن يُطعِّمَهم ثانِيًا.
٢٤ فإِذا كُنتَ قد فُصِلتَ عن زَيتونَةٍ بَرِّيَّةٍ وأَنتَ تَنتَمي إِلَيها بالطَّبيعة، وطُعِّمتَ خِلافًا لِلطَّبيعَةِ في زَيتونةٍ بُستانِيَّة، فَما أَولى الفُروعَ الطَّبيعِيَّةَ بِأَن تُطعَّمَ في زَيتونَتِها !

لم يرفض الله شعبه بدليل وجود "بقيّة مختارة بالنعمة"؛ ومن جانب آخر ليست قساوة إسرائيل جديدة. إلا ان هذا الجواب لم يشفِ غليل الرسول المهتمّ بمصير كل إسرائيل، إخوته بالعرق. فهو، في هذا المقطع، يطرح حالة الشعب بمجمله، وبشكل أدقّ، حالة من يدعوهم "**الآخرين**" (آ٧). وها هو يتطلع نحو المستقبل، فيتحقّق من علاقتين ويتبيّن نتائجهما: العلاقة الأولى هي تداخل إسرائيل مع الوثنيين؛ والثانية هي العلاقات بين "بقيّة اسرائيل" وإسرائيل بمجمله؛ ثمّ يحذّر بولس من موقف اعتدادٍ يتخذه الوثنيون المسيحيون. فمن خلال وحدتين (آ١١-١٦ و ١٧-٢٤)، يقدّم بولس أسباب الرجاء بخلاص إسرائيل برمته. قلما يقترح المفسّرون هذا التقطيع، مع أنّه الوحيد الذي يُبرز فكرة بولس؛ ففي آ١٦، يلطّف بولس الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها من آ ١١-١٥ بشكل عام، ومن آ١٥ بشكل خاص، وقد بنيت على نموذج مشابه للآية ١٦: "**فإذا**" (آ١٥)... و"**إذا**" (حرفيًّا "أما إذا") (آ١٦). وهكذا تعطي آ١٦ دورًا أساسيًّا "للبقيّة" في خلاص إسرائيل، إذ يستعمل فيها بولس صورتين متقاربتين: الباكورة والعجين من جهة، والجذور والفروع من جهة أخرى، وهاتان الصورتان تختمان الآيات ١١-١٥، في حين تنبئ الصورة الثانية بالآيات ١٧-٢٤.

"للبقيّة"، بحسب آ ١-١٠، دور مهمّ، لأنّها تضمن استمراريّة العلاقة بين الله وشعبه؛ وتحتفظ هذه "البقيّة" بكامل أهميّتها فيما يتعلق بمستقبل إسرائيل (١١:١١-١٦)،

فهي تبقى السبب الأساسي لخلاصه؛ ولن تزال الروابط قائمة بين "البقيّة" (أي اليهود المهتدين إلى المسيح)، المشار إليها بالباكورة، وبين مجمل إسرائيل المشار إليه بالعجين. لقد كانت الغاية من تقديم البواكير تقديس كلّ النتاج، بانتقاله من الحالة الدنسة إلى الحالة القدسية (راجع عد ١٥:١٧-٢١)؛ ذلك ان سبب نهاية قسوة إسرائيل، وخلاص **الآخرين** (آ٧)، لا يكمن اولاً في مهمة الوثنيين، بل في جهة "البقيّة". فكما كانت الباكورة تقدّس مجمل النتاج، كذلك تُطهِّر "البقيّة" إسرائيل برمته وتفترض توبته. ومن جهة اخرى، يثير الوثنيون غيرة إسرائيل (راجع ١٠:١٩) ويقودونه بالتالي، بشكل غير مباشر، إلى الإيمان.

لا يضع بولس في مكان الصدارة تتابعًا للأحداث مقرراً منذ الاول ، بل ينطلق من الحالة الراهنة، ويتساءل حول الغاية من تهميش إسرائيل، وحول الدور الذي يلعبه الوثنيون تجاهه. كما انه لا يفسح المجال للاعتقاد بأنّ مراحل التاريخ المتتابعة كانت ضروريّة؛ فالوثنيون جاءوا إلى الإيمان بفضل "بقيّة" إسرائيل التي قدّستهم؛ إنّهم مرتبطون بجذر يرمز إلى الآباء، كما تبينه آ ١٧-٢٤. ذلك ان تاريخ الآباء يقدّم التصاميم الأساسيّة للخلاص (وعد، اختيارٌ، حريّة الله الكاملة. راجع ٩:٦-١٣). وهكذا يخفّف بولس، عبر هذا التذكير، من اعتداد الوثنيين المسيحيين في روما، الذين كانوا يظنّون بأنهم يمسكون وحدهم بمفتاح لفهم المسيحيّة بشكل صحيح.

"**فأقول إذًا: أتراهم عثروا ليسقطوا سقوطًا لا قيام بعده؟ معاذ الله!**" (آ١١أ).

وكما ميّز المقطع السابق بين القسوة والرذل، تبرز هذه الآية فرقا بين الانزلاق بصفته حادثًا عابرا، وبين السقوط بالكامل. ومثل هذه الصورة توجّه الأنظار نحو "**حجر الصدم وصخرة العثار**" (روم ٩:٣٣). ذلك انّ رفض إسرائيل ليس سوى انزلاق سمح للوثنيين بوصول سريع إلى الخلاص. فالله لم يترك الوثنيين خارج إرادته في خلاصهم، لكن موقف إسرائيل سرّع زمن إعلانه بينهم. وكما كانت قسوة فرعون في خدمة تدبير الله (٩:١٧)، هكذا ساهم عناد إسرائيل بذلك. ويعود بولس مرارًا إلى الرابط بين الأسباب والنتائج (رفض إسرائيل/قبول الوثنيين)، لكن الغاية الأساسيّة تبقى إثارة غيرة إسرائيل (راجع ١١:١١، ١٤؛ ١٠:١٩).

تلخّص روم ١١:١٢ إرادة الله الخلاصيّة الشاملة. وترتسم ملامح خلاص إسرائيل بعد أن جعلته "البقيّة" ممكنًا وأعلنت عنه. فإن كان لـ "**عثرة**" إسرائيل و"**سقوطه**" مفعول إيجابي، بحيث فتِحت أبواب الإيمان أمام العالم الوثني، بشكل اسرع مما

كان منتظرًا، فيحق لنا أن نترجّى نتيجة في غاية البهجة، يوم ينفتح **مجمل إسرائيل** على المسيح. ويلعب بولس على التناقض بين عبارتي "سقوط" و"اكتمال". فلقد "سقط" إسرائيل، لأن "البقية" وحدها ظلّت أمينة، وأكثر من ذلك، لأن إسرائيل لم يكن على مستوى الدعوة التي وُجِّهت إليه؛ فلا الكمية ولا النوعية كانتا على الموعد الذي حدده الله! صحيح أن عبارة "**مجمل**" (بمعنى الاكتمال) تقصد إسرائيل برمته، على صعيد الكم، لكنها تعبِّر ايضا عن اكتمال على صعيد النوع، بمعنى أن إسرائيل يكتمل مصيره يوم يجيب إلى الدعوة الموجّهة إليه (راجع آ٢٦). فنحن بازاء برهان بالمفاضلة يسفر عن نتيجة سعيدة، وهذا ما ستوضحه آ١٥ بشكل عام.

لكن قبل كل شيء، كما كان بولس قد فعل في ٩:٣ و ١٠:١-٢، هوذا يذكّر بالتزامه الشخصي في عبور إسرائيل من السقوط إلى الاكتمال؛ ذاك هو المعنى العميق من عمله الرسولي. فاذا كان بولس يفاخر بخدمته تجاه الوثنيين، فذلك ليثير غيرة ابناء جنسه، فيخلّص بعضهم (آ١٣-١٤). لا يغالي بولس بطموحه: انه على يقين من أنّ إسرائيل، بكامله، سيدخل الإيمان، لكن جهوده الحاضرة لا تطمح إلاّ لتخليص قسم منهم، لأنّ زمن الاكتمال هذا متعلّق بنهاية الأزمنة، وهو يعرف انه عرضة للتاريخ. ويشدّد بولس على الغاية المقصودة، لأن أولويّة إسرائيل ثابتة، وهي لا تعود إلى زمن ولّى؛ فضلاً عن ان هذا التذكير يحُدّ من طموحات الوثنيين المسيحيين. ولكنه لم يعتبر الوثنيين البتة مجرّد أداة للحصول على خلاص إسرائيل؛ فهم أيضًا ينتمون إلى مشروع الله الخلاصي.

وتشكّل آ١٥ قمّة فكر بولس: ففيها يرسم الرسول توازياً يُظهر كم ان مصير الوثنيين مرتبط بمصير إسرائيل، كما يُبرز المردودات الإيجابيّة التي تنتج عن قبول إسرائيل، بكامله، الإيمان. وتتناقض عبارة "**إبعادهم**" مع "**المصالحة مع الله**"، ومع "**حياة تنبعث من الأموات**". وفيما يشير الضمير "**هم**" إلى كامل إسرائيل، تدلّ عبارة "**العالم**" على الوثنيين -وقد وضعهم بولس في إطار كونيّ. وان التوازي في تركيبة الجملة تُوجّه الأنظار نحو نموّ: من "**مصالحة العالم إلى حياة تنبعث من الأموات**". وبذلك يعبّر بولس، من جهة، عن حالة حياة في المصالحة -وقد وُلدت من رفض إسرائيل- وعن الحياة الاسكاتولوجيّة من جهة اخرى؛ إنّه العبور من البرّ إلى الخلاص. وهكذا فان تهميش إسرائيل، منذ بدء العمل الرسولي مع الوثنيين، فتح مجالاً للزمن الحاضر، زمن مصالحة الوثنيين. كما ان إعادة مكانة إسرائيل ستفتح المجال لزمن جديد يمكّن من تحقيق الاسكاتولوجيا، آخر الازمنة. وبالرغم من كلّ المظاهر، لا يربط بولس مباشرة بين عودة إسرائيل، وبين الاعتلان الاسكاتولوجي، إذ ان عودة إسرائيل لن تتسبّب أوتوماتيكيًّا بالاعتلان الاسكاتولوجي، بل ستجعله ممكنًا.

ان تاريخ الخلاص هو تاريخ إرادة الله الخلاصيّة الشاملة، لذلك فإن الشعبين (إسرائيل والأمم)، هما بَطَلا هذا التاريخ، يجعل كل منهما معنى للآخر، ومن خلالهما يتحقّق الاكتمال الاسكاتولوجي. ذلك ان الأزمنة النهائيّة قد بدأت، ولبولس دور اساسي في تحقيقها. إنه رسول الأمم الذي يعلن لهم الكلمة، على أمل ان يثير حميّة شعبه، شعب الله، فيفتح له أبواب الإيمان، وفي الوقت ذاته يجعل مجيء الأزمنة الأخيرة ممكنًا.

ويوضح بولس العلاقات التي تتوثق بين "البقيّة" والوثنيين **وسائر** اسرائيل، عبر استعارة مأخوذة من زراعة الزيتون (١١:١٧-٢٤). فجذع الزيتونة المزروعة هو الآباء، ومنه تفرّعت الأغصان. بعض هذه الأغصان قُطعت لانها تمثّل إسرائيل الخائن، في حين أنّ الأغصان الباقية تمثل "البقيّة". اما أغصان الزيتونة البريّة، فهم الوثنيّون الذين طُعِّموا على إسرائيل: انهم يتذوّقون منذ الآن الزيت المنبثق من الأصل. وقد يلعب الوثنيون المسيحيون دور المتبجّحين —وقام بعضهم بهذا الدور دون شك— إذ بفضلهم، بشكل اساسي، اورقت الزيتونة. لذا وجه الرسول إليهم تحذيرًا كي يترعوا عنه كل تجربة كبرياء قد تظهر بينهم (راجع آ١٨ أب، ٢٠ ج). لقد كان الهم الاكبر لبولس هو ان يضع المسيحيين من أصل وثني في مكانهم الصحيح، إذ قد تكون لكبرياء في غير محلها نتائج وخيمة على الإيمان وعلى المسيحيّة. فليس لهم ان يبدوا أي تكّبر(آ١٨ أب)، خاصّة وأن الفضل في الحالة الراهنة (آ١٧) لا يعود إليهم. وبالفعل، هو الله نفسه الذي يطعمّ ويقضّب (هذا ما تعكسه الافعال في صيغة المجهول الإلهي)؛ والحال، ان الاغصان الأصليّة لم تقضَّب كلها، بل بقي بعضها. فالوثنيون المسيحيون مدعوون إلى احترام كبير لتقليد إسرائيل، كما إلى احترام اليهود المسيحيين. لا بل يمكنهم أن يبتهجوا بالحالة التي هم عليها، إن تذكّروا بأن إسرائيل هو الذي حملهم (آ١٩أ).

ويستبق بولس اعتراضًا ("لا شك أنك تقول"، آ١٩ب – ٢٠): وهوذا كل شيء يدور حول الايمان الذي ينفي كل اكتفاء، خاصة وأن تاريخ إسرائيل الخائن يتضمّن بعدًا تربويًّا. فالحقيقة هي أن لا أحد يضمن مكانه بشكل نهائي، سيما وأن هناك قربى طبيعية بين الأغصان المقطوعة والزيتونة العارية، أي بين إسرائيل الذي اصطدم **بحجر** الزاوية، وبين الآباء. لذا، فبالرغم من خيانته، يبقى إسرائيل بكامله موجَّهًا نحو الخلاص، نظراً إلى ما يربطه بالأصل. ولن يغفل بولس عن الأقوال العزيزة على التقليد اليهودي الذي يفاخر باستحقاقات الآباء: حيث نقرأ لرابي يهوذا، على لسان الله: "لو نظرت إلى استحقاقات إسرائيل، لما نجوا أبدا، لكني أنظر إلى آبائهم القديسين". وهكذا لم يُشر بولس

أبدًا إلى حق لليهود في الخلاص، لأن كلّ شيء يرتكز على رحمة الله وقسوته (آ٢٢)؛ ومع ذلك، فإن رجاء بولس باكتمال إسرائيل يستند إلى دوافع ثلاثة هي: قداسة "البقيّة" المذكورة في نهاية الوحدة السابقة؛ تطعيم الزيتونة البريّة (آ٢٤)؛ وفوق كل شيء قدرة الله على قيادة التاريخ نحو اكتماله (آ٢٣).

سر إسرائيل:
من الرجاء إلى اليقين بخلاص إسرائيل برمته (١١:٢٥-٣٢).

٢٥ فإنّي لا أُريدُ، أَيُّها الإخوَة، أَن تَجهَلوا هذا السِّرّ، لِئَلاَّ تَعُدُّوا أَنفُسَكم مِنَ العُقَلاء: إِنَّ قَساوةَ القَلْب الَّتي أَصابَت قِسمًا مِن إسرائيلَ ستَبْقى إلى أَن يَدخُلَ الوَثَنيُّونَ بكامِلِهم ،
٢٦ وهكذا يَنالُ الخَلاصَ إسرائيلُ بأَجمَعِه، فقَد وَرَدَ في الكِتاب: " ***مِن صِهْيونَ يَأتي المُنقِذ ويَصرِفُ كُلَّ كُفْرٍ عن يَعْقوب.***
٢٧ ***ويَكونُ هذا عَهْدي لَهم حينَ أُزيلُ خَطاياهم*****".**
٢٨ أَمَّا مِن حَيثُ البشارةْ، فهُم أَعداءٌ لِخَيرِكم، وأَمَّا مِن حَيثُ الاِختِيار، فهُم مَحْبوبونَ بالنَّظرِ إلى الآباء.
٢٩ فَلا رَجعَةَ في هِباتِ الله ودَعوَتِه.
٣٠ فكَما أَنَّكم عَصَيتُمُ اللهَ قَبْلاً ونِلتُمُ الآنَ رَحمَةً مِن جَرَّاءِ عِصْيانهم،
٣١ فكذلِك هُم أَيضًا عَصَوُا الآنَ مِن جرَّاءِ ما أُوتيتُم مِنَ الرَّحمَة لِينَالوا هم أَيضاً رَحمَة،
٣٢ لأَنَّ اللهَ أَغلَقَ على جَميعِ النَّاسِ في العِصْيانِ لِيَرحَمَهم جَميعًا.

بوسع الكشف عن السر وحده ان يمنع الوثنيين من الافتخار، على حساب إسرائيل، معتبرين انفسهم حكماء (راجع مثل ٣:٧). يقوم هذا السر في انتهاء عناد اسرائيل، ولا سيما اليقين بخلاص إسرائيل بكامله. كان بولس قد أظهر في ١١:١١-١٦ الترابط بين قسمي الإنسانيّة، مبيّنًا الحسنات التي ستتأتّى من عودة إسرائيل. و لم يتساءل عن مردودات عودة إسرائيل، بل دعا إلى التأمّل بخلاصه، استنادًا إلى الكتب (آ٢٦ب-٢٧)، وباستمراريّة عطايا الله (آ٢٨ب-٢٩؛ راجع ٤:٩-٥أ)، وظهور رحمته (آ٣٠-٣٢؛ راجع ٩:١٤-١٨).

يربط بولس بين مجموعتين: الوثنيين "**بأجمعهم**" (آ٢٥ب)، من جهة، و"إسرائيل بأجمعه" (آ٢٦أ) من جهة ثانية ؛ وتدلّ هذه العبارات على الشعوب، وليس على تجمّع أفراد. فعبارة "**إسرائيل بأجمعه**" يجب ان تفهم بالتضاد مع قسم من إسرائيل، ومع الوثنيين

السر

"السر" عبارة تعود إلى الأدب الرؤيوي والكتب الحكميّة. فالأدب الرؤيوي يهتمّ بأسرار الخلق والتاريخ. وبموجب التقليد الرؤيوي، يبدو "السرّ"، في سفر دانيال، بمثابة إعلان للأسرار الإلهيّة المتعلّقة بمشروع الله الخلاصي (دا ٢:١٨، ١٩، ٢٧) الذي لا بدّ له أن يتحقّق. ولقد وهب الله للبعض إمكانيّة فكّ لغز الأسرار المتعلّقة بالدينونة. فبالنسبة إلى الأدب الحكمي، السرّ هو مخطط الله الخلاصي الذي يكشف للبشر عن الخيرات الاسكاتولوجيّة. وكلّ سرٍ يفترض وسيطًا ينقله ويكشف عن معناه؛ وهذا ما يقوم به بولس.

لقد أعطت جماعة قمران أهميّة كبيرة لمعرفة الأسرار المحفوظة لأعضاء هذه الجماعة؛ فالأسرار، في مفهومهم، هي معرفة التصاميم الإلهيّة المتعلّقة بتاريخ الخلاص، إضافة إلى المعرفة التي يكتسبها الإنسان من فهمه الصحيح لكتابات الأنبياء، من خلال تعليم "معلِّم البر"، مؤسّس جماعة الاسينيين الذين انعزلوا في قمران.

بأجمعهم. نحن بصدد احد شعبَي الإنسانيّة، وقد قسّى قسم منه قلبه اليوم. يضع الرسول نفسه في خط التقليد الرؤيوي الذي يعتبر بأن الخلاص لن يأتي إلا عندما يكتمل عدد المختارين: "ألم تطرح نفوس الأبرار، في مساكنها، الأسئلة التي تطرحها أنت نفسك: إلى متى سنبقى ههنا؟ متى سنحصد ثمار جزائنا؟ ويجيبهم إرميائيل رئيس الملائكة: "إلى أن يكتمل عدد أشباهكم" (عزرا الرابع ٤:٣٥-٣٦). لقد كان الأدب الرؤيوي اليهودي يتصوَّر السماوات مقسَّمة إلى سلسلة "مساكن" رُتِّبت فيها الفئات المختلفة: الكواكب، المختارون، الملعونون إلخ... كما كان عدد المختارين محدَّداً، ويجب أن يكتمل كي يستطيع الأبرار الحصول على جزائهم. وهوذا بولس يحتفظ هنا بفكرة الملء المحفورة في تصميم الله، لكنّه يُدخل عليها تحويرات واسعة، مستبعداً فكرة العدد المحدَّد مسبَقًا.

وبواسطة مرجع من سفر أشعيا، يربط بولس خلاص إسرائيل بالكتب المقدّسة (اش٥٩:٢٠-٢١أ، ويكمّله من مرجع من أش ٢٧:٩: "حين أزيل خطاياهم). وبولس يستشهد غيبًا بالنصوص الكتابية، بحسب السبعينيّة، وقد استنارت بقناعاته التي عبَّر عنها في آ٢٥. فالمنقذ، المسيح، سيأتي من صهيون، ويطهّر إسرائيل؛ وهكذا يجدِّد العهد. ولما

كان المسيح المنقذ قد أتى، فعودة إسرائيل يجب ان تتحقّق إذًا في هذا الزمن الجديد الذي تعيشه الجماعة المسيحيّة، لأن "**لا رجعة في هبات الله ودعوته**". ووفقاً لوجهة النظر التي نتبناها، سيكون "**أبناء إسرائيل**" موضوع نظرتين مختلفتين، (آ٢٨). وإذا جعل الإنجيل منهم أعداء الله، لمصلحة الوثنيين، لكنّهم ما زالوا أحباء الله **من أجل الآباء**"، وهنا يكمن سبب خلاص إسرائيل.

وتُبرز الآيتان ٣٠-٣١ جدَّة الأزمنة. فتاريخ الوثنيين يتميّز بزمنين مختلفين، هما زمن "**ما قبل**"، أي زمن الابتعاد والعصيان، وزمن "**الآن**"، أي زمن الرحمة من جرّاء عصيان إسرائيل. أما العصيان والرحمة اللذان عاشهما اسرائيل، فكلاهما، بالعكس، يجريان في آنيَّة الزمن المسيحاني. ولا تشير عبارة "**ينال الخلاص إسرائيل بأجمعه**" إلى نهاية الأزمنة، بل إلى تاريخ البشر، ولا يجوز ان يساورنا الشكّ بأن التاريخ بأجمعه يرتكز على الرحمة الإلهيّة (آ٣٢). وهكذا يعود بولس إلى فكرة سبق ان شدَّد عليها في روم ١-٣: عصيان البشر يكشف عن رحمة الله الشاملة. وهذه النظرة إلى التواريخ المتوازية، لا بدّ لها أن تقود إلى الاشادة بحكمة الله.

تمجيد الحكمة الإلهيّة (١١:٣٣-٣٦)

٣٣ **ما أَبْعدَ غَورَ غِنى الله وحِكمَتِه وعِلمِه! وما أَعسَرَ إدراكَ أَحكامِه وتَبيُّنَ طُرُقِه!**
٣٤ **" *فمَنِ الَّذي عَرَفَ فِكْرَ الرَّبّ أَو مَنِ الَّذي كانَ لَه مُشيراً***
٣٥ ***ومَنِ الَّذي تَقَدَّمهُ بالعَطاءِ فيُكافَأَ علَيه؟*"**
٣٦ **فكُلُّ شَيءٍ مِنه وبِه وإِليه. لَه المَجْدُ أَبَدَ الدُّهور. آمين.**

يبدو هذا النشيد موازيًا للنشيد الذي ختم القسم الأول (٨:٣١-٣٩). فلقد كان بولس قد تأمّل بعجائب الله من خلال دعوة المسيحيين؛ وهو، في هذه الآيات، يشيد بحكمة أعمال الله تجاه البشر عامّة، وتجاه إسرائيل بشكل خاص.

بالرغم من كل العراقيل التي يضعها البشر، فإن حكمة الله تقود التاريخ إلى نهايته. وليس بوسع أحد أن يدّعي الاعتراض على مخطّط الله، إذ لم يكن احد مشيراً له في البدء (آ٣٤ استنادا إلى أش ٤٠:١٣)؛ وفي كل الأحوال، هي المجانيّة وحدها تطبع عمل الله (آ٣٥ استناداً إلى أي ٤١:٣).

الباب الثالث

حياة شراكة

(١:١٢ ـ ١٥:١٣)

تتألّف الجماعة المسيحية من يهود مسيحيّين ومن وثنيين مسيحيين؛ وليس لأحد أن يفتخر باي امتياز

غالبًا ما اعتُبرت الفصول ١٢-١٥ بمثابة ملحق للرسالة إلى الرومانيين. انها تلخّص، بعبارات عامّة، مبادئ أخلاقيّة أسهب بولس في عرضها في رسائل أخرى؛ فهي بالتالي لا تسهم سوى بالقليل في تعريفنا بجماعة روما. لكنها بالحقيقة شديدة الأهميّة، إذ تعرّفنا من الداخل، إلى جماعة روما، وتقدّم لنا مفتاحًا لقراءة مجمل الرسالة. كانت الفصول ١-١١ بمثابة الركائز النظريّة التي لا بدّ منها لحلّ نزاع ظهر في داخل الجماعة الرومانيّة، بسبب عجرفة الوثنيين المسيحيين تجاه اليهود المسيحيين. وهذه الفرضيّة ستساعدنا على فهم الفصول١٢-١٥ التي تستخلص نتائج التأكيدات السابقة (وتعبِّر عبارة "إذًا" في ١٢:١ عن الترابط بين الفصول السابقة والفصول ١٢-١٥). لقد حدَّد بولس في روم ٥-٨ هويّة الجماعة المسيحيّة التي وُلدت من موت المسيح وقيامته؛ وفي روم ٩-١١، تأمّل في حاضر إسرائيل ومستقبله؛ فهو، بعد أن ذكّر بأمانة الله ورحمته تجاه الجماعة المسيحيّة، كما تجاه إسرائيل، وبمجّانيّة دعوته الخاصة، اصبح بوسعه ان يدعو المسيحيين إلى حياة متجدّدة؛ وهكذا رسم بولس الممارسة اليومية لمسيحيي روما.

لقد بادر، في ١٢:١، بإرشاد نقرأ خاتمته في ١٥:١٣؛ وبالفعل نجد في ١٥:١٤ مناشدة ("يا إخوتي") تفتتح مقطعًا جديدًا يتحدث فيه الرسول باسلوب مختلف عمّا سبق. فهو هنا لا يدعو قرّاءه إلى سيرة متجدّدة، بل يُعلن قناعته ("اني على يقين") بصراحة تامة —عبر عودة إلى الرسالة تبرّر لهجته وتمكّنه من توضيح مشاريعه. ففي مجمل روم ١٢:١-١٥:١٣ يرسم بولس السبل التي تمكّن المسيحيين من تقديم ذواتهم "**ذبيحة حيّة مقدّسة مرضية عند الله**" فيتبيّنوا "**ما هي مشيئة الله**" (١٢:١-٢). ويسود النص تناغمٌ كامل، يتجلى انطلاقًا من رحمة الله (١٢:١)، وصولاً إلى إله الرجاء والسلام في الإيمان (١٥:١٣)؛ وهكذا ننتقل من التجديد في **طريقة التفكير**(١٢:٢)، إلى عمل الروح القدس (١٥:١٣). وباختصار، يدعو بولس قرّاءه ليتبيّنوا عمل الله في جماعتهم.

بعد مقدّمة تتألّف من آيتين، تنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: يتألّف القسم الأول من روم ١٢:٣ - ١٣:١٤، و القسم الثاني من روم ١٤:١ - ١٥:١٣. في القسم الأول، يتعلّم كل فرد في الجماعة كيف يتصرّف مع الآخر، سواء كان فردًا من الجماعة، أم غريباً عنها. وفي القسم الثاني، نجدنا بازاء مجموعتين: الضعفاء والأقوياء؛ ولم تعد المسألة متعلّقة بعلاقات بين أفراد، بل بعلاقات بين مجموعات من داخل جماعة روما.

افتتاحيّة (١٢: ١-٢)

١٢ ١ إِنِّي أُناشِدُكم إِذًا، أَيُّها الإِخوَة، بِحَنانِ اللّهِ أَن تُقَرِّبوا أَشْخاصَكم ذَبيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِندَ الله. فهذِه هي عِبادَتُكمُ الرّوحِيَّة.
٢ ولا تَتشَبَّهُوا بِهذِه الدُّنيا، بل تَحَوَّلوا بِتَجَدُّدِ عُقولِكم لِتَتَبيَّنوا ما هي مَشيئَةُ الله، أَي ما هو صالِحٌ وما هو مَرْضِيٌّ وما هو كامِل.

تفتتح هاتان الآيتان مجمل النص حيث تُحدِّد كيفيّة تجلي الحياة الجديدة (راجع ٦:٤؛ ٧:٦؛ ٨:٤). والمفردات المستعملة هي صيغ عامّة، سوف تجسّدها تتمّة النص. "**العبادة الروحيّة**" (حرفيًّا "العبادة المنطقيّة") المطابقة للكلمة وللمنطق (Logos)، تُلزم الإنسان بكليّته، كما يتطلّبه تقليد إسرائيل ("الجسد"، وقد تُرجم بعبارة "أشخاصكم" آ١؛ و"العقل" بعبارة "تجدّد عقولكم" آ٢). ذلك ان العبادة هي "صلاة الجسد بكامله" (ي. ليفيناس). والعبادة **المنطقيّة** قد حُدّدت في شكل تحذير (آ٢أ)، ولكن ايضاً بمثابة تجديد (آ٢ب). فالتحذير يعبّر عن مسؤوليّة الإنسان في مسيرة تجدّده. اما الروابط مع الفصول السابقة، فهي متعدّدة ("رحمة الله"، بمفردات يونانيّة مختلفة: راجع ٩:١٥، ١٦، ١٨؛ ١١:٣١-٣٢؛ "تقدمة الذات": راجع ٦:١١، ١٣، ١٩؛ "تجدّد عقولكم": راجع ٨:١٣-١٦)

القسم الأول

تصرّف المسيحيين تجاه بعضهم البعض، وتجاه "من هم من الخارج"

(١٢:٣-١٣:١٤)

يحدّد بولس في ١٢:٣-١٣:١٤ **"ما هو كامل وما هو مرضيٌ عند الله"**. ويتألّف هذا القسم من أربعة مقاطع (١٢:٣-١٦؛ ١٢:١٧-٢١؛ ١٣:١-٧؛ ١٣:٨-١٤)، يتعلّق الأول والأخير بالحياة الجماعيّة، في حين يهتمّ المقطعان الأوسطان بالعلاقات بين المسيحيين والمجتمع المحيط.

السيرة الجماعيّة: شراكة (١٢:٣-١٦).

٣ أَقولُ لِكُلٍّ مِنكُم باسمِ النِّعمَةِ المَوهوبَةِ لي: لا تَذهَبوا في الاعتِدادِ بأَنفُسكم مَذهَبًا يُجاوِزُ المَعقول، بل تَعَقَّلوا فتَكونوا مِنَ العُقَلاء، كُلٌّ واحِدٍ على مِقْدارِ ما قَسَمَ اللهُ لَه مِنَ الإيمان.
٤ فكما أَنَّ لَنا أَعضاءً كَثيرةً في جَسَدٍ واحِد، ولَيسَ لِجَميعِ هذِه الأَعضاء عَمَلٌ واحِد،
٥ فكذلِكَ نَحنُ في كَثْرَتِنا جَسَدٌ واحِدٌ في المَسيح لأَنَّنا أَعضاءُ بَعضِنا لِبَعْض.
٦ ولَنا مَواهِبُ تَختَلِفُ باختِلافِ ما أُعْطينا مِنَ النِّعمَة: فمَن لَه مَوهِبةُ النُّبوَّة فلْيَتَنَبَّأْ وَفْقًا لِلإيمان،
٧ ومَن لَه مَوهِبةُ الخِدمَة فلْيَخدُمْ، ومَن لَه التَّعْليم فلْيُعَلِّمْ،
٨ ومَن لَه الوَعْظ فلْيَعِظْ، ومَن أَعْطى فلْيُعطِ بنِيَّةٍ صافِية، ومَن يَرْئِس فلْيَرئِسْ بِهِمَّة. ومَن يَرحَم فلْيَرحَمْ ببَشاشَة،
٩ ولْتَكُنِ المَحبَّةُ بلا رياء. إكرَهوا الشَّرَّ والزَموا الخَيْر.
١٠ لِيَوَدَّ بَعضُكم بَعضًا بمَحَبَّةٍ أَخَوِيَّة. تَنافَسوا في إِكرامِ بَعضِكُم لِبَعض.

١١ **إعمَلوا لِلرَّبِّ بهِمَّةٍ لا تَفتُر ورُوحٍ مُتَّقد.**
١٢ **كُونوا في الرَّجاءِ فَرِحين وفي الشِّدَّةِ صابِرين وعلى الصَّلاةِ مُواظِبين.**
١٣ **كُونوا لِلقِدِّيسينَ في حاجاتِهِم مُشارِكين وإلى ضِيافةِ الغُرَباءِ مُبادِرين.**
١٤ **بارِكوا مُضطَهِديكم، بارِكوا ولا تَلعَنوا.**
١٥ **إفرَحوا مع الفَرِحين وابْكَوا مع الباكين،**
١٦ **كونوا مُتَّفِقين، لا تَطمَعوا في المَعالي، بل ميلوا إلى الوَضيع. "لا *تَحسَبوا أنفُسَكم عُقَلاء*"،**

بُني هذا المقطع بشكل لعب على كلمات تتمحور حول فعل "**تصرَّف**". فالمطلوب من المسيحيين أن يكونوا منطقيين (آ٣)، حكماء (آ١٦ تستند إلى مثل ٣:٧: "لا تحسبوا أنفسكم عقلاء")؛ المطلوب منهم باختصار أن يلزموا مكانهم، ولا يكونوا معتدّين بانفسهم (آ٣؛ من المفيد لفت الانتباه إلى أن لهذه المفردات جذراً يونانيّاً واحداً) في العلاقات المتبادلة بين أعضاء الجماعة المسيحيّة (آ٥، ١٠، ١٦). لا مبرّر أن يستعلي "**الأقوياء**" (أي المسيحيون من أصل وثني) على الآخرين، بل المطلوب أن ينظِّم كل واحد حياته بحسب الإيمان الذي وهبه إياه الله (آ٣ ج)، ويعيش حياته المسيحيّة على أنها عطيّة من الله. سيدور النقاش في ١٤:١-١٥:١٣على مقدار الإيمان الذي يملكه كل مسيحي والذي عليه ينظم حياته.

هوذا بولس يناشد مسيحيي روما؛ بيد أنه، في ١٢:٤-٦أ، يتخلّى مؤقّتًا عن استعمال جمع المخاطب (انتم)، ويلجأ إلى جمع المتكلّم (نحن)، لأنّه، في هذه الآيات، يذكّر بطبيعة الجماعة المسيحيّة: انه يعرض أسس الموقف الذي يطالب به: "**نحن في كثرتنا جسدٌ واحد في المسيح**" (آ٥أ). فالمسيحيّون مرتبطون بعضهم ببعض لأنهم متحدون في المسيح، وشراكتهم لا ترتكز على مجرّد "إرادتهم في العيش معًا". ذلك ان مبدأ هويّة المسيحيّين ينبع من المسيح، بغض النظر عن أية مرجعيّة إتنيّة أو ثقافيّة. ويجسّد بولس قناعته بتشبيه الجماعة المسيحيّة بالجسد البشري. وإذا كانت وحدة الجماعة المسيحيّة ظاهرة للعيان، فمن الأفضل بالتالي أن يمارس كل مؤمن مواهبه بحسب ما أعطاه الرب لخير الجماعة كلها (آ٦ب-٨).

وفي الذروة من لائحة المواهب، تشير المحبّة (آ٩) إلى مصدر الحياة الجماعيّة، وتشكّل بداية سلسلة من التوجيهات التي تجد وحدتها بمقدار ما تكون اجوبة إلى رحمة الله؛ ونجد في هذه الآية إعلانًا عن المقاطع اللاحقة، عبر التضاد الشر/الخير (وبمفردات مختلفة: "الشر"، ١٢:٩، ١٧، ٢١؛ ١٣:٣، ٤، ١٠؛ "الخير" ١٢:٩، ١٧؛ ٢١؛ ١٣:٣، ٤)؛

كما عبر آ ١٤ حيث المضطهِدين هم أناس من خارج الجماعة. وفيما تتعلّق الآيتان ١٠ و ١٣ بالحياة ضمن الجماعة، تشير الآيتان ١١-١٢ إلى المسيرة الشخصيّة. وتمتد البركة اخيرا الى الذين، من خارج الجماعة، يضطهدون أعضاءها (آ ١٤). وتعود الآيتان١٥-١٦ إلى موضوع حسن التصرّف داخل الجماعة.

العلاقات مع من "هم من الخارج":
أغلبوا الشر بالخير (١٢:١٧-٢١)

١٧ **لا تُبادِلوا أَحَدًا شَرًّا بشَرّ. "واحرصوا على أن تَعمَلوا الصَّالحاتِ بمرأى مِن جَميعِ النَّاس".**
١٨ **سالِموا جَميعَ النَّاسِ إن أَمكَن، على قَدْرِ ما الأَمرُ بيَدِكم.**
١٩ **لاتَنتَقِموا لأَنْفُسكم أَيُّها الأَحِبَّاء، بل أَفسِحوا في المَجالِ لِلغَضَب، فقَد وَرَدَ في الكِتاب: *"قالَ الرَّبُّ: لِيَ الاِنتِقامُ وأَنا الَّذي يُجازي"*.**
٢٠ ***ولكِن إِذا جاعَ عَدُوُّكَ فأَطعِمْهُ، وإِذا عَطِشَ فاسقِهِ، لأَنَّكَ في عَمَلِكَ هذا تَركُمُ على هامَتِه جَمْرًا مُتَّقِدًا".***
٢١ **لا تَدَعِ الشَّرَّ يَغلِبُكَ، بلِ اغلِبِ الشَّرَّ بِالخَير.**

بُنِيَ هذا المقطع على التناقض بين الشر/الخير (آ١٧: ٢١)، وقد طُبِّقت على العلاقات التي يقيمها المسيحيّون مع الذين هم من الخارج ("بمرأى من جميع الناس" آ١٧؛ مع "جميع الناس" آ١٨). ويبدو النداء الموجه إلى المسيحيين متطلّباً أكثر فأكثر، إذ لم يعد كافيًا ألا يردّوا الشرّ بالشرّ (آ١٧)، بل أن يغلبوه بالخير (آ٢١)؛ فالمسيحي يحيا تحت نظر مثلَّث: نظر الله، ونظر الإخوة، ولكن ايضا نظر من هم غرباء عن الجماعة. وإذا كان نمط الحياة داخل الجماعة هو التبادل، فهو، مع الذين هم من الخارج، يقوم في الانتقال من التبادل إلى العطاء؛ فإن تألّم مسيحي بسبب شخص غريب عن الجماعة، يجب عليه أن يمارس المحبّة تجاهه، بكلّ لطف. ويرى بولس وراء هذا التصرّف قناعة لدى الجماعة المسيحيّة بأن الدينونة تعود إلى الله وحده، وهو يردّ لكل إنسان ما يستحقّ (آ١٩-٢٠؛ راجع ٢: ٦)؛ ولا يحق لمسيحي أن يأخذ مكان الله. وهنا يستند بولس على نصّين من العهد القديم ليدعم وجهة النظر هذه (تث٣٢: ٣٥أ؛ مثل ٢٥: ٢١-٢٢).

المرجع من سفر الأمثال يقود بولس إلى الانتقال من جمع المخاطب إلى المناشدة الفرديّة الشخصية، كما يسمح له ايضا باستنتاج قاعدة لحياة لُخِّصت في آ٢١. ويفسح نص الأمثال المجال لتفاسير عدةٍ. لقد فهم البعض، في إثر أوريجانس وأوغسطينس، بان

عبارة "**الجمر المتّقد**" هي استعارة لتبكيت الضمير، بحيث ان الشرير يتفاجأ ويضطرب حتى الندم ازاء طيبة ضحيّته. إلا ان مثل هذه الصورة المجازيّة لم تكن معروفة في العالم اليوناني؛ لذا رأى بعض الآباء اليونان في "الجمر المتّقد" رمزًا لانتقام متروك لله، حين يكون العدو عاجزا عن الاعتراف بطيبة الضحيّة. وان الدعوة لعمل الخير بصفتها جواباً على الشر -لأن الدينونة هي عمل الله- هي من المواضيع المعروفة في قانون جماعة قمران: "أنا (المؤمن) لن أجازي أحدًا على الشر، بل بالخير ألاحق كل أحد؛ لأن دينونة كل حيّ هي لدى الله، وهو الذي يدفع لكل واحد جزاءه..." (قانون ١٠:١٨). هكذا كان أهل قمران يعبّرون عن ثقتهم التامّة بالله.

ان التوصيات الموجهة في مقطعي روم١٢، بشأن العلاقة مع من هم من الخارج، ليست من قبيل الفطنة الاولية، إذ ان المسيحيين مدعوون إلى ان يتصرّفوا على مثال المسيح. لذلك نجد إشارات عديدة إلى أقوال يسوع، كما نقلها التقليد الإنجيلي (آ١٤: راجع متى ٥:٤٤؛ لو٦:٢٨؛ آ١٧أ، ٢١: راجع لو ٦:٢٧-٣٦؛ آ١٨، ١٩أ: راجع متى ٥:٣٩، ٤٤). ثم أن بولس يطيب له ان يرسي استمراريّة عمليّة بين تقليد يسوع من جهة، والحكمة اليهوديّة من جهة ثانية، باتجاه الوثنيين المسيحيين الذين سرعان ما يتجاهلون ذلك. وبالفعل، كثرت الاستشهادات بمراجع العهد القديم، وقد أُخذت في غالبيّتها من التقليد الحكمي: مثل ٣:٧ (آ١٦ج)؛ مثل ٣:٤ بحسب السبعينيّة (آ١٧)؛ تث٣٢:٣٥؛ مثل ٢٥:٢١-٢٢ بحسب السبعينيّة (آ١٩ج-٢٠)؛ يُضاف إليها العديد من التلميحات (روم ١٢:٩ وعا ٥:١٥؛ روم ١٢:١٥ وسي ٧:٣٤؛ روم ١٢:١٨ ومز ٣٣:١٥؛ روم ١٢:١٩أ؛ أح١٩:١٨).

تجاه السلطات (١٣:١-٧)

١٣ ١ **لِيَخضَعْ كُلُّ امرِئٍ لِلسُّلُطاتِ الَّتي بأَيدِيها الأَمْر، فلا سُلْطَةَ إِلاَّ مِن عِندِ اللّه، والسُّلُطاتُ القائِمة هو الَّذي أَقامَها**

٢ **فمَن عارَضَ السُّلْطَة قاوَمَ النِّظامَ الَّذي أَرادَهُ الله، والُمقاومونَ يَجلُبونَ الحُكْمَ على أَنفُسهِم.**

٣ **فلا خَوفَ مِنَ الرُّؤَساءِ عِندَما يُفعَلُ الخَير، بل عِندَما يُفعَل الشَّرّ. أَتُريدُ أَلا تَخافَ السُّلْطَة؟ إِفعَلِ الخَيرَ تَنَلْ ثَناءَها،**

٤ **فإِنَّها في خِدمَةِ اللّهِ في سَبيلِ خَيرِك. ولكِن خَفْ إذا فَعَلتَ الشَّرّ، فإِنَّها لم تَتقلَّدِ السَّيفَ عَبَثًا، لأَنَّها في خِدمَةِ اللهِ كَيما تَنتَقِمُ لِغَضَبه مِن فاعِلِ الشَّرّ.**

٥ **وَلِذلِكَ لا بُدَّ مِنَ الخُضوع، لا خَوفًا مِنَ الغَضَب فَقَط، بل مُراعاةً لِلضَّمير أَيضًا.**
٦ **وَلِذلِكَ تُؤَدُّونَ الضَّرائِب، والَّذينَ يَجْبُونَها هم خَدَمٌ لله يَعمَلونَ ذلِكَ بنَشاط.**
٧ **أَدُّوا لِكُلٍّ حَقَّه: الضَّريبَةَ لِمَن لَه الضَّريبة، والخَراجَ لِمَن لَه الخَراج، والمَهابةَ لِمَن لَه المَهابَة، والإِكرامَ لِمَن لَه الإِكرام.**

يتمحور المقطع الثالث (١٣:١-٧) حول فئة معيّنة من "الذين من الخارج": هي فئة السلطات. ويرتبط هذا المقطع بالآيات السابقة من خلال ازدواجيّة الخير/الشر (آ٣،٤)، وموضوع الغضب (راجع ١٢:١٩؛ ١٣:٤-٥). كان من شأن السلطات عادة أن تدعو إلى الخير، ولا يرى فيها بولس سوى ذلك. لذا يجدر بالمؤمن، تجاه السلطات، كما تجاه كلّ إنسان، أن يغلب الشرّ بالخير. اما إذا تصرّفت السلطات تصرّف الأعداء، تراكمت على رأسها جمرات متّقدة، كما على رأس كل كافر. فبولس يتوجّه في كلامه إلى **كل امرئ** (آ١)، مشيرًا بذلك إلى أن لا أحد في الجماعة يمكنه أن يتصرف بخلاف هذا التعليم. لا سيما وان بولس كان قد شدّد في روم ١٢ على الاستمراريّة بين تقليد إسرائيل وسلوك الجماعة المسيحيّة؛ أما في هذا المقطع، فلم يعد الحال كذلك، إذ لا نجد أي مرجع من الاسفار المقدسة. ويتضمّن المقطع وحدتين، تتمحور الأولى حول الخضوع للسلطات (آ١-٥)، فيما تطرح الثانية مسألة أداء الضرائب (آ٦-٧).

نقرأ في ١٣:١-٥ عبارتين تشيران إلى المسؤولين المدنيين: "**السلطات** (آ١) و"**الرؤساء**" (آ٣). ذلك أن مصدر السلطة (بالمفرد، آ١) وغايتها (آ٤) يبرران السلوك المطلوب. وان ما يهمّ بولس، هي السلطات التي كانت **موجودة** لدى كتابته الرسالة إلى الرومانيين، إذ لا سلطة إلا "**من عند الله**" (آ١ج)؛ انها "**في خدمة الله**" في سبيل الخير (آ٤أ)، وهي "**تنتقم لغضب الله من فاعل الشر**" (آ٤ب). فليس الخضوع للسلطات مجرّد نصيحة بدافع الفطنة، بل هو وفق إرادة الله، ويُلزم الشخص بكليته (آ٥).

وفي ١٣:٦-٧، يُدخل بولس ملاحظة حول تأدية الضرائب. ان نظام السلطة يدعو إلى دفع الضرائب؛ كما ان تأدية هذه الضرائب تساهم في إرساء شرعيّة السلطات، ومن هنا كانت هذه العبارة الصعبة: "**لذلك**" (آ٦). وبولس، فيما يواصل موضوع السلطة بصفتها في خدمة الله، يرى في جباة الضرائب خَدَمًا لله مكلّفين بذلك. و آ٧، بعودتها إلى موضوع الخوف (آ٣، ٤)، أضفت على المقطع تماسكه: الخوف والاحترام واجبان للسلطات وممثلي السلطة. وان الآية "أدّوا لكل حقّه"، بالاخص، تحيل القارئ إلى "**النظام الذي اراده الله**" (آ٢): فكلّ واحد نال مكانه، ويجب ان يحصل على ما يحق له.

وهكذا تبقى وحدة هذا المقطع مصطنعة، اذ بحسب آ٣-٤ لا ينبغي للسلطة ان توحي بأي خوف لمن يصنع الخير، بينما، في آ٧، ينصح به بولس في كل حين.

في معرض الكلام عن المسيحيين تجاه السلطات، لا يُفاجئنا ذكر الضريبة. وبالفعل، كان هناك استياء عارم من العشّارين الذين كانت الضرائب تُدفع إليهم. وفي سنة ٥٨ "خطرت لنيرون فكرة إلغاء الضرائب، كهديّة مدهشة للجنس البشري" (تاقيطس). وبعد تردّدات، رفض الشيوخ هذا المشروع. وفيما كان العديدون يطالبون بإلغاء المكوس، لا بل الضرائب المباشرة، هوذا بولس يدافع عن ضرورة إداء **لكلٍّ حقّه** (آ٧)، مُضيفاً بالتالي الشرعية على عمل الجباة، ولاسيما على دفع الضرائب للسلطة الرومانيّة.

لقد كان على المسيحيين الخضوع للسلطات القائمة، وتأدية الضرائب، دون أن ينتظموا في مجتمع شبه موازٍ للعالم الروماني. فالرسول في موقفه هذا، يقاطع سلوكية اليهود، مبرزا الجديد في المسيحية. وهو، في الواقع، لا يذكر أي نصّ من التقليد اليهودي، وليس بوسع أي من أقوال المسيح أن يلقي ضوءاً على موضوع جديد كهذا، ما عدا ما يمكن ان يُستوحى، على اكثر تقدير، من نص متى ٢٢:١٦-٢١ بصدد الجزية لقيصر.

في القرن الأول، كان العديد من اليهود قد استقرّوا في أرض غريبة، وكانوا يصلّون لسلطات البلدان التي استضافتهم، إلا ان أنظارهم كانت متّجهة نحو أورشليم؛ فلقد كان رجاء إعادة بناء مملكة إسرائيل ما زال قائمًا. وفي انتظار ذلك اليوم، كانت الجماعات اليهوديّة، المشتّتة بين الأمم، تدافع عن خصوصياتها. وهوذا بولس يعرض سلوكاً مختلفًا: انه يدعو إلى الخضوع للسلطات القائمة (١٣:١ب). ذلك ان ليس على المسيحيين ان يشكلوا مجتمعاً موازياً، تكون فيه الحياة "فيما بينهم" هي الحلم المنشود. إنه الجديد الذي يظهر من خلال الخضوع للسلطات المدنيّة، وتأدية الضرائب التي هي علامته. وهكذا، ومن دون أي وسواس، يترتب على المسيحيين ان يدفعوا الضرائب المفروضة، وخاصّة تلك التي تربطهم بالإمبراطورية.

المحبّة والاسكاتولوجيا (١٣:٨-١٤)

٨ **لا يَكونَنَّ عليكم لأَحَدٍ دَيْنٌ إلاَّ حُبُّ بَعضِكُم لِبَعْض، فمَن أَحَبَّ غَيرَه أَتَمَّ الشَّريعة،**
٩ **فإنَّ الوَصايا الَّتي تَقول: " لا تَزْنِ، لا تَقتُلْ، لا تَسْرِقْ، لا تَشتَهِ" وسِواها مِنَ الوَصايا، مُجتَمِعةٌ في هذِه الكَلِمَة: "أَحبِبْ قَريبَكَ حُبَّكَ لِنَفْسِكَ".**

١٠ **فالَمحبَّةُ لا تُنزلُ بالقَريب شرًّا، فالَمحبَّةُ إذًا كَمالُ الشَّريعة.**
١١ **هذا وإنَّكُم لَعالِمونَ بأيِّ وَقْتٍ نَحنُ: قَد حانَت ساعةُ تَنبهُّكم مِنَ النَّوم، فإنَّ الخَلاصَ أَقرَبُ إلَينا الآنَ مِنه يَومَ آمَنَّا.**
١٢ **قد تَناهى اللَّيلُ واقتَرَبَ اليَوم. فلْنَخلَعْ أَعمالَ الظَّلام ولْنَلبَسْ سِلاحَ النُّور.**
١٣ **لِنَسِرْ سيرةً كَريمةً كما نَسيرُ في وَضَحِ النَّهار. لا قَصْفٌ ولا سُكْر، ولا فاحِشَةٌ ولا فُجور، ولا خِصامٌ ولا حَسَد.**
١٤ **بلِ البَسوا الرَّبَّ يسوعَ المسيح، ولا تُشغَلوا بِالجَسَدِ لِقَضاءِ شَهَواتِه.**

يجدر بالمسيحيين القيام بكلّ واجباهم تجاه السلطات (آ٧)، فيريحوا ضميرهم؛ لكن هناك مهمة اخرى تثقل كاهلهم، هي المحبة. هنا يبدو بولس في خط شبيه بخط يو ١٣:٣٤. وان التبادل في المحبّة يعيدنا إلى المقطع الأول من روم ١٢(آ٥، ١٠، ١٦)، والمستفيد من المحبّة المسيحيّة هو منذ الآن ذاك "**الآخر**" (آ٨ب)، وقد تحوّل إلى "القريب" (آ٩-١٠). وفي الواقع لا يغفل بولس عن أن ممارسة المحبّة تطال أيضًا اولئك الذين تكلّم عنهم في ١٢:١٧-١٣:٧. إنّ ما يوحّد هذه الآيات هو دعوة الرسول للمسيحيين إلى الاحتماء، عبر المحبّة، من مساوئ الخطيئة. فالمحبّة هي على النقيض من الأعمال التي يلهمها الجسد (**آ٩؛ راجع الاطار: الكائن البشري بحسب بولس**)؛ وهكذا من لبس يسوع المسيح لا يمكنه أن يرضي شهوات الجسد (آ١٤).

المحبّة هي تمام الشريعة وغايتها؛ وهي تجعل كل الادّعاءات نسبية. فعلى ثلاث دفعات، تبدو المحبّة تمام الشريعة وخلاصتها (آ٨ب، ٩، ١٠). والرسول، بعد ان سرد مقطعا من الكلمات العشر (خر ٢٠:١٣-١٧؛ تث ٥:١٧-٢١)، سلط الضوء على أح١٩:١٨ ("أحبب قريبك حبّك لنفسك"). وهذا النص ورد لدى متى ١٩:١٩، بارتباطه بالوصايا، كما ورد في متى ٢٢:٣٩، بصفته وصيّة ترتبط بها "**الشريعة والأنبياء**". كما يلخّص بولس، في غل ٥:١٤، الشريعة بوصية المحبّة. وهكذا يبرز المبدأ الذي يقود إلى حل كل الاختلافات المذكورة في ١٤:١-١٥:١٣. وحدها محبة القريب -الذي يجب محبته كالذات-، يمكنها أن تحقّق الشراكة الحقة داخل الجماعة.

وإنّ اقتراب ظهور الرب ويوم الدينونة، يجعل من عيش المحبّة أمرًا ملحًا. وتشكّل آ١١-١٤، بارتباطها الوثيق بالآيات السابقة، خاتمة للفصول ١٢-١٣: انها آيات يتم فيها اللعب على الضميرين نحن/أنتم. وتأتي التضادات الليل/النهار، الظلمات/النور، إضافة إلى ذكر اقتراب الخلاص، لتزيد من الطابع الاسكاتولوجي الذي طغى على المقاطع السابقة،

من خلال موضوع الغضب –وهو رد فعل الله القدوس تجاه الخطيئة. وغني عن القول بان موضوع الاسكاتولوجيا عزيز على بولس (١ تس ٥:٤–٨؛ ١ قور ٢٩:٧)؛ ولا شك أن المفردات الرؤيوية المستعملة في هذه الآيات متأثّرة بطابع يسوع نفسه؛ أما صورة الثوب، فهي مأخوذة من طقس العماذ، فالمسيحيون، بنزعهم الثياب القديمة وارتدائهم الثياب الجديدة، انما يرمزون إلى حياقم الجديدة: فلقد استولى الرب يسوع المسيح عليهم بالكامل. وبولس، من خلال حثّه المسيحيين على ارتداء الرب يسوع المسيح، لا يدعوهم إلى ان يتعمذوا، بل إلى ان يعيشوا بالكامل تحت قيادة ذاك الذي هو رب الجماعة.

القسم الثاني

أقويـــاء وضعفاء في رومـــا

(١:١٤-١٣:١٥)

طرحت روم ١:١٣-٧ حالة خاصة تتعلّق بالروابط التي تُنسَج بين أعضاء الجماعة المسيحيّة وبين الذين هم من الخارج؛ أما ١:١٤-١٣:١٥، فتناولت مسألة داخليّة محدّدة: الموقف الذي يجدر بالمسيحي أن يتخذه فيما يخصّ الأطعمة (آ٢)، والأيام (آ٦). ويعطي بولس ما يكفي من المعلومات، ليتصوّر القارئ مختلف الآراء المطروحة حول هذا الموضوع. فلقد كان تياران يتجاذبان مسيحيي روما: كان بعضهم يأكل من كل شيء، لقناعتهم بأن طهارة الأطعمة ليست من مقوّمات الحياة المسيحيّة، على عكس ما كانت تمثّله بالنسبة إلى اليهوديّة. وطال تحرّرهم مسألة الأيام (٥:١٤-٦) أيضًا، فلم يعودوا يراعون السبت، أو يهتمّون للأعياد اليهوديّة. لقد راح هؤلاء الرجال والنساء إذًا يرفضون ممارسة الطقوس التي ساهمت، طيلة قرنين من الزمن، في التعبير عن الهويّة اليهوديّة أمام الوثنيين، وفي بناء حواجز بين اليهود والوثنيين في الشتات. وبكلمة، أراد هؤلاء الاشخاص تحرير الحياة المسيحيّة من كل العادات اليهوديّة، ومن كل ما بوسعه أن يفصل الجماعة عمن يحيطون بها.

في المقابل، علّقت الجماعة الأخرى، المؤلّفة من الضعفاء، أهميّة كبرى على الإمساك عن الأطعمة، وعلى مراعاة السبت والأعياد المهمّة في إسرائيل. فكانوا لا يأكلون سوى الخضار (آ٢) خوفًا من نجاسة اللحوم (آ٢١)، كما راحوا يتجنبون شرب الخمور المقدمة في روما (آ١٧). لا شك، أن اللحوم كانت دائمًا موضوع ريبة في بلاد الشتات، خاصّة وإن بعضها كان يُباع في الأسواق بأسعار بخسة، لأنها غالبًا من فائض الذبائح المقدّمة في هياكل الأصنام، وهي بالتالي لم تراع أحكام الذبح الحلال.

لقد كانت هناك لدى الفريقين صعوبة في فهم صحيح للحريّة المسيحيّة. ففي حين استمرّ البعض على ممارسة الطقوس اليهوديّة، أو تبنّوها واعطوها أهميّة مطلقة، فحكموا بقسوة على الذين لا يشاركوهم هذا الموقف؛ راح البعض الآخر –وقد تحرّروا من هذه الممارسات– يحتقرون إخوتهم في الايمان ويعتبروهم ضعفاء في الإيمان المسيحي. فمن الممكن جدًا أن يكون بولس قد استعمل، في كلامه عن "الأقوياء" و"الضعفاء"، اللغة الشائعة بين "الاقوياء" من مسيحي روما. ويكون قد تدخّل ليعيد الاحترام والشراكة بين المجموعتين. وهكذا نجد، في هذا الجزء، نداءات عديدة صيغت بأساليب منوعة، باتجاه أشخاص مختلفين (راجع ١٤:١، ٣، ٥ب، ١٣، ١٥ب، ١٩، ٢٠أ، ٢٢أ؛ ١٥:٢، ٧)، إذ كان يتوجب على الطرفين ان يغيروا مواقفهم. لقد نُظّم هذا الجزء في ثلاثة مقاطع (١٤:١-١٣أ؛ ١٤:١٣ب-١٥:٦؛ ١٥:٧-١٣)

بعض المبادئ لحلّ الخلاف بين الطرفين (١٤:١-١٣أ)

١٤ ١ تَقَبَّلوا ضَعيفَ الإِيمانِ ولا تُناقِشوا آراءَه.

٢ هُناكَ مَن هو على يَقينٍ مِن أنَّه يَجوزُ لَه الأَكلُ مِن كُلِّ شَيء، في حينِ أَنَّ الضَّعيفَ لا يَأكُلُ إلاَّ البُقول.

٣ فَعَلى الَّذي يَأكُلُ أَلاَّ يَزدَرِيَ مَن لا يأكُل، وعلى الَّذي لا يَأكُلُ أَلاَّ يَدينَ مَن يَأكُل، فإِنَّ اللهَ قد تَقَبَّلَه.

٤ مَن أَنتَ لِتَدينَ خادِمَ غَيرِكَ؟ أَثَبتَ أَم سَقَط، فهذا أَمْرٌ يَعودُ إِلى سَيِّدِه. وإِنَّهُ سَيَثبُت، لأَنَّ الرَّبَّ قادِرٌ عَلى تَثْبيتِه.

٥ مِنَ النَّاسِ مَن يُمَيِّزُ بَينَ يَومٍ ويَوم، ومِنهم مَن يُساوي بَينَ الأَيَّامِ كُلِّها. فلْيَكُنْ كُلٌّ مِنهُم على يَقينٍ مِن رَأيه.

٦ فالَّذي يُراعي الأَيَّامَ فلِلرَّبِّ يُراعيها، والَّذي يأكُلُ مِن كُلِّ شَيء فلِلرَّبِّ يأكُل فإِنَّه يَشكُرُ الله، والَّذي لا يأكُلُ مِن كُلِّ شَيء فلِلرَّبِّ لا يأكُل وإِنَّه يَشكُرُ الله.

٧ فما مِن أَحَدٍ مِنَّا يَحْيا لِنَفْسه وما مِن أَحدٍ يَموتُ لِنَفْسه،

٨ فإِذا حَيِينا فلِلرَّبِّ نَحْيا، وإِذا مُتْنا فلِلرَّبِّ نَموت : سَوَاءٌ حَيِينا أَم مُتْنا فإِنَّنا لِلرَّبّ.

٩ فقَد ماتَ المَسيحُ وعادَ إِلى الحَياة لِيَكونَ رَبَّ الأَمواتِ والأَحْياء.

١٠ فما بالُكَ يا هذا تَدينُ أَخاكَ؟ وما بالُكَ يا هذا تَزدَري أَخاكَ؟ سَنمثُلُ جَميعًا أمامَ مَحكَمَةِ اللّه.

١١ فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "يَقولُ الرَّبّ: بحَقِّي أَنا الحَيّ، لي تَجثو كُلُّ رُكبَة، ويَحمَدُ اللهَ كُلُّ لِسان".

١٢ إِنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنَّا سيُؤدِّي إِذًا عن نَفْسه حِسابًا لله.

١٣أ فلْيَكُفَّ بعضُنا عنِ إِدانَةِ بَعْض،

لوضع حدّ للنزاع الذي هزّ المسيحيّة الرومانيّة، يعود بولس إلى ركائز الحياة المسيحيّة، فيقدّمها من خلال عبارات في صيغة جمع المتكلّم (آ٧-٨، ١٠ب، ١٢). ذلك ان الخبرة المسيحيّة وحدها، هي التي تقدّم المبادئ الأساسيّة لحل هذا التمزق في الجماعة. لكن ضمير جمع المتكلّم في آ١٣أ يتضمن معنى مختلفًا: انه صدى النداء الذي أطلقه بولس في بداية الفصل. فلقد توجّه الرسول في آ١ إلى "الأقوياء"، دون أن يسمّيهم بوضوح. وبالرغم مما كتبه بولس على مدى المقطع، فلربما ظنّ "الضعفاء" -وانطلاقا من نداء الرسول- بأنهم غير معنيين بالتوبة التي يدعو إليها. ولتفادي هذا الاحتمال، ختم بولس الزمن الأول من تفكيره بدعوة عامة: "**فليكفّ بعضنا عن إدانة بعض**" (آ١٣أ). و"**الإدانة**" هنا في الأساس كانت بحق الضعفاء تجاه الأقوياء، ومن ثم توجهت إلى كافة أفراد الجماعة (راجع متى ٧:١-٢). فكل مسيحيي روما مدعوون إذًا لتغيير طريقة عيشهم، والقاعدة المعلنة في آ١٣أ أساسيّة لكل حياة مسيحيّة.

يتوجّه النداء الأول (آ١) إلى من ليسوا "ضعفاء" في الإيمان، أي إلى المقتدرين، "الأقوياء" (١٥:١)؛ لكن بولس، ابتداء من آ٣، توجه إلى كلّ أعضاء الجماعة، اية كانت قناعاتهم وممارساتهم، لأن الجميع بحاجة إلى اعتبار مسألة احترام الآخر شرطاً للشراكة:

- "**على الذي يأكل ألا يزدري من لا يأكل**"
- "**وعلى الذي لا يأكل ألا يدين من يأكل**".

ثم يتكرّر الطلب في آ١٠ على شكل سؤال. وفي اثناء ذلك، سعى بولس إلى تقديم الانتماء إلى الرب بصفته أساساً للاهتداء، ولكنه احتفظ بحجّة نهائيّة ترتكز على أش ٤٥:٢٣: "**سنمثل جميعًا أمام محكمة الله... كل واحد منا سيؤدي عن نفسه حسابا لله**" (آ١٠-١٢؛ راجع ١٢:١٩). ونرى بولس هنا يسرد أش ٤٥:٢٣ ("بحقي انا الحي، لي تجثو كل ركبة ويحمد الله كل لسان")، ويطبّقه على إله إسرائيل، ويستخدمه من ثم للرب يسوع في فل ٢:١٠-١١.

يعطي بولس للمسيح لقب "الرب"، و"السيّد" ثماني مرات (آ٤، ٦، ٨؛ وفي آ٩ هناك فعل استُخدم للتعبير عن هذه السيادة: "ليكون ربّ الاموات والاحياء"). فالمسيحيّون إذًا لا يمكن أن يزدروا أو يدينوا بعضهم بعضًا، لأنهم للمسيح منذ عماذهم؛ وقد صاروا خاصّته وخدّامه. ونظرًا للذكر المتعدّد لله (إضافة إلى وصف حماية الله لكل مسيحي في آ٣ج: "لان الله قد تقبّله")، تساءل البعض إن كان لقب "**الرب**" يعود إلى المسيح، أم لإله إسرائيل. لكن آ٩ ترفع كل شك، وتؤكّد أن المقصود هو المسيح. وفي كل

الأحوال، كثيرًا ما طبّق بولس هذا اللقب على المسيح في رسائله. ذلك انّ السيادة التي مارسها الله، طيلة تاريخ إسرائيل، على شعبه وعلى كل البشر، اصبحت منذ الآن من خلال المسيح، رب الأحياء والأموات؛ فالقوي والضعيف هما تحت إمرة الرب يسوع، وقد حُرّرا بالتالي من كل أشكال التبعيّة الأخرى. وهكذا يستخلص بولس النتائج المرتبطة بالموت والحياة مع المسيح (راجع روم ٦:١١، ٢٦-٢٣).

يراهن بولس، في هذا النقاش، على طاعة قرائه له، فيلجأ إلى اساليب إنشائية تشدد على ضرورة توبتهم الملحّة. انه يضخّم النبرة في التوجه مباشرة إلى كلٍّ من قرّائه (آ٤، ١٠) ليبرز مسؤوليّة الجميع في الخروج بحل مرضي للخلاف. ويعطي بولس بعض القواعد التي تمكّن من فضّ الخلاف داخل الجماعة:

- "**ليكن كلٌ على يقين من رأيه** " (آ٥ب) بمعنى أن يعمل كل شخص بحسب قناعاته، وليس تحت ضغط الآخرين.
- الشكر هو أساس التصرّف، بمعنى أن كل عمل يؤدَّى في الشكر.
- لا دينونة ولا ازدراء، لأن ذلك يعني امتلاك الآخر، في حين أن الإخوة لا ينتمون إلا للرب (آ٤ ج). الاستقبال "اللطيف، المطلوب خاصة من الأقوياء" (ج كامبيه J. Cambier)، هو وحده التصرّف المناسب (آ١).

نداء إلى الأقوياء: بناء الجماعة (١٤:١٣ب-٦:١٥)

١٣ب **بلِ الأَولى بكُم أَن تَحكُموا بأَن لا تَضَعوا أَمامَ أَخيكم سَبَبَ صَدْمٍ أَو عَثرَة.**
١٤ **إِنّي عالِمٌ عِلْمَ اليَقين، في الرَّبِّ يسوع، أَن لا شَيءَ نَجِسٌ في حَدِّ ذاتِه، ولكِن مَن عَدَّ شَيئًا نَجسًا كانَ لَه نَجسًا.**
١٥ **فإِذا حَزِنَ أَخوكَ بتَناوُلِكَ طَعامًا، فلَم تَعُدْ تَسلُكُ سَبيلَ المَحَبَّة. فلا تُهلِكْ بِطَعامِكَ مَن ماتَ المَسيحُ لأَجْلِه،**
١٦ **فلا يُطعَنْ في ما تَنعَمونَ به.**
١٧ **فلَيس مَلَكوتُ اللهِ أَكْلاً وشُرْبًا، بل بِرٌّ وسَلامٌ وفَرَحٌ في الرُّوحِ القُدُس.**
١٨ **فمَن عَمِلَ لِلمَسيحِ على هذِه الصُّورة هو مَرضِيٌّ عِندَ اللهِ ومُكَرَّمٌ لَدى النّاس**
١٩ **فعَلَينا إِذًا أَن نَسْعى إِلى ما غايتُه السَّلامُ والبُنْيانُ المُتبادَل.**
٢٠ **لا تَهدِمْ صُنْعَ اللهِ مِن أَجْلِ طَعام. كُلُّ شَيءٍ طاهِر، ولكِن مِنَ السُّوءِ أَن يَأكُلَ المَرْءُ فيكونَ حَجَرَ عَثرَةٍ لِغَيرِه،**

٢١ **ومِنَ الخَيرِ أَلا تأكُلَ لَحْمًا ولا تَشرَبَ خَمْرًا ولا تَتناوَلَ شَيئًا يَكونُ حَجَرَ عَثرَةٍ لأَخيك.**
٢٢ **أَمَّا يَقينُكَ فاحفَظْه في قَرارَةِ نَفْسِكَ أَمامَ الله. طُوبى لِمَن لا يَحكُمُ على نَفْسِه في ما يُقَرِّرُه!**
٢٣ **وأَمَّا الَّذي تُساوِرُه الشُّكوك، فهو مَحْكومٌ علَيه إِذا أَكَل، لأَنَّه لا يَفعَلُ ذلِكَ عن يَقين. فكُلُّ شَيءٍ لا يَأتي عن يَقينٍ هو خَطيئَة.**

١٥ ١ **فعَلَينا نَحنُ الأَقوِياء أَن نَحمِلَ ضُعْفَ الَّذينَ لَيسوا بأَقوِياء ولا نَسْعَ إِلى ما يَطيبُ لأَنْفُسِنا.**
٢ **ولْيَسْعَ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا إِلى ما يَطيبُ لِلقَريب في سَبيلِ الخَيرِ مِن أَجْلِ البُنْيان.**
٣ **فالمسيحُ لَم يَطلُبْ ما يَطيبُ لَه، بل كَمَا وَرَدَ في الكِتاب: "*تَعْييراتُ مُعَيِّريكَ وَقَعَت عَلَيَّ*".**
٤ **فإِنَّ كُلَّ ما كُتِبَ قَبْلاً إِنَّما كُتِبَ لِتَعْليمِنا حتَّى نَحصلَ على الرَّجاء، بِفَضْلِ ما تأتينا بِه الكُتُبُ مِنَ الثَّباتِ والتَّشْديد.**
٥ **فلْيُعطِكُم إِلهُ الثَّباتِ والتَّشديدِ اتِّفاقَ الآراء فيما بَينَكم كَما يَشاءُ المَسيحُ يسوع،**
٦ **لِتُمَجِّدوا اللهَ أَبا ربِّنا يسوعَ المسيحِ بِقَلْبٍ واحِدٍ ولِسانٍ واحِد.**

يرسم بولس في هذه الآيات خطوط النقاش الجماعي: على المسيحيين أن يسلكوا بما يُسهم في بناء الجماعة التي هي عمل الله (١٤:١٩؛ ١٥:٢)، لا بما يهدم (١٤:٢٠). على عكس ما سبق ان لاحظناه في الآيات السابقة، يتوجّه هذا المقطع إلى "الأقوياء" وحدهم، وقد خاطبهم بولس مرّتين بشكل مباشر (١٤:١٣ب؛ ١٥:١)، كما كان قد فعل في بداية القسم. ويجعل بولس نفسه، في ١٥:١، كما في ١٤:١٩، في عداد "الأقوياء" الذين يصفهم هكذا علنًا، ويشاركهم وجهة نظرهم. انه يقترح عليهم مساعدة "الضعفاء"، بالتخلّي عن **العمل بما يطيب هم** (١٥:١). ومع البركة التي تختم المقطع (١٥:٥-٦)، وتُعِدّ الخاتمة (١٥:٧-١٣)، يعود بولس ليأخذ مسافة من قرّائه، فيتوجّه من جديد إلى كل أعضاء الجماعة. وكما فعل بولس، ثلاثًا، في ٢:١-٣أ، هوذا يناشد محاوريه، مستعملاً ضمير المخاطب المفرد (أنت)، فيبرز بذلك أهميّة التوبة المطلوبة (١٤:١٥، ٢٠أ، ٢٢أ). ذلك ان للنقاش داخل الجماعة أهميّة كبرى للشهادة المسيحيّة، لأن حياة الجماعة تجري تحت نظر الرب، كما تحت أنظار البشر (١٤:١٨؛ راجع ١٢:١٧-١٨).

لقد نُظّم المقطع في ثلاث وحدات (١٤:١٣ب - ١٩؛ ١٤:٢٠-٢٣؛ ١٥:١-٧). ينطلق بولس في الوحدتين الأوليين من حريّة المسيحيين تجاه القواعد اليهودية في الطهارة والنجاسة، لكنّه يذكّر في الوقت عينه بواجب عدم التسبّب بعثرة الإخوة؛ انه يبرز، في الوحدة الأولى، طبيعة ملكوت الله والألم الذي يسببه الاخ الذي لا يفهم هذه الحريّة؛ ويشدّد، في الوحدة الثانية، على أهميّة القناعة التي يولّدها الإيمان؛ أما في الوحدة

الثالثة، فيطلب الرسول من "الأقوياء" أن يتصرّفوا على مثال المسيح نفسه. وهنا ننتقل من الحجج الجماعيّة إلى الدافع الكريستولوجي.

لا يجهل بولس الحريّة التي أعطاها الرب يسوع بخصوص المآكل، لا بل يطبّقها على كل الخيرات ("كل شيء طاهر"). فهو ينسب مبدأ الحرية هذا إلى المسيح (آ١٤)، ثم يكرّره مرّتين، قي صيغة سلبية تارة (آ١٤ب)، وإيجابية تارة آخرى (آ٢٠ب). وان تكرار القناعة البولسيّة لا يهدف إلى التخفيف من التوبة المطلوبة من "الأقوياء"، ولكنه اغتنى بما أكّده بولس في آ١٧-١٩ حول ملكوت الله. فالكلمة التي فعّلها في آ١٤ و ٢٠ لم تأته من يسوع الناصري حسب (راجع مر ٧:١٥، ١٩ب)، بل أيضًا من الرب الذي يقود الجماعة اليوم، ويُقنع خاصّته بشرعيّة أقواله. لكن بولس يعلم، في الوقت عينه، أن تقليد الرب يسوع لا يقتصر على هذه الاقوال، فالمطلوب أيضًا تجنّب التسبّب بالسقوط (سبب صدم: ١٤:١٣، ٢٠، ٢١؛ راجع ١ قور ٨:٩؛ متى ١٨:٧)، أو موضوع عثرة (وقوع) للاخوة (آ١٣ب؛ راجع مر٩:٤٢؛ متى ١٨:٦-٧؛ لو ١٧:١-٢).

ويطيب لبولس ان يدعو محاوريه إلى بناء رأيهم الخاص، فهو لا يريد أن يفرض عليهم رأيًا من الخارج (تأخذ عبارة "ان تحكموا"، في آ١٣ب، معنى التفكير والاعتبار). ويدعوهم للاعتراف بشرعيّة طلباته (١٤:١٣ب-١٩). إذ ان على المحبّة -بمعنى اعتبار الاخ- أن تقود كل تصرف، والحريّة التي لا تهتم بالأخ تشوّه ذاتها (آ١٦). ومن يتسبّب بحزن أحد الإخوة يتعرض للملامة (آ١٥أ)، إذ ان الفرح والتناغم هما من صلب الحياة المسيحيّة، وذلك هو أساس التعبير عن ملكوت الله الذي لا يضع، في المستوى الأول، مسألة الأكل والشرب (آ١٧أ؛ راجع آ٦)، بل البر والسلام والفرح، وهي عطايا الروح القدس المنبثقة في قلب الحياة المسيحيّة. وبولس، بإشارته إلى البرّ الموهوب للمسيحيّين بموت المسيح وقيامته، فهو انما ذكّر بركائز الحياة المسيحيّة. وباستثناء الرسالة الأولى إلى القورنثيين حيث ترد عبارة "ملك الله" أو "ملكوت الله"، خمس مرات، تبدو هذه العبارة نادرة في الرسائل البولسيّة (مرة واحدة في روم، ومرة في غل، ومرة في ١ تس). لا يخلو هذا الواقع من غرابة، خاصة حين نفكر ان "الملكوت" كان في المركز من كرازة يسوع. إلا ان ما يشكّل لبولس، منذ الآن، الهمّ الأول، فهو الكرازة بالمسيح المصلوب. اما الملكوت، فهو حاضر في القلب من حياة المسيحيين بالذات، ولا عجب ان نجد عين الفكرة الاسكاتولوجية -المحقّقة مسبقا- موجودة في أمثال "الخميرة" و"حبة الخردل" في متى ١٣.

مع اقتناع بولس نظريًّا برأي "الأقوياء"، ومشاركته اياهم قناعاتهم، فهو واثق أنه لا يمكن للحريّة المسيحيّة أن تكون عامل انقسام، أو حزن، لأن الأساس يبقى بنيان الجماعة ونموّها (١٤: ١٩؛ راجع ١٥: ٢)، وعلى كل عضو أن يساهم في تحقيق ذلك. ويجب ان نفهم الفعل في آ ١٩ بصيغة اخباريّة: "فإننا نسعى"، بدلاً من صيغة النصح: "علينا أن نسعى"، لأن بولس يعبّر، من خلاله عن ماهيّة الحياة المسيحيّة.

وتشكّل وحدة روم ١٤: ٢٠-٢٣ شرحًا للرأي الذي أورده بولس دون أن يفسّره في آ ١٥ب: "**لا تهلك بطعامك من مات المسيح لأجله**". لا شك ان الأخ لا يموت بسبب سلوك "القوي" الذي يعارضه ويحزنه، بل بسبب تصرّفه الشخصي هو ذاته. إذ ان الضعيف، لدى رؤيته "القوي" يتصرف، قد يتبنى موقفًا مشابهًا، حتى وان كان هذا الموقف لا ينسجم مع قناعته الذاتية ويمسّ ضميره. لذا عرض بولس، قبل النداء الأخير الموجّه إلى "الأقوياء" (١٥: ١)، مبدأً عمليًا للحياة: يجب العمل بما يوافق القناعة التي يمنحها الإيمان المسيحي (آ ٢٢-٢٣؛ راجع ١٤: ١-٢، ٥ب).

تأخذ مراراً كلمة "إيمان"، في الفصل ١٤، معنى خاصًا (آ ١،٢، ٢٢، ٢٣)؛ وليس المقصود الإيمان الخلاصي، كما نجده في العديد من نصوص هذه الرسالة، بل بالاحرى القناعة التي يولّدها الإيمان المسيحي وتوجّه الممارسة المسيحيّة. والحال، يبدو من الواضح أن مسيحيي روما لم يستخلصوا النتائج عينها من إيمانهم بالمسيح. كما ان بولس لا يعتقد ان هناك اسلوباً واحداً للسلوك بوحي الايمان المسيحي، بل هو على يقين بان كل تصرّف يجب ان يستوحي من قناعة مبنيّة على موت المسيح وقيامته: إذ "**كل شيء لا يأتي عن يقين هو خطيئة**" (آ ٢٣ب). من هذه الفكرة البولسيّة استخلص أوغسطينس تفسيرا خاطئًا (Contra Julianum IV, ٣٢؛ أنظر وجهة نظر لوثر: ١٩٦٧، Oeuvres IX, Genève p.١٠٥-١١٣). فبحسب القديس أوغسطينس، يكون بولس قد قال بأن كل عمل لا يستوحي الإيمان بشكل مباشر، كان خطيئة حتميّة. وبحسب هذا التفسير، يكون الوثنيون عاجزين عن القيام بأي عمل صالح، وفي ذلك تناقض صريح مع قناعات الرسول.

نجد في الوحدة الأولى دعوة "للأقوياء" ألاّ يُحزنوا "الضعفاء"؛ وفي الثانية هناك ايضا تحذير "للأقوياء"، ولكن مع توجيه "الضعفاء" إلى مبدأ لحسن التصرّف؛ أما الوحدة الأخيرة (١٥: ١-٦)، فهي تدعو "الأقوياء" إلى التشبّه في سيرهم بالمسيح، وتختم ببركة لجميع المسيحيين.

وبولس، لكي يُسمِع كلامه أثناء توجيه ندائه الأخير للأقوياء، يصطف إلى جانبهم (١٥:١). فلم يعد في مواجهة مع "الأقوياء"، بل هو واحد منهم. انه يدعوهم إلى اتّباع المسيح استناداً إلى مز ٦٩:١٠. ولكم استعملت الجماعة الأولى هذا المزمور للاشادة بآلام البار المضطهَد: فقد رأت فيه إنباء بما عانى المسيح في آلامه؛ فما تحمّله المسيح من إهانات، يبرهن على أنه لم يطلب ما يطيب له. وهكذا، فإن في تخلّي المؤمن عن إرادته الخاصّة مصدر وحي "للأقوياء". لقد عاد بولس مرارًا إلى الكتب المقدسة، ولكنه قلما جعل منها نظرية، ولنا في آ٤ تجسيد ثمين لها؛ فالكتب المقدسة تسهم في التعليم العملي للجماعة ، وهي مصدر للثبات والشجاعة. وفي آ٥-٦، تُشرِك البركة "الضعفاء" بالدعوة إلى الشركة. فيسوع المسيح هو مثال الوحدة ومُلهمها، وهو الذي يمكّن الجماعة من ان "**تمجّد الله أبا ربنا يسوع المسيح بقلب واحد ولسان واحد**".

قبول متبادل على مثال المسيح (١٥: ٧-١٣)

٧ **فتَقَبَّلوا إذًا بَعضُكُم بَعضاً، كما تَقبَّلَكمُ المسيح، لِمَجْدِ الله.**
٨ **وإنّي أَقولُ إنَّ المسيحَ صارَ خادِمَ أَهْلِ الخِتان لِيَفِيَ بِصِدْقِ الله وُيثبتَ المَواعِدَ الّتي وُعِدَ بها الآباء.**
٩ **أَمَّا الوَثنيُّون فيُمَجِّدونَ اللهَ على رَحمَتِه، كما وَرَدَ في الكِتاب: "*مِن أَجْلِ ذلِك سأَحمَدُكَ بَينَ الوَثَنِيِّين وأُرَتِّلُ لأسْمِكَ*".**
١٠ **ووَرِدَ فيه أَيضًا: "*إفرَحي أَيَّتُها الأُمَمُ* مع شَعْبه".**
١١ **ووَرِدَ أَيضًا: "*سبِّحي الرَّبَّ أَيَّتُها الأُمَمُ جَميعًا، وَلْتُثْنِ علَيه جَميعُ الشُّعوب*".**
١٢ **وقال أَشَعْيا أَيضًا: "*سيَظهَرُ فَرْعُ يَسَّى، ذاكَ الَّذي يَقومُ لِيَسوسَ الأمَم وعَلَيه تَعقُدُ الأُمَمُ رَجاءَها*".**
١٣ **لِيَغمُرْكُم إلهُ الرَّجاءِ بِالفَرَحِ والسَّلامِ في الإِيمان لِتَفيضَ نُفوسُكم رجاءً بِقُوَّةِ الرُّوحِ القُدُس! .**

في ١٤:١ دعا بولس "الأقوياء" إلى "**تقبّل ضعيف الإيمان**"؛ وها هو، في نهاية هذا القسم يكرّر النداء؛ لكن المطلوب بعد الآن هو أن يتقبّل المسيحيّون جميعا بعضهم بعضًا، أيًّا كانت النتائج العملية التي استخلصوها من إيمانهم، وهذا التقبُّل المتبادل لا عودة فيه. فالأقوياء والضعفاء مدعوون إلى أن يتقبّلوا بعضهم بعضًا، وبذلك يدخلون في تيار مؤسسه وملهمه المسيح. في ١٤:٣، كان الله هو الذي يتقبل؛ أما في ١٥:٧، فالتقبّل

اصبح عمل المسيح. وهكذا يعبّر بولس، من خلال اشارات متعدّدة ولكن دقيقة، عن إيمانه بالمسيح؛ إذ به وحده تتمّ عناية إله إسرائيل بالبشر. وبالفعل، فان الشركة بين أشخاص من أصول مختلفة، في قلب الجماعة المسيحيّة، تحقّق وعود العهد القديم. وحين استند بولس، في روم ٩-١١، إلى أمانة الله ورحمته، استطاع ان يسلّط بعض الضوء على الرفض الذي ابداه إسرائيل تجاه كلمة المسيح، ومن ثم على طاعة الوثنيين. فهو، بدعوته مسيحيي روما إلى ان يتقبلوا بعضهم بعضا، يعود إلى المواضيع الجوهريّة التي تؤسس وحدة المسيحيين، وتضع تقليد إسرائيل في مكانه الصحيح. وهكذا تكون الوعود قد تحقّقت! وبالفعل، فمن خلال المسيح، ظهرت أمانة الله تجاه أهل الختان، أي إسرائيل. فلقد كرّس المسيح نفسه لأبناء شعبه، ولم يسعَ إلى البلوغ، هو نفسه، إلى الوثنيين، إلا في ما ندر. أما نشاط بولس ومعاونيه، فمختلف جدا: خدمتهم مكّنت الوثنيين من تمجيد رحمة الله تجاههم.

بحث بولس، في الكتاب المقدّس، عن جذور دعوة الوثنيين، وذلك من خلال اربعة مراجع ربطها بعضها ببعض بواسطة عبارة "ورد ايضا"، لأن الأمر يتعلّق بإحدى ثوابت تاريخ الخلاص التي تعكسها الكتب باسهاب. وتتلاقى الاستشهادات بشكل مزدوج. فالمرجعان الأول والأخير يتعلّقان بالمسيح، وينشدان قدرة المُلك الداودي على الأمم؛ وفي المرجعين الآخرين، نقرأ دعوة إلى الأمم الوثنيّة ليحمدوا الرب إله إسرائيل. وان مرجع آ٩ مأخوذ من ٢ صم ٢٢: ٥٠ (أو من مز ١٨: ٥٠): داود، بعد نجاته من تهديد شاول، ومن كل الأخطار التي واجهته، اخذ يُشيد بالرب الذي أخضع له الوثنيين. ويُشيد المرجع الأخير، المستقى من اش ١١: ١٠ (وقد اختصر بولس نص السبعينية)، بدور المسيح، فرع يسّى، وسط الأمم، هو الذي سيكون رجاءَها. ويأتي المرجع الثاني من تث ٣٢: ٤٣ (في قراءة تختلف عن النص العبري وعن السبعينيّة) ليعبّر عن وحدة الأمم وإسرائيل في تمجيد الرب. أما المرجع الثالث، فمأخوذ من مز ١١٧: ١، ويؤدي نص السبعينيّة تقريبًا. قد ترجع هذه النصوص إلى "شهادات" كانت بمثابة مختارات من نصوص العهد القديم، جمعتها الجماعة الأولى بحسب مواضيع؛ ففي موضوعنا الان، كانت هذه النصوص تهدف إلى تبيان بأن تمجيد الأمم لله متجذّر في العهد القديم؛ فقد وردت نصوص من التوارة والأنبياء وسائر الكتب، مزجت بشكل وثيق بين مجيء المسيح إلى الأمم، وتمجيد هذه الأمم إله إسرائيل. ذلك ان المسيح هو من يتمّم الوعود المعطاة للآباء، لصالح أهل الختان، وهو الذي، في الوقت عينه، يسوس الأمم فيعطيها الرجاء.

وحده إله الرجاء يستطيع أن يبني وحدة الجماعة، ومن هنا كانت البركة النهائيّة (آ ١٣). أما الروح، فيُظهر قوّته بإيقاظه رجاء المؤمن.

خاتمة

حول الخدمة البولسيّة

بولس ومسيحيو روما

(١٥: ١٤ -٣٣)

يتألّف هذا الجزء المتمحور حول خدمة الرسول من مقطعين، تفصل بينهما عبارة "**أما الآن**" (آ٢٣ و ٢٥). فبولس، بتوجّهه إلى الرومانيين، لم يخلّ برسالته: لقد اصبح بإمكانه أن يزورهم، لأن حقل الرسالة لم يعد "الآن" (آ٢٣) في الشرق. بالاضافة إلى أن مساعدة مسيحيي روما كانت ضروريّة لنجاح الرحلة إلى إسبانيا (آ١٤-٢٤). لكن هذا المشروع لا يمكن ان يتم إلا إذا نجح بولس، من قبل (آ٢٥)، في إتمام مهمة جمع الاعانات، ويحتاج من ثم إلى مساعدة مسيحيي روما (آ٢٥-٣٣). وفي نهاية كلا المقطعين (آ٢٤ و ٣٢)، يوضح الرسول الخير المرتقب من اللقاء بمسيحيي روما. في هذا الجزء عودة متكرّرة إلى بداية الرسالة.

مساعدة ماديّة في الطريق إلى اسبانيا (١٥: ١٤ -٢٤)

١٤ **إنّي على يَقينٍ في أَمرِكم، يا إخوَتي، مِن أَنَّكم أَنتُم أَيضًا على قِسْطٍ كَبيرٍ مِنَ كَرَمِ الأَخْلاق، تَغمُرُكم كُلُّ مَعرفة، قادِرونَ على أَن يَنْصَحَ بَعضُكم بَعضًا.**
١٥ **غيرَ أَنِّي كَتَبتُ إِلَيكُم، في بَعضِ ما كَتَبتُ، بِشَيءٍ مِنَ الجُرأَة لأُنَبِّهَ ذِكْرَياتِكم، بِحُكمِ النِّعمَةِ الَّتي وَهَبَها اللهُ لي،**
١٦ **فأَقومَ بخِدمَةِ المسيحِ يسوعَ لَدى الوَثَنيِّين وأَخدُمَ بشارَةَ اللهِ خِدمَةً كَهَنوتِيَّة، فيَصيرَ الوَثَنيُّونَ قُرْبانًا مَقبولاً عِندَ اللهِ قَدَّسَه الرُّوحُ القُدُس.**
١٧ **فمِن حَقِّي إِذًا أَن أَفتَخِرَ في المَسيحِ يسوعَ بخِدمَتي لله،**
١٨ **لأَنِّي ما كُنتُ لأَجرُؤَ أَن أَذكُرَ شَيئًا، لو لم يُجْرِه المسيحُ عن يَدي لِهِدايَةِ الوَثَنيِّينَ إِلى الطَّاعَةِ بِالقَولِ والعَمَل**

١٩ **وبقُوَّةِ الآياتِ والأَعاجيب و بِقُوَّةِ الرُّوح. فمِن أُورَشَليمَ وفي نَواحيها إِلى إِلِّيريكون أَتمَمتُ القِيامَ ببشارَةِ المسيح.**
٢٠ **ولقَد عَدَدتُ شرَفًا لي أَلا أُبَشِّرَ إِلاَّ حَيثُ لم يُذكَرِ اسْمُ المسيح، لِئَلاَّ أَبنِيَ على أَساسِ غَيري،**
٢١ **فعَمِلتُ بما وَرَدَ في الكِتاب: "*اَلَّذينَ لم يُبشَّروا بِه سيُبصِرون، والَّذينَ لم يَسمَعوا بِه سيَفهَمون*".**
٢٢ **وهذا ما حالَ مِرارًا دونَ قُدومي إِلَيكم.**
٢٣ **أَمَّا الآنَ ولَم يَبْقَ لي مَجالُ عَمَلٍ في هذِه الأَقطار، وأَنا مُنذُ عِدَّةِ سِنينَ مُشتاقٌ إِلى القُدومِ إِلَيكم،**
٢٤ **فإِذا ما انطَلَقتُ إِلى إسبانية فإِنِّي أَرْجو أَن أَراكُم عِندَ مُروري بِكُم وأَتلَقَّى عَونَكم على السَّفَرِ إِلَيها، بعدَ أَن أَشْفِيَ غَليلي ولَو قَليلاً بلقائِكم.**

لا يعود تدخّل بولس لدى الرومانيين إلى مبادرة شخصيّة منه. فمنذ خبرة دمشق، وَكَلَ إليه الله رسالة تجاه الوثنيين، وقد اعترف بها مجمع أورشليم بتحديده مجالات العمل. وفي كلّ الأحوال، يشكّل اللقاء بمسيحيي روما جزءًا من الرحلة التي يزمع الرسول القيام بها إلى اسبانيا.

بعد التحذيرات القاسية (١٤:١–١٥:١٣)، يتفاجأ القارئ بعبارات المودّة تجاه الرومانيّين. كان الرسول، في الواقع، قد حدّد قواعد التصرّف، لكن تطبيقها يعود إلى مسيحيي روما، وإلى الذين من اصل وثني بشكل خاص؛ وعليه، يذكّر بولس قرّاءه بأنّهم يمتلكون كل المفاتيح لحلّ المشاكل التي تعترضهم. انه يستميل مودهم، في محاولة لتثبيتهم في ما هم عليه من الصلاح (آ١٤–١٥؛ راجع ١:٨): لكنه لا ينفي البتة جرأته في بعض ما كتب، ويبررها بحكم الرسالة التي أوكِلت إليه. لقد أعطاه الله ولا شك النعمة للقيام "**بخدمة المسيح يسوع لدى الوثنيّين، فيخدم بشارة الله خدمة كهنوتيّة، ويصير الوثنيّون قربانًا مقبولاً عند الله قدّسه الروح القدس**" (آ١٦)؛ فبفضل بولس إذًا، قدّم الوثنيّون ذواتهم "**ذبيحة مقدّسة** مرضية لله" (١:١٢). وكما فعل في ١:١٢، فلقد حدّد، بعبارات مختلفة، التقدمة الحقّة (آ١٦ج)؛ وهكذا كان الوثنيون المسيحيون في روما أول المستفيدين من تبشير بولس (آ١٦؛ راجع ١:٥–٦، ١٣). إذ إن طاعة الوثنيين هي خضوعهم للإنجيل بالإيمان.

كان بولس، في بداية رسالته، قد بين بان اعلان الإنجيل هو العبادة بالروح، بفضل الصلاة التي ترافقه (١:٩). وها هو، في ١٥:١٦، يصف عمله مع الوثنيين بعبارات قربانيّة وطقسيّة مأخوذة من العهد القديم. ودار نقاش حول: هل في مفردات بولس إضفاءة كهنوتيّة؟ وهل يقدّم بولس نفسه كوسيطٍ يمارس سلطة مقدّسة بين الله والناس؟ اعتقد العديد من المفسّرين المصلِحين، في إثر كالفين، بالطابع الكهنوتي في التأكيدات البولسيّة، لكنهم حددوا ابعاده حين اعتبروا أن الرسول لا يشير إلا إلى عمل الكرازة.

وهناك، في قلب النقاش، عبارتان: الأولى هي كلمة "خادم" (liturge) في اليونانيّة —وليس لها في حد ذاتها، لا في اليونانية الشائعة ولا في السبعينيّة، معنى ديـني؛ والثانية "القيام بمهمات مقدسة" (hierougein)، وقد استُعملت في بعض النصوص الوثنيّة واليهوديّة المتأخّرة بمعنى "تقديم ذبائح"، بحيث يمكن ان يكون المقرِّب كاهناً، او مؤمناً يتوجه الى الكاهن. فالمفردات التي يستخدمها بولس هنا لا تضفي –وقد تضفي احياناً– على المهمة الرسولية صبغة كهنوتيّة. فالرسول، بخدمته للإنجيل، فسح المجال لوساطة يسوع المسيح الوحيدة ان تتخذ شكلاً من اجل الناس؛ وهكذا يفاخر علنًا بالرسالة التي أوكِلت إليه والتي تبرِّر تدخّله في حياة مسيحيي روما.

إن الرسول أداة لعمل الله الذي يقوده المسيح بالذات (آ١٨؛ راجع ١:٥، ١٥)؛ فالمسيح هو مصدر عمل بولس ودليله، لذلك كانت البشارة لدى الوثنيين "**بالقول والعمل**". فلقد أثمرت الكلمة مفاعيل، هي علامة على قدرتها. ولا يذكر الرسول الآيات والأعاجيب التي جرت على يده إلا بتحفّظ كبير (٢ قور ١٢:١٢)، ومع ذلك فان النتائج الظاهرة للبشارة ساهمت في تقبّل الوثنيّين لكلمة الله. أما الروح، فقد كان القوّة الداخليّة التي أيقظت في نفوس السامعين الوعي بحضور المسيح في قلب كلمة بولس. وكما كان الروح فاعلاً إبان قيامة يسوع (١:٤)، فهو الآن فاعل في قلب رسالة بولس (آ١٦، ١٩أ). فلقد كانت خدمة بولس، بالفعل، عمل قدرة تجلت بالآيات الخارجيّة، وبعمل الروح الذي هو قوّة يقين.

ان بولس، طبقا لما وَكلَه إليه يسوع القائم من الموت، قام برحلات رسولية عديدة في العالم الوثني. ولقد اعترف مجمع أورشليم، حوالي السنة ٥١، بعمل بولس، وحدَّد حقول الرسالة (غل ٢:١-١٠). وحين كتب إلى مسيحيي روما، في شتاء ٥٧-٥٨، اعتبر أنّه تّم عمله في القسم الشرقي من الامبراطوريّة الرومانيّة، "من أورشليم إلى إلّيريكون" (دلماتيا). وكان بولس مقتنعًا، كما كل الجماعة الأولى، أنّ بشارة الإنجيل تبدأ من أورشليم؛ وهكذا، من طرف خفي، أشار إلى أهميّة الاقتسام الذي تجسده التبرعات الماديّة التي جمعت. صحيح أن الشرق الوثني لم يتحوّل بأكمله إلى المسيح، وأن العمل غير المنجز لا يزال ضخمًا؛ ومع ذلك، فان كلمة الله وصلت إلى المدن الرئيسيّة، وإلى مختلف المناطق والثقافات، حيث وُلِدت جماعات مسيحيّة. وهكذا تحقّق الهدف الذي حدّده القائم من الموت، واعترف به مجمع أورشليم: لقد أُعلن المسيح لوثنيي الشرق.

والآن أصبح بوسع بولس أن يتوجّه نحو الغرب، وروما هي محطة في طريقه إلى اسبانيا. فهو لم يتنازل حتى الآن عن رغبته بالذهاب إلى روما (آ٢٢؛ راجع ١:١٠ب،

١١أ؛ ١٣أد)، إذ ان الرسالة في الشرق كانت تحول دون رغبته، فضلاً عن التزامه بقاعدة خطّها لنفسه "**بألاّ يبني على أساس غيره**" (٢٠ب، راجع أيضًا ٢ قور١٠:١٥-١٦)، لكي، طبقاً لما جاء في نبوءة أش ٥٢:١٥ -وقد سردها بتصرف-، يسمع كلمة المسيح أشخاص جدد. ويطيب لبولس ان يقارب بين رسالته ورسالة "عبد الله المتألّم" بحسب أشعيا الثاني. فان رسالته المتميّزة، وهي تقوم على إعلان الإنجيل بين الأمم الوثنية، تندرج في خط الكتب المقدسة. لذا فان مسيحيّي روما مدعوّون للمساهمة في إنجاحها بتسهيلهم رحلته إلى إسبانيا، وبطرق عدة: المرافقة، المؤن، التوصيات... شريطة أن يحمل لقاؤه بهم، اولا، ثماره ("بعد أن أشفي غليلي ولو قليلاً بلقائكم" (آ٢٤ ج).

عون روحي للصعود إلى أورشليم (١٥:٢٥-٣٣)

٢٥ أَمَّا الآن فإنِّي ذاهِبٌ إلى أُورَشَليمَ لِخِدمَةِ القِدِّيسين.
٢٦ فقَد حَسُنَ لَدى أَهْلِ مَقْدونِيةَ وآخائِية أَن يُسعِفوا الفُقَراءَ مِنَ القِدِّيسينَ الَّذينَ في أُورَشَليم.
٢٧ أَجل، قد حَسُنَ لَدَيْهِم ذلِك وهو حَقٌّ علَيهِم، فإِن كانَ الوَثَنِيُّونَ قد شارَكوهم في خَيراتِهِم الرُّوحِية، فمِنَ الحَقِّ عليهِم أَيضًا أَن يَخدُموهم في حاجاتِهِم المادِّيَّة.
٢٨ فإِذا قَضَيتُ هذا الأَمْرَ وسَلَّمْتُ إِلَيهِم حَصيلةَ التَّبَرُّعات، مَرَرتُ بِكُم وأَنا ذاهِبٌ إِلى إِسبانية.
٢٩ وَأَعلَمُ أَنِّي إذا ما جِئتُ إِلَيكم، أَتَيتُكم بتَمامِ بَرَكَةِ المَسيح.
٣٠ فأُحُثُّكم، أَيُّها الإِخوَة، باسمِ ربِّنا يسوعَ المَسيح و بِمَحبَّةِ الرُّوح، أَن تُجاهِدوا معي بصَلَواتِكُمُ الَّتي تَرفَعونَها للهِ مِن أَجْلي،
٣١ لأَنجُوَ مِن غَيرِ المُؤمِنينَ الَّذينَ في اليَهودِيَّة ولِتَكونَ خِدمَتي لأُورَشَليمَ مَقْبولَةً عِندَ القِدِّيسين،
٣٢ فأَقدَمَ إِلَيكم فَرِحًا وآخُذَ عندَكم قِسْطًا مِنَ الرَّاحَة، إِن شاءَ الله.
٣٣ فلْيَكُنْ إِلهُ السَّلامِ معَكم أَجمَعين. آمين.

يصف بولس أولاً المهمة التي سيتمّمها في أورشليم (آ٢٥-٢٩)، ومن ثمّ يطلب مساعدة الرومانيّين في هذه المهمّة التي لا تخلو من الأخطار (آ٣٠-٣٣)، ويضع كل ذلك في خانة البركة (آ٢٩،٣٣).

قبل الشروع برحلته نحو روما، ومن ثم إلى اسبانيا، كان على بولس أن يتمّم مهمّة طارئة تقوم في حمل المساعدات إلى أورشليم -وكانت قد أُقرَّت، قبل سنوات، أثناء

توزيع حقول الرسالة (غل ٢:١٠). لقد أعطى بولس، في نشاطه الرسولي، أهمّيّة كـبرى لهذه المهمّة، حتى انه أشرك فيها ثلاث مناطق: غلاطية (١ قور ١:١٦) ومقدونية وآخائية؛ ولأسباب نجهلها، لم تتمّم كنائس غلاطية مهمّتها إلى النهاية. وبالمقابل، شدّد بولس، بقوّة، على التعاون الرائع الذي قامت به مقدونية وآخائية على هذا الصعيد (آ٢٦أ، ٢٧ قرروا، أو ارتأوا، أو "حسن لدى"). ذلك ان هذه التبرّعات التي حققها بولس على أنها خدمة (آ٢٥، ٣١)، تُظهر التضامن الذي تم بين مسيحيي أورشليم وبين الذين هم من اصل وثني؛ فقد أعطى بعضهم من خيراته الروحيّة، فيما شارك البعض الآخر بخيراته الماديّة. وهكذا يضفي الرسول على مسيرة الشراكة هذه طابعًا رسميًّا ليتورجيًّا.

فبالنظر إلى الحالة الاقتصاديّة الصعبة التي يعيشها "القدّيسون"، مسيحيّو أورشليم، تحمل بادرة الوحدة هذه بُعدًا عمليًّا (آ٢٦). لكن المهمّة محفوفة بالخطر، لأن معارضي بولس لم يستسلموا، وهم قادرون على إفشال فعل الشراكة الكبير (آ٣١). لذا يطلب بولس من جماعة روما مشاركته في معركته (آ٣٠)، فلا يفشل أمام "**غير المؤمنين الذين في اليهوديّة**"، الذين لم يتقبّلوا كيف يتلقى الوثنيون الإنجيل دون أن يعلنوا انتماءهم المسبق إلى إسرائيل. وللتعبير عن مصاعب الحياة المسيحيّة (راجع ١٢:١٣ب) والحواجز التي تعترض العمل الرسولي (٢ قور ٧:٦)، لم يخش بولس استخدام مفردات ذات رنة قتاليّة. ذلك ان بين التوجه الرسولي، في أورشليم وفي روما، أوجه شبه عديدة؛ فعلى الوثنيين المسيحيّين الرومانيين الاعتراف بمكانة اليهود المسيحيين، تمامًا كما يترتب على اليهود المسيحيين في أورشليم أن يعترفوا بدعوة الوثنيين المسيحيّين وبطريقة حياتهم. وهكذا يتوجّه بولس إلى "**القديسين**" في روما (١:٧)، آملاً أن يفهم "**قديسو**" أورشليم ما يدعو إليه ويقبلوه.

كما ان بولس كان يأمل ان "**يأخذ قسطاً من الراحة**" في روما؛ ويجب ان تُفهم عبارته في معناها القوي؛ إذ انّ إرادة الله هي التي تقود رسالته، خاصّة وأنّه يأتي إلى مسيحيي روما "**بتمام بركة المسيح**" (آ٢٩). فالمسيح يرافق بولس في رحلته، وبالمسيح سيبلّغ الخيرات إلى الرومانيّين عند قدومه (راجع أيضًا ١:١١-١٢، ١٣ج).

إرشادات ختامية ومجدلة (١:١٦ -٢٧)

اعتبر بعض المفسّرين أن ١:١٦-٢٣ لا تتعلّق بالفصول الخمسة عشرة السابقة؛ ورأوا فيها بطاقة أرسلها بولس أساسًا إلى أهل أفسس، أو ملحقًا للرسالة إلى الرومانيّين بعد ان يكون قد أرسلها إلى مسيحيي أفسس. وبراهينهم على ذلك هي التالية:

أ- تبدو لهجة ١٦:١٧-٢٠ قاسية وغريبة في اعقاب ما كتبه بولس في ١٢:١-١٥:٣٣، وبخاصّة في ١٥:٣٠-٣٣؛
ب- هناك تقارب بين روم ١٦ والرسائل الراعوية (١ طيم ٣:١١)، نظرًا لصفة "خادم، شمّاس" المعطاة لفَيْبة؛
ج- الآيتان ١و٢ من روم ١٦ تجعل منها رسالة إرشادات؛
د- يبدو من غير المعقول أن يكون لبولس هذا العدد الكبير من المعارف، في مكان لم تطأه قدماه من قبل؛ فذلك يعني علاقات متعدّدة بين آسيا واليونان وروما.

لكن الذين يعتقدون بأن ١٦:١-٢٣ تشكّل جزءًا أصليًا من الرسالة إلى الرومانيّين، سيجدون جوابًا على كلّ من هذه البراهين اعلاه:

أ- إنّ تبدّل اللجهة في الرسائل البولسيّة ليس نادرًا (راجع ١ قور ١٦:٢٠ب، ٢٢أ). فقبل أن نجعل من الآيات ١٧-٢٠ موضع شك، علينا أن نتساءل عن البُعد الذي تحمله.
ب- لا تكفي كلمة واحدة للتأكيد على التقارب مع الرسائل الراعوية.
ج- إذا كانت روم ١٦ رسالة مستقلّة، فلماذا غاب عنها العنوان؟
د- في زمن كانت التنقلات بين روما والولايات الرومانية متواترة (ولنا في برسقة واقيلا مثالاً جيّدًا على ذلك (راجع رسل ١٨:١، ١٨-١٩؛ ١ قور ١٦:١٩؛ روم ١٦:٣). ليس بوسع احد الادّعاء بان بولس لم يعرف الذين يسمّيهم في روم ١٦ او لم يسمع بهم، وهم حاضرون في روما حين كتب بولس الرسالة من قورنتس. ثم ان العديد من الأسماء المذكورة هي أسماء رومانيّة تماماً، وما اختلاف أصول الأشخاص المذكورين سوى مؤشر إلى كونهم من وسط الامبراطوريّة.

وأخيرًا، ليس لدينا أي مخطوط للرسالة يفصل روم ١٦ عن باقي الرسالة؛ ولكي نفصله عنها، يجب أن تكون لدينا أسباب مقنعة، وهذا ما ينقصنا.

وردت في بعض المخطوطات بعد آ٢٣، جملة "**لتكن نعمة ربنا يسوع المسيح معكم أجمعين! آمين**"؛ وتبدو هذه البركة مجرّد إضافة لا تعود إلى أصل النص، ومع ذلك اعتُبرت بمثابة الآية ٢٤.

ويختلف مكان المجدلة (١٦:٢٥-٢٧) بحسب المخطوطات. فلقد وردت في بعض المخطوطات الرصينة في نهاية الرسالة؛ ووردت في غيرها من المخطوطات ذات الاصل المشترك بعد الفصل ١٤، بينما نجدها في إحدى البرديات، بعد الفصل ١٥؛ وتتكرّر هذه

المجدلة في عدد قليل من المخطوطات، في نهاية الفصل ١٤، ثم في خاتمة الرسالة. أما لدى مرقيون –وهو هرطوقي من القرن الثاني– وفي إحدى المخطوطات الهامة من القرن الخامس المنسوبة إلى مار افرام، كما في غيرها من المخطوطات غير الجديرة بالثقة، فان المجدلة غائبة تمامًا. ويعود التغير في موضع هذه المجدلة، دون أدنى شك، إلى ان بعض النّساخ اعتبروا أن لا أهمّية تذكر للفصلين ١٥–١٦، مقارنة مع باقي الرسالة. وهناك قربى في أسلوب المجدلة ومضمونها مع الرسالتين إلى الأفسسيين والقولسيّين، ولكن لا اثر لبعضٍ من مفرداتها في الرسائل البولسيّة الكبرى؛ لذلك شكك بعض المفسّرين في اصالتها.

ويتألّف الفصل ١٦ من ثلاثة مقاطع: رسالة توصية(آ١–٢)، وتحيات (آ٣–٢٣)، ومجدلة (آ٢٥–٢٧).

رسالة توصية (١٦: ١-٢)

١٦ ١ أُوْصيكُم بأُختِنا فَيْبَةَ شَمَّاسةِ كَنيسةِ قَنْخَرِيَّة،
٢ فتقبَّلوها في الرَّبِّ قَبولا جَديرًا بالقِدِّيسين، وأَسعِفوها في كُلِّ ما تَحْتاجُ إِلَيه مِنكم، فقَد حَمَت كَثيرًا مِنَ الإِخوَة وحَمَتْني أَنا أَيضًا.

يوصي بولس بتقبّل فيبة. ربما كان على هذه المرأة ان تحمل الرسالة إلى مسيحيّي روما. وبولس، حين كان يملي هذه الرسالة، كان مقيما في قورنتس، وفيبة تنتمي إلى الجماعة المسيحيّة في كنخرية، المرفأ القريب من قورنتس. ورسائل بولس لا تعطي أيّة معلومات أخرى عن هذه المرأة، لكن المفردات الثلاث التي وصفت بها تلفت النظر. فهي "**أختنا**"، "**شمّاسة**" كنيسة كنخريّة... وقد "**حمت كثيرًا من الإخوة**" وبولس منهم. كان المسيحيّون يطلقون على أنفسهم إسم أخ وأخت، لاقتناعهم بأنّهم مرتبطون بعضهم مع بعض في عائلة واحدة. لكن ما يُدهش هما الصفتان الثانية والثالثة. فعبارة "شماس" (diaconos) يمكن أن تأخذ معنى واسعًا (١ قور ٣:٥؛ ٢ قور ٣:٦؛ ٦:٤) أو معنى محدّدًا، كما هو الحال في الكلام عن نساء، في ١ طيم ٣:١١، وربما عن رجال ايضا في فل١:١. وإذا كان من النافل ان نطرح هنا مسألة وظيفة فيبة، لكن من المؤكّد أن هذه المرأة كانت تحتلّ مكانة خاصّة في كنيسة كنخريّة. إنها "حامية" ("حَمَت كثيرا من الاخوة")، تلك عبارة قانونيّة تعني الوكيل، والكفيل، وحامي الغرباء. الذين لا صفة قانونيّة لهم؛ لكن لم يكن بوسع المرأة، في القانون الروماني، أن تلعب دورًا كهذا، وإذا كانت فيبة عاجزة عن ملء هذه الوظيفة بالمعنى الحصري، فقد تدخّلت بلا شكّ، وبشكل فعّال، لصالح بولس ودفاعا عن مسيحيّين آخرين، نظرًا لمكانتها وتأثيرها، وهي في ذلك تستحقّ الاعتراف بالجميل.

تحيّات وتحذير (١٦: ٣-٢٣)

٣ سَلِّموا على برِسْقَةَ وأَقيلا مُعاونَيَّ في المسيح يسوع،
٤ فقَد عَرَّضا لِلضَّرْب عُنْقَيهما لِيُنقِذا حَياتي. ولَستُ أَنا وَحْدي عارِفًا لَهماُ الجَميل، بل
كَنائِسُ الوَثنيِّينَ كُلُّها لَتعرِفُه أَيضًا.
٥ وسَلِّموا أَيضًا على الكَنيسةِ الَّتي تَجتَمِعُ في بَيتِهما. سَلِّموا على حَبيبي أَبَينِطُس باكورَةِ آسِيَةَ
لِلمسيح.
٦ سَلِّموا على مَريَمَ الَّتي أَجهَدَت نَفْسَها كَثيرًا في سَبيلِكم.
٧ سَلِّموا على أَندَرونيقُس ويُونِياس نَسيبَيَّ وصاحِبيَّ في الأَسْر، فهُما مِن كِبارِ الرُّسُل، بل
كانا قَبْلي في المسيح.
٨ سَلِّموا على أَمْبِلياطُس حَبيبي في الرَّبّ.
٩ سَلِّموا على أُرْبَانُس مُعاوننا في المسيح، وعلى حَبيبي أَسْطاخُس.
١٠ سلِّموا على أَبَلِّسَ صاحِبَ الفَضيلَةِ المُجَرَّبةِ في المسيح. سلِّموا على حَشَمِ أَرسْطُوبولُس.
١١ سَلِّموا على نَسيبي هيرودِيون. سَلِّموا على حَشَمِ نَرْجِسُّسَ الَّذينَ في الرَّبّ.
١٢ سَلِّموا على طَروفانِيَةَ وطَروفوسَةَ اللَّتين أَجهَدَتا نَفْسَيهما في الرَّبّ. سَلِّموا على بَرْسيسَ
المَحبوبَةِ الَّتي أَجهَدَت نَفْسَها كَثيرًا في الرَّبّ.
١٣ سَلِّموا على رُوفُسَ المُختارِ في الرَّبّ، وعلى أُمِّه وهيَ أُمِّي أَيضًا.
١٤ سَلِّموا على آسِنْقِريطُس وفَلاغُون وهَرْمِس وبَطْروباس وهَرْماس وعلى الإِخوَةِ الَّذينَ معَهم.
١٥ سَلِّموا على فيلولوغُس ويُولِية ونيروس وأُختِه وأُولُمْباس وعلى جَميعِ القِدِّيسينَ الَّذينَ معَهم.
١٦ لِيُسَلِّمْ بَعضُكُم على بَعْضٍ بقُبْلَةٍ مُقَدَّسة. كَنائِسُ المسيح كُلُّها تُسَلِّمُ علَيكم.
١٧ وأَحُثُّكم، أَيُّها الإِخوَة، أَنْ تَحذَروا الَّذينَ يُثيرونَ الشِّقاق ويُسَبِّبونَ العَثَراتِ بِخُروجِهِم
على التَّعْليم الَّذي أَخَذتُموه. أَعرِضوا عَنهم،
١٨ فإِنَّ أَمثالَ أُولئِكَ لا يَعمَلونَ لِلمَسيحِ رَبِّنا، بل لِبُطونِهِم، ويَخدَعونَ القُلوبَ السَّليمَةَ
بِمَعْسول كَلامِهم وتَملُّقِهم.
١٩ فقَد عَرَفَ جَميعُ النَّاسِ طاعَتَكم. وإِنِّي أَفرَحُ بِكُم، ولكِنِّي أُريدُ أَن تَكونوا في الخَيرِ
حاذِقين ومِنَ الشَّرِّ سالِمين.
٢٠ إِنَّ إِلهَ السَّلامِ سَيَسحَقُ الشَيطانَ وَشيكًا تَحتَ أَقدامِكُم. علَيكم نِعمَةُ رَبِّنا يسوع!
٢١ يُسَلِّمُ علَيكُم مُعاوِني طيموتاوُس وأَنسبائي لُوقِيوس وياسون وصُوصِيبَطْرُس.
٢٢ وأَنا طَرطِيوس، كاتِبَ هذِه الرِّسالَة، أُسَلِّمُ علَيكم في الرَّبّ.
٢٣ يُسَلِّمُ علَيكُم غايُوس مُضيفي ومُضيفُ الكَنيسةِ كُلِّها. ويُسَلِّمُ علَيكُم أَرَسْطُس، خازِنُ
المَدينَة، وأَخونا قُوارْطُس(٢٤...).

يتألّف المقطع من ثلاث وحدات. في الوحدة الأولى يسمّي بولس من يرسل إليهم التحيّات (آ٣–١٥)، ويمكن أن نلحِق بهذه الوحدة آ١٦ التي يشكّل تعبيرها العامّ انتقالاً إلى الوحدة الأخيرة (آ٢١–٢٣)، حيث نقرأ أسماء الذين كانوا برفقة بولس لدى كتابته الرسالة. أما الوحدة الوسط (آ١٧–٢٠)، فتفاجئ القارئ من حيث أن بولس يحذّر مسيحيّي روما، بقسوة، من زارعي الشقاق في الجماعة، مع أنّه لم يأتِ على ذكرهم أبدًا في الرسالة.

تعطينا هذه الآيات معلومات عن تعدديّة مسيحيي روما، وعن معارف بولس الكثيرة فيها. يذكر الرسول ٢٨ إسمًا من الرومانيّين الذين يتوجّه إليهم (آ٣–١٦)، تسعة عشر رجلاً، وتسع نساء، بينهن إثنتان يُشار إليهما من خلال روابط القرابة: "أم روفس" (آ١٣) و"أخت نيروس" (آ١٥). أما النساء المذكورات بأسمائهنّ، فهنّ برسقة (وقد ذكرها قبل زوجها)، ومريم (آ٦)؛ ويونيا (ورد إسمها مذكّرًا في ترجمتنا "يونياس"، وهذا خطأ: آ٧)؛ وطروفانيّة وطرفوسة وبرسيس (آ١٢)، ويولية (آ١٥).

أرسطوبولس ونرجسّس (آ ١–١١)، شخصان مهمّان، ولكنهما لا يُذكران إلاّ بسبب اهل بيتهما. فربّما كانا غير مسيحيّين، وإلا لكان بولس وجّه إليهما التحيّة. ويُكثر بولس الرسول من التحيّات الخاصّة، إذ بسبب الوضع الدقيق (لم يؤسّس بولس هذه الجماعة؛ والنزاعات عديدة فيها؛ والمسيحيّون من أصل وثني يتجاهلون إسرائيل ويزدرون من هم من أصل يهودي)، يُظهر بولس أن علاقاته في روما متعدّدة ومتنوعّة الأصول. ومن وراء الذين يدعوهم باسمهم بوضوح، هناك مسيحيّون آخرون، لهم مكان في الجماعة، على مثال الذين يجتمعون في بيت برسقة وأقيلا.

تسمح الأسماء المذكورة، إضافة إلى بعض الصفات التي ترافقها، بتصنيف بعض المجموعات، ولو كان هؤلاء الأشخاص غير معروفين من مصادر أخرى، باستثناء برسقة وأقيلا (رسل ١٨:٢، ٢٦؛ ١ قور ١٦:١٩؛ ٢ طيم ٤:١٩؟). فنجد بينهم أناسًا من أصل يوناني (أبينطس آ٥؛ أبلّس آ١٠؛ طروفانية وطرفوسة وبرسيس آ١٢)؛ أو لاتيني (يونيا آ٧؛ أمبلياطس آ٨؛ أُربانس آ٩؛ روفس آ١٣؛ يوليةٍ آ١٥)؛ فيما هناك آخرون، سواء نظرًا إلى اسمائهم أو إلى الروابط مع بولس، ("نسيبيّ" وهي عبارة تدلّ في ٩:٣ على الروابط التي لا زالت قائمة بين بولس وأبناء إسرائيل)، ينتمون إلى العالم اليهودي: برسقة وأقيلا (إسمان لاتينيّان آ٣)؛ أندرونيكس ويونيا (آ٧)؛ مريم (آ٦)؛ هيروديون (آ١١). وقد يكون هؤلاء اليهود أشخاصًا وصلوا حديثًا إلى روما؛ أو ايضا أشخاصًا عادوا إلى المدينة بعد أن طُردوا منها سنة ٤١، على عهد قلوديوس، كما هي الحال مع برسقة واقيلا.

كما كان بعض المسيحيّين أحرارًا على مثال برسقة وأقيلا، فيما قد تدلّ أسماء بعض الآخرين على انهم عبيد، أو عبيد محرَّرون مثل أَمبلياطس (آ٨)؛ أُربانس وأسطاخُس (آ٩)؛ طروفانية وبرسيس (آ١٢)؛ اسنقريطس وفلاغون وهرمس وبطروباس وهرماس (آ١٤)؛ ونيروس وفيلولوغس (آ١٥).

هناك أربعة نساء، هن مريم (آ٦) وطروفانية وطروفوسة وبرسيس (آ١٢) اللواتي "**أجهدن أنفسهن**" في عمل البشارة (يستعمل بولس فعل "أجهد ذاته" للدلالة على التعب الذي يرافق عمل التبشير، أو على مهمة قيادة الجماعة: راجع ١ قور ٤:١٢؛ ١٥:١٠؛ ١٦:١٦؛ غل ٤:١١؛ فل ٢:١٦؛ ١ تس ٥:١٢). اما برسقة وأقيلا وأُربانس (آ٩)، فيوصفون بأنّهم "**معاونو**" الرسول في المسيح يسوع أو في المسيح. فيما يحصل أندرونيقس ويونياس، وهما رفيقا الرسول في الأسر، على لقب "**رسول**" (آ٧). ذلك ان جميع هؤلاء شاركوا فعليا في نشر الإنجيل، بالاتّحاد مع عمل بولس نفسه.

لقد كان أقيلا وبرسقة يمتلكان بيتًا يتّسع لاستقبال جماعة مسيحيّة (آ٥أ؛ راجع أيضًا ١ قور ١٦:١٩): "الكنيسة التي تجتمع في بيتهما"، وتختلف هذه العبارة عن تلك المستعملة في حالة غايوس "**مضيفي ومضيف الكنيسة**" في قورنتس (آ١٦:٢٣). ولنا في هذه العبارات دليل على أول التنظيمات الجماعيّة. فقد استوحى مسيحيّو روما من تنظيم المجامع اليهوديّة، إذ كانت الجماعات المختلفة تجتمع لدى مسيحيين يملكون بيتاً يمكن أن يتّسع لكل أعضائها. وتشير آ١٦أ إلى عادة ليتورجيّة، فيما نجد في آ١٦ب تعبيرًا عن وحدة مختلف الجماعات.

ونجد في آ١٧-٢٠ عدداً من العبارات التي وردت في الرسالة: "العثرة" (٩:٣٣؛ ١١:٩؛ ١٤:١٣)؛ "التعليم" (٦:١٧)؛ "الطاعة" (١:٥؛ ٥:١٩؛ إلخ...)؛ "خير / شر" (١٢:١٧- ١٣:٧)؛ إلخ... يوجّه بولس من خلالها تحذيرا إلى الذين لا يستمعون إلى نداءاته (١٤:١؛ ١٤:١٣، ٢٠؛ ١٥:١-٣)، مفضّلين حكمهم الخاص؛ وهو يحذّر ممّن يثيرون الشقاق في الجماعة.

يسمّي بولس ثمانية أشخاص كانوا معه في قورنتس أثناء كتابة الرسالة (آ٢١-٢٣). نعرف بعضهم من خلال نصوص أخرى: طيموثاوس (رسل ١٦:١-٣؛ ١ قور ٤:١٧؛ فل ٢:١٩-٢٤؛ إلخ...)؛ ولوقيوس (رسل ١٣:١)؛ وياسون (رسل ١٧:٥)؛ اما غايوس (١ قور ١:١٤)، فهو شخص غني يمتلك بيتًا يتّسع لاستقبال كنيسة قورنتس برمتها؛ وأرسطس (رسل ١٩:٢٢) يضطلع بمسؤوليّة مهمّة على مستوى المدينة. أما

صوصيبطرس وقوارطس، فلا يُذكران في العهد الجديد خارج هذه الآية؛ ويبقى عادة اسم السكرتير –وهو يسجّل الرسالة المملاة– في الظل وراء مؤلف الرسالة؛ لذا فان ذكره (طرطيوس) في آ٢٣ يُعتبر استثناء.

المجدلة (١٦: ٢٥-٢٧)

٢٥ **لِذاكَ القادِرِ على أَن يُثَبِّتَكم بحَسَبِ البِشارَةِ الَّتي أُعلِنُها مُنادِيًا بِيَسوعَ المسيح وَفْقًا لِسرٍّ كُشِفَ وقد ظَلَّ مَكْتومًا مَدى الأَزَل**
٢٦ **فأُعلِنَ الآنَ بكُتُبِ الأَنبياء وَفقًا لأَمرِ اللهِ الأَزَلي وبُلِّغَ إِلى جَميعِ الأُمَمِ الوَثَنِيَّة لِهدايَتِها إِلى طاعةِ الإِيمان.**
٢٧ **للهِ الحَكيمِ وَحدَه لَهُ المَجْدُ بِيَسوعَ المسيح أَبَدَ الدُّهور. آمين .**

للمجدلة طابع ليتورجي ولا شك؛ وبالرغم من مفرداتها وتعابيرها الخاصة، فهي تبقى في خطّ الرسالة إلى الرومانيّين. انها تتوجّه إلى الله، وتدعو إلى التأمّل بالسرّ الذي "**كُشِف وقد ظلّ مكتومًا مدى الأزل... وبُلِّغ إلى جميع الأمم الوثنيّة**". فالمجدلة هي صدى لروم ١: ٢-٤ التي جذّرت الإنجيل في الوعود التي قُطعت للأنبياء قديمًا. والسر الذي "**كُشف الآن**" هو يسوع المسيح الذي يكشف عن إرادة الله الخلاصيّة الشاملة. ويأتي الأسلوب الرؤيوي في هذه الآيات ليردّد من جديد مبادرة الله المجانية تجاه البشر.

الرسالة الى الغلاطيين

المقدمة

نادرًا ما كانت صحة الرسالة إلى الغلاطيين موضع شك؛ اما اليوم، فقد اصبحت صحّتها ثابتة.

إلى من وُجِّهت الرسالة؟

كان يُطلق إسم غلاطية، أيام بولس، على منطقتين. وكانت التسمية التقليدية تطلق على الأرض الممتدّة من جنوب البحر الأسود حتى وسط آسيا الصغرى، حول أنقرة الحاليّة (عاصمة تركيا). وتتألّف هذه المنطقة من مجموعة هضاب تربّى فيها الماشية. ولقد أخذت إسمها في القرن الثالث ق.م. عندما اجتاح الغاليون المنطقة، وبعد معارك عنيفة مع الآسيويّين، استقرّوا في بيتينيا وبنطس وقبدوقيا، حيث أسّسوا مملكتهم. وبعد فترة طويلة، (سنة ٢٥ ق.م.)، استحدث القيصر أوغسطس إقليم غلاطية الروماني الذي فاقت مساحته مساحة غلاطية الأساسيّة، فضمّ المناطق الجنوبيّة مثل بسيذيا وليقونيا وبمفيلية التي زارها بولس وبرنابا أثناء رحلتهم الرسوليّة الأولى (رسل ١٣:١٣، ١٤، ٢٥).

تتوجّه الرسالة إلى الغلاطيّين، بالمعنى القديم للكلمة، أي إلى سكّان مملكة غلاطية القديمة. ففي كلّ نقوش القرن الأول، مع استثناء وحيد، يأتي اسم غلاطية دائمًا بهذا المعنى المحدّد، وهو المعنى الذي يقصده بولس، فلو أراد التوجّه إلى سكّان الإقليم، لما سمّاهم "الغلاطيّين" (٣:١).

وثيقة ثمينة عن خدمة بولس الرسوليّة

لا تعطِي الرسائل البولسيّة سوى القليل من الدلائل الفعليّة حول رحلات الرسول، فكان من كتّاب سيرة بولس ان اعتادوا، مخطئين، أن يرتكزوا بشكل أساسي، في كتاباتهم لرحلاته، على سفر أعمال الرسل. لكن، منذ عشرين أو ثلاثين سنة، طرأ تغيّر حيث بدأت كتابة تاريخ التبشير البولسي، انطلاقا بالاكثر من المعلومات التي يعطيها بولس نفسه. فمن هذه الوجهة، اتخذت الرسالة إلى الغلاطيّين أهميّة كبرى. فما عدا

الإشارات حول تأسيس كنائس غلاطية (٤:٨-١٦)، يشير بولس أو يلمّح إلى العديد من الأحداث المهمّة المرتبطة بإعلان الإنجيل (غل ١:١٥-٢:١٤). فبحسب الرسول (غل ١:٢)، تكون أربعة عشر عامًا قد مضت بين زيارته الأولى وزيارته الثانية إلى أورشليم. ويضع المؤرّخون اليوم، في هذه الفترة، الرحلة الرسوليّة الأولى التي قام بها بولس برفقة برنابا (رسل ١٣:٤-١٤:٢٠)، إضافة إلى ما يسمى عادة "الرحلة الرسوليّة الثانية" التي قادت بولس إلى سوريّا وقيليقية وغلاطية، ومن ثمّ إلى مقدونية وآخائية (رسل ١٥:٣٦-٢٢:١٨أ). ولوقا، لاعتبارات تتعلّق بمفهومه عن وحدة الكنيسة، وضع في كتاب أعمال الرسل الرحلة الرسوليّة الثانية بعد مجمع أورشليم، في حين أنها، فعليًّا، تمّت **قبله**. وفي الواقع، عندما صعد بولس إلى أورشليم، سنة ٥١، بعد أن تلقّى وحيًا، كان قد سبق ان بشّر غلاطية، بما أنه يذكر نزاعاته مع الإخوة الكذّابين "**لتبقى لكم حقيقة البشارة**" (٥:٢). فبولس إذًا لم يحافظ على حقيقة الإنجيل بهدف إعلانها في غلاطية، بل حافظ على الحقيقة التي كان قد أعلنها بينهم (**أنظر الإطار: محطات من التاريخ البولسي**).

وان قبول الإنجيل بين الوثنيّين وممارسات بولس الرسوليّة أدّت إلى انعقاد مجمع أورشليم في حدود نهاية سنة ٥١. فالمجمع كان إذًا نتيجة للرحلة الرسوليّة الثانية التي تمّت بين سنة ٤٧ وسنة ٥١، وليس سببها. وكان بولس قد زار خلالها منطقة غلاطية حيث أسّس كنائس عدّة، حين كانت مأهولة بوثنيّين يتبعون الديانة التقليديّة؛ وليس لدينا دليل على وجود جماعات يهوديّة في هذه المنطقة حوالي السنة ٥٠، ومع ذلك، فمن الصعوبة ان نتصوّر غياب بعض الجاليات، وفي المدن خاصّة، نظرًا لما تحتويه الرسالة إلى الغلاطيين من اشارات إلى تقاليد من العهد القديم، ونظرًا إلى ازدهار الوجود اليهودي في آسيا الصغرى في ذلك الزمن.

مناسبة الرسالة وهدفها

لا تتوجّه الرسالة إلى كنيسة خاصّة، بل إلى كنائس غلاطية (٢:١): وهي مجموعة جماعات صغيرة تنتمي إلى بيئة ثقافية واحدة، من دون ان تجمعها عاصمة تفرض عليها سلطتها. وفي حوالي سنة ٥٤-٥٥، وقبل ان يكتب الرسالة، مرّ الرسول، أقلّه مرّتين، في هذه المنطقة (١٤:٤). يعطي بولس، في غل ٤:٨-١٦، بعض الدلائل حول تبشيره المنطقة أثناء مرضٍ ألمّ به؛ ويومها، وجد الغلاطيّون في ضعف الرسول تجلياً لقوّة الله: فقبلوه قبولهم "**ملاكَ الله.. للمسيح يسوع**" (١٤:٤). و تستَشفّ الرقة التي اتصف بها هذا اللقاء الأول من خلال كتابة بولس نفسه (١٧:٤-٢٠): لكن، منذ وقت التأسيس، حوالي سنة ٤٨، يبدو أن الوضع قد تغيّر كثيرا.

محطات من التاريخ البولسي

في تقديمنا تسلسل خدمة بولس الرسوليّة، كنا نتبع، حتى سنة ١٩٧٠، الإطار الذي عرضه سفر أعمال الرسل

- قبل مجمع أورشليم، رحلة مع برنابا إلى جنوب آسيا الصغرى
- مجمع أورشليم
- رحلة ثانية قادت بولس، دون برنابا، إلى اليونان
- رحلة ثالثة تخلّلتها إقامة طويلة في أفسس
- وأخيرًا، عودة إلى أورشليم حيث أوقف الرسول، ثمّ سُجن في قيصريّة.

لم يكن هذا الإطار العملي خاليا من صعوبات جمة؛ فهو يقضي أولاً بأن تتمّ رحلتان طويلتان يصعب تحقيقهما في غضون بضع سنوات (٥٠ -٥٨). وان التنقّلات كانت شائعة بالتأكيد في ذلك الوقت، ولكنّها كانت تستغرق وقتا طويلا؛ ومن جهة اخرى، قد يتساءل الباحث عمّا فعل بولس خلال الأربعة عشرة سنة التي ذكرها في غل ٢١:١؛ وأخيرًا، وهنا يكمن البرهان الحاسم، يضع كتاب أعمال الرسل تأسيس جماعات غلاطية، مع الرحلة إلى اليونان، بعد مجمع أورشليم، وهذا لا يتوافق مع أقوال بولس نفسه.

بالحقيقة، كتب بولس إلى الغلاطيّين في ٥:٢ ب قائلا: "**لتبقى لكم حقيقة البشارة**"، وليس "**لاحتفظ لكم بحقيقة البشارة**". فرهان مجمع أورشليم، بحسب بولس، كان المحافظة على "**حقيقة البشارة**" (الدخول إلى الإيمان المسيحي دون الختان وممارسات الشريعة)، كما أُعلنت عند الغلاطيّين، وليس الاحتفاظ بحقيقة الإنجيل، كي يعلنها للغلاطيّين فيما بعد، وبشكل صحيح. ثم اننا نفهم اليوم، بشكل أفضل، أن رواية أعمال الرسل، انما هي تعبير عن تامل لوقا حول الكنيسة وطبيعتها ووحدتها؛ لذلك، فهو يعتبر أن كل شيء يجب أن ينطلق من أورشليم، وبالأخص التبشير. فمن وجهة نظر لوقا، لا يمكن لبولس أن يتمّم رسالة شاملة، منفتحة بشكل واسع على الوثنيّين، إلا إذا وافقت كنيسة أورشليم على ذلك.

لقد اخذ أعداء الرسول في المنطقة -وهم غرباء عن هذه الجماعات- يُسمعون صوتهم، وكان بعض المهتدين من الوثنيّة على أهبة لسماع صفّارات الإنذار. ذلك ان بولس أعلن إنجيلاً -بتنزيلات!- دون أن يفرض الختان على المسيحيّين الآتين من الوثنيّة؛

وهذه الحريّة التي رفع بولس لواءَها، قد تفتح باب التسيّب. ويمكننا إعادة بناء مواقف خصوم بولس من خلال بعض الإشارات المتفرّقة الواردة في الرسالة: لم يكن هؤلاء الخصوم ينفون موت المسيح وقيامته، لكن الختانة، بالنسبة لهم، تبقى ضروريّة للخلاص (٢:٣-٤؛ ٥:٢ي؛ ٦:١٢)، فكانوا يفرضونها بالإضافة إلى أعمال الشريعة (٣:١-٥)، وإن لم يكونوا هم انفسهم من المحافظين على كل وصايا الشريعة (٦:١٣). لقد كانوا يعلقون أهميّة كبيرة على الايام والشهور والفصول والسنوات (٤:١٠)، كما على أركان العالم (٤:٣، ٩). وهكذا هدّدوا بالخطر الحريّة المسيحيّة التي عرفها الغلاطيّون بنعمة مجانية من الروح؛ لقد أرادوا "**أن يبدّلوا بشارة المسيح**" (١:٧) المتميّزة بالمجانيّة (١:٦)، وبشموليّة الدعوة (٣:٨، ٢٦-٢٨). فمن الواضح إذاً أن كلامهم ومواقفهم هي بشريّة، وبحسب الجسد (٣:١-٥؛ ٤:٢١-٣١).

لقد أعلن خصوم بولس أنّهم ينتمون إلى يعقوب (٢:٩، ١٢)، ويضعون سلطة أورشليم في المكانة الأولى (٢:١-١٤؛ ٤:٢٥ب-٢٦). اما بشارتهم، فترافقها مصلحة خاصة، وبذلك يتحاشون الاضطهاد (٥:١١)، ويأملون الحصول على مكافأة الغلاطيّين (٤:١٧). وبهدف إيقاع الغلاطيين في شباكهم، خلطوا الشريعة اليهوديّة مع ممارسات الديانة التقليديّة، هذه الممارسات التي يرفضها بولس بعبارة "أركان العالم" (٤: ٣،٩). بوسعنا أن نسمّي هؤلاء الخصوم "متهوّدين"، لأنّهم، بغض النظر عن الطرق التي يتبعونها، يضعون الختانة أولاً؛ ويتعلّقون بطابع الشريعة الطقسي، ويغضّون النظر عن المتطلّبات الأخلاقيّة التي تفرضها الشريعة. وبالرغم من قرارت مجمع أورشليم، فلقد حاول هؤلاء "الإخوة الكذّابون" أن يفرضوا الشريعة على الوثنيين المسيحيّين، وهكذا عرّضوا للشك موضوع الخلاص بصليب المسيح يسوع وحده.

أسلوب الرسالة وتصميمها

تتضمّن الرسالة غالبا عبارات فظّة. فبولس يكتب باندفاع: انه يجادل بقوة، لأنّ الخطر، في نظره، كبير؛ فهو يخاف أن يكون قد تعب باطلاً، ويتساءل هل سيتلاشى كل التعب المبذول في إعلان الإنجيل. ونراه يستثير حمية خصومه، ويتحدّى الغلاطيّين المتردّدين، من خلال طروحاته بشأن الشريعة (٣:١٩-٢٢)، حيث يشير إلى أوجه الشبه بينها وبين أركان العالم (٤:٣، ٨-١٠)؛ انه يعتبر خصومه غير أمناء للشريعة التي يفرضونها (٦:١٣). وفي دفاعه عن الحريّة المسيحيّة، يستخدم بولس أساليب أدبيّة متنوّعة.

هوذا يسرد روايات من سيرته الذاتيّة (١:١٣-٢:١٤؛ ٤:١٣-٢٠)، ويناقش ويبرهن إنطلاقًا من الكتب، مستخدما طرق التفسير التقليديّة (٣:٦-١٦؛ ٤:٢١-٣١)؛ انه يحث الغلاطيّين (٥:١-٦:١٠) انطلاقًا من لوائح معروفة للفضائل والرذائل (٥:١٩ب- ٢١أ، ٢٢ب-٢٣أ). ويعترف المفسرون اليوم ان الرسالة إلى الغلاطيّين كتبت استناداً إلى قواعد فنّ الخطابة القديم، ومع ذلك، لا ينبغي الاعتماد كليا على هذا الطرح، نظرًا لتعدّديّة البنى الانشائية في الرسالة.

يستند بولس إلى عدد من الاحداث الأكيدة التي لا جدال فيها: فهو يؤكّد استقلاليّته تجاه "**من كانوا رسلاً قبله**"، ويُذكّر بنتائج مجمع أورشليم، ويتطرق إلى الخلاف في أنطاكيا (١:١٣-٢:١٤). وهكذا يتضح بالتالي أنّ المسائل المطروحة في غلاطية ليست جديدة: فلقد أُعطيت لها حلول، وها هو يذكّر بها، لكي "**تبقى حقيقة البشارة**" في غلاطية ايضا. وانطلاقا من هدف بولس، يمكن الاعتراف بالتصميم التالي للرسالة.

تتألّف الرسالة من ثلاثة أقسام مترابطة بشكل وثيق: في القسم الأول، نجد معطيات من سيرة بولس الذاتيّة، وهي تؤكد على التلاقي بين مشاكل غلاطية والحلول التي خرجت بها الكنيسة كلها، في مثل هذه النزاعات (١:١١-٢:١٤). أما القسم الثاني، فيطرح بشكل مباشر المبادئ التي يطالها النزاع الغلاطي وهي: عطيّة الروح، سلالة ابراهيم، الحريّة المسيحيّة (٣:١-٤:٣١). ويتناول القسم الثالث الحياة بقوّة الروح (٥:١-٦:١٠). تُفتتح الرسالة بتحية (١:١-٥)، وتحذير موجّه إلى الغلاطيّين، على خلفيّة الأحداث الجارية في كنائسهم (١:٦-١٠)، وتُختتم بخلاصة لفكر بولس، كتبها بيده (٦:١١-١٨). اما المقطع ٢:١٥-٢١، فهو مهمّ جداً: ذلك ان وظيفته تقوم في الربط بين الأحداث التي ذكّر بها بولس، وبين الوضع في غلاطية كما أُوجز في ٣:١-٥. فبولس يعطي المبادئ، لكنّه يدعو الغلاطيّين دائمًا إلى أن يمتحنوا طرحه في ضوء خبرتهم الخاصّة.

لاهوت الرسالة

يلخّص بولس فكرته بوضوح تام في ٦:١٤: "**معاذ الله أن أفتخر إلا بصليب ربّنا يسوع المسيح! فيه أصبح العالم مصلوبًا عندي، وأصبحت أنا مصلوبًا عند العالم**". ذلك ان خصوم بولس يرفضون الاعتراف بأن الخلاص يتم فقط بصليب المسيح وقيامته؛ وهوذا الرسول يعلن من جديد إيمانه بكرازة الصليب، مصدر عطيّة الروح. انه يبرز إيمان

يسوع المسيح، بصفته تعبيراً عن أمانته للآب وثقته به، في قلب المحنة. فبالصليب، جعـــل يسوع من المسيحيّين خليقة جديدة؛ فلقد انتُزِعوا من كل استبداد، ليعرفوا الحريّة الـــتي تمنحها الحياة بالروح. فلا تجوز البتة، بعد الآنَ، اية حركـــة تـــوحي بانهـــا عـــودة إلى زمن الاستعباد.

تمهيد

رسـول وإنجيـل موضـوع جـدل (١:١ -١٠)

تعرض بداية الرسالة ألقاب بولس (من **رسول** إلى **خــادم**)؛ وتحتــوي علــى مقطعين: يتضمن الأول عنوان الرسالة، وهو يلخّص الإنجيل البولسي (آ١–٥)؛ ويــشدِّد الثاني على ان الإنجيل واحد، ويعبّر عن الشروط التي تدلّل على أمانــة بــولس لمهمّتــه (آ٦–١٠).

رسول بحق (١:١ -٥)

١ ١ **مِن بولُس وهو رَسول، لا مِن قِبَلِ النَّاس ولا بِمَشيئَةِ إِنسان، بل بِمَشيئَةِ يــسوعَ المــسيح**
والله الآبِ الّذي أَقامَه مِن بَينِ الأَموات،
٢ **ومِن جَميعِ الإخوَةِ الَّذينَ مَعي، إِلى كَنائِسِ غَلاطِية.**
٣ **علَيكُمُ النِّعمَةُ والسَّلامُ مِن لَدُنِ اللهِ أَبينا والرَّبِّ يسوعَ المسيح**
٤ **الَّذي جادَ بنَفْسه مِن أَجْلِ خَطايانا لِيُنقِذَنا مِن دُنْيا الشَّرِّ هذه عَمَلاً بِمَشيئَةِ إِلهِنا وأَبينا،**
٥ **له المَجدُ أَبَدَ الدُّهور.** آمين.

يرفض بولس مسبقًا الدعوى التي يقيمها ضدّه بعض المعادين، مدَّعين أنّه لــيس رسولاً حقيقيًّا: بما أنّه، على خلاف الرسل الآخرين، لم يرافق الرب يسوع منذ معموذية يوحنا حتى ارتفاعه (رسل ١:٢٢). ويكون بولس، في نظرهم، قد أقيم في المهمّة الرسوليّة من قِبَل الناس، وليس من قِبَل يسوع القائم من الموت. لكن الحقيقة هي أنّ دعوة بولس الرسوليّة لا تعود، بأي شكل من الأشكال، إلى إنسان، ومصدرها ليس قرارًا بشريًّا ("لا من قبَل الناس"). وقد جُعِل في عداد الرسل، خارجًا عن كل تدخّل بشري ("لا بمــشيئة إنسان"). ويعود بولس إلى أقوال مشابهة لدى الحديث عن هبة البــشارة في آ١١–١٢. فدعوته هي عمل يسوع المسيح والله الآب. ويدعم بولس هــذا التأكيــد في آ١٥–١٦، بإشارته إلى "**الكشف**" (الوحي) الذي حصل عليه: فانّ لقاءه بالمسيح القائم من الموت، جعله في عداد الرسل. ويعبّر بولس، ببضع آيات، عن جوهر الكرازة المسيحيّة: كل شيء

يرتكز على مبادرة من "**الله الآب الذي أقام يسوع من بين الأموات**" (آ١ج)، والذي أراد أن ينتشل المسيح كلّ الخطأة من **دنيا الشر**"؛ اما الرب يسوع، فهو الذي أسلم ذاته، بارادته، لتحرير الخطأة (راجع عبارة مشابهة في ٢: ٢٠).

للتعبير عن عمل الله تجاه يسوع، وعن التحرير الذي حقّقه الرب يسوع المسيح، يستعمل بولس أفعالاً باليونانية تبرز الوحدة في الأحداث. اما كرامة يسوع، فهي واضحة تمامًا. ذلك ان يسوع الذي أُعتُرِف به مسيحاً، يتلقى لقب "الرب" (**كيريوس**)، وهو الاسم الذي يعطيه العهد القديم اليوناني لله. وتبرز شراكة يسوع مع الله من حيث أن حرفًا واحدًا يقدّم الإثنين، هو حرف العطف "و": "**بمشيئة يسوع والله الآب**" (آ١)؛ "**من لدن الله أبينا والرب يسوع المسيح**" (آ٣).

ويطيب لبولس ان يشرك معه "إخوة" آخرين في توجيه رسالة طبعتها شخصيّته. فعلى خلاف رسائله الأخرى، يبعث بولس بهذه الرسالة إلى عدّة جماعات منتشرة على الأراضي الغلاطيّة. وبوسعنا أن نتصوّر بأن بولس أسّس، في هذه المنطقة التي تخلو من مدنٍ كبرى، عدّة جماعات صغيرة طالها تبشير الخصوم.

"دنيا الشر" (١: ٤) تعيدنا إلى الازدواجيّة المعروفة في الأدب اليهودي الذي يقيم تضاداً بين هذا العالم والعالم الآتي. لكن المسيحيين يعتبرون هذا العداء غير سليم، لأن البشارة افتتحت هذا العالم الذي حوّله عمل يسوع القائم من الموت؛ ومع ذلك، فان الشيطان لا يزال يمارس فيه انعكاسات قوّته الشرّيرة. وهكذا فان "دنيا الشر" هو العالم الذي يبقى بعيداً عن قوّة يسوع القائم.

وحدة الإنجيل وأمانة الرسول (١: ٦-١٠)

٦ عَجبتُ لِسُرعَةِ ارتِدادِكم هذا عنِ الَّذي دَعاكم بنعمَةِ المسيح إلى بشارةٍ أُخرى:
٧ وما هي بشارةٌ أُخرى، بل هُناكَ قَومٌ يُلقُونَ البَلبَلةَ بَينَكم، وبُغيَتُهم أَن يُبَدِّلوا بشارةَ المسيح.
٨ فلَو بَشَّرْناكم نَحنُ أَو بَشَّرَكم مَلاكٌ مِنَ السَّماءِ بخِلافِ ما بَشَّرْناكم به، فلْيَكُنْ مَحْرومًا!
٩ قُلْنا لَكم قَبْلاً وأَقولُه اليَومَ أيضًا: إن بَشَّرَكم أَحَدٌ بخِلافِ ما تَلَقَّيتُموه، فلْيَكُنْ مَحْرومًا!
١٠ أَفتُراني الآنَ أَستَعطِفُ النَّاسَ أَمِ اللهَ؟ هل أَتوَخَّى رِضا النَّاس؟ لَو كُنتُ إِلى اليَومِ أَتوَخَّى
رِضا النَّاس، لَما كُنتُ عَبْدًا لِلمسيح.

الغلاطيّون هم ضحايا، بإرادتهم، للخطّة التي أعدها خصوم بولس؛ فلقد **ارتدوا سريعا عن الذي دعاهم بنعمة المسيح**". بالامكان أن تدلّ هذه العبارة على الله الآب؛ لكن يبدو أن بولس، في هذا السياق الجدالي، يجد ذاته معنيا. فالرسول جسّم فرضيّة إنجيل آخر؛ ففيما كان الغلاطيون أمام تجربة الاعتراف بإنجيل آخر، لا يرى بولس سوى أشخاص "**يلقون البلبلة وبغيتهم أن يبدّلوا بشارة المسيح**".

يلعن الرسول، مرّتين، من يدّعي إعلان بشارة تخالف ما يعلنه هو ومعاونوه، وتتعارض مع ما تلقّاه الغلاطيّون. وفي آ٨-٩، يتحاشى بولس بعناية استعمال كلمة "إنجيل" في كلامه عن الذين يعادونه، لأن لا "إنجيل" إلا إنجيل المسيح؛ لذا لا يمكنه بالتالي أن يعطي إسم "إنجيل" لأية كرازة أخرى. ويستعمل بولس مرّتين الفعل عينه (evangelizomai أُعلن بشرى سارّة)، لكنّه لا يستعمل الإسم: "**لو بشّرناكم نحن أو بشّركم ملاك من السماء بخلاف ما بشّرناكم به فليكن محرومًا**"... "**إن بشّركم أحد بخلاف ما تلقّيمتوه، فليكن محرومًا**". وان استعمال عبارة التحريم لا يخلو من الفكاهة. فالعبارة تشير، بالحقيقة، إلى العقاب الذي يُطبّق على من يُطرد من شعب الله، بسبب سيرته التي لا تتماشى مع شريعة موسى؛ أما بولس فيطبّقه، بطريقة معاكِسة، على من يريدون وضع شريعة موسى كمصدر أول للخلاص، على حساب الإنجيل. فالتحريم هو استنزال لعنة الله على من يقترف الخطأ؛ واستبعاده عن الجماعة هو الشرط لتستطيع هذه الجماعة من جديد ان تعيش حياة قداسة.

وتشكّل لعنات بولس تحذيرات حقيقيّة، وهي تستهدف أشخاصًا مختلفين. ففي آ٨ يقوم بولس بفرضيّة خياليّة: لا يُفترض أن يعلن بولس أو ملاك من السماء غير ما سبق ان أعلنه لهم هو نفسه. بالمقابل، تكرر آ٩ تحذيرًا حقيقيًا ليسٍ من مستوى الخيال او الافتراض الذي لا يستند على واقع؛ فالغلاطيّون مهدّدون فعلاً. والخصوم لا يعلنون بشارة مغايرة لما تلقاه الغلاطيون حسب، بل ان طرحهم كله بشريّ، في حين أن همّ بولس الوحيد هو أن يرضي الله، وبذلك يكون عبدًا للمسيح. أما الخصوم، فانهم يسعون لإرضاء الناس، وبالتالي لا يخدمون المسيح.

القسم الاول

بعض معطيات السيرة الذاتية
مشاكل غلاطية وحلولها المسبقة
(١١:١ -٢:١٤)
مقطع يقيم ربطاً
(١٥:٢ -٢١)

لا يبدأ بولس الدفاع عن إنجيله ببرهان مجرَّد، بل يظهر **حقيقته**، مبيّنًا مصدره، والعمل الرسولي الذي نتج عنه، والموافقة التي أعطاها لبشارته "**من هم رسل قبله**". فبولس، والحق يقال، يكتب رسالته إلى الغلاطيّين بعد حوالي عشرين سنة من العمل الرسولي، ولم تنقصه النزاعات في داخل الكنيسة الناشئة. ولحلّ النزاع الغلاطي، يستعمل بولس بحذق بعض الأحداث التي جرت على مدى السنوات العشرين الماضية، إذ ان المشاكل التي تواجهها كنائس غلاطية، تجد حلولها في إعادة قراءة التاريخ. ففي عرضه للأحداث التي يستند إليها، اضطر بولس إلى ان يكون مقتضبا وواضحًا ومقنعًا تجاه من يشكّكون بإنجيله (٣:١-٥)، أو بنوعيّة بشارته، فنراه يختار بدقة الأحداث التي ينقلها. فلقد انتظمت رواية الاحداث المختارة في النص، من ١١:١ إلى ٢:١٤، في ثلاثة مقاطع: يتناول الأول استقلاليّة بولس منذ دعوته بصفته مضطهداً للكنيسة حتى مجمع أورشليم (١١:١-٢٤)؛ وينكبّ الثاني على مجمع أورشليم (٢:١-١٠)؛ ويورد الثالث الخلاف في أنطاكيا (٢:١١-١٤). ويقدِم بولس على قراءة الاحداث التي يسردها، في ضوء الخبرة التي اكتسبها طيلة عمله الرسولي، وبأسلوب جدلي، لعلمه بأن **حقيقة الانجيل** مهددة. والنص ٢:١٥-٢١ يربط بين ١:١١-٢، ١٤ و ٣-٤.

دعوة بولس واستقلاليّته في رسالته (١:١١ -٢٤)

١١ **فأُعلِمُكم، أَيُّها الإِخوَة، بِأَنَّ البِشارةَ الَّتي بَشَّرتُ بِها لَيسَت على سُنَّةِ البَشَر،**

١٢ لأنّي ما تَلقَّيتُها ولا أَخَذتُها عن إنسان، بل بوَحْيٍ مِن يسوعَ المسيح.
١٣ فقَد سَمِعتُم بسيرَتي الماضِيَةِ في مِلَّةِ اليَهود إِذ كُنتُ أَضطَهِدُ كَنيسةَ اللهِ غايةَ الاِضْطِهاد
وأُحاوِلُ تَدميرَها
١٤ وأَتقدَّمُ في مِلَّةِ اليَهودِ كثيرًا مِن أَتْرابي مِن بَني قَومي فأَفوقُهم حَمِيَّةً على سُنَنِ آبائي
١٥ ولكِن لَمَّا حَسُنَ لدى اللهِ الَّذي أَفرَدَني، مُذ كُنتُ في بَطْنِ أُمِّي، ودَعاني بنِعمَتِه،
١٦ أَن يَكشِفَ لِيَ ابنَه لأُبَشِّرَ به بَينَ الوَثَنِيِّين، لم أَستَشِرِ اللَّحْمَ والدَّم
١٧ ولا صَعِدتُ إِلى أُورَشَليم قاصِدًا مَن هم رُسُلٌ قَبْلي، بل ذَهَبتُ مِن ساعَتي إِلى دِيارِ
العَرَب، ثُمَّ عُدتُ إِلى دِمَشْق.
١٨ وبَعدَ ثَلاثِ سَنَوات صَعِدتُ إِلى أُورَشَليمَ لِلتَّعرُّفِ إِلى صَخْر، فأَقَمتُ عِندَه خَمْسَةَ عَشَرَ يَومًا،
١٩ ولم أَرَ غَيرَه مِنَ الرُّسُلِ سِوى يَعقوبَ أَخي الرَّبّ.
٢٠ وما أَكتُبُه إِلَيكم فاللهُ شاهِدٌ على أَنِّي لا أَكذِبُ فيه.
٢١ ثُمَّ أَتَيتُ بِلادَ سورِيَةَ وقيليقِيَة،
٢٢ ولَم أَكُنْ مَعروفَ الوَجهِ في كَنائِسِ المَسيحِ الَّتي في اليَهودِيَّة،
٢٣ بل سَمِعوا فقَط أَنِ "الَّذي كانَ يَضطَهِدُنا بِالأَمْسِ صارَ اليَومَ يُبشِّرُ بِالإِيمانِ الَّذي كانَ
يَحاوِلُ بالأَمْسِ تَدْميرَه"،
٢٤ فأَخَذوا يُمجِّدونَ اللّهَ في أَمْري.

يتألّف المقطع من ثلاث وحدات (آ١١-١٢؛ آ١٣-١٤؛ آ١٥-٢٤). تنسب آ١مهمّة بولس، بصفته رسولاً، إلى يسوع المسيح والله الآب. ومن بعد التحذيرات الواردة في آ٦-١٠، تشكّل الآيتان ١١-١٢ جسرًا يربط بين المقطع السابق وبين خبر مجيء بولس إلى الإيمان المسيحي، وتعرضان، بطريقة احتفاليّة، مصدر إنجيل بولس ونوعيّته: "أعلمكم". وهوذا بولس يعرض طروحاته، مؤكّدًا أن إنجيله ليس من صنع البشر. ولكنه، قبل أن يذكّر بأنّه تلقّى الإنجيل "**بوحي من يسوع المسيح**"، يحدِّد ماهيّة الإنجيل، وعلى ثلاث دفعات، وبأسلوب النفي "ليس" (kata). تدلّ اول "ليس" على طبيعة الإنجيل، على عكس "الانجيل" الذي يعلنه الخصوم ويفضحه بولس، إذ ان انجيله ليس "**على سنّة البشر**" (من صنع البشر)؛ كما ان هدفه لا يتطابق مع رغبات الانسان، بل يعطيه توجّها جديدا. وبعد ان يوضح بولس ما هو الإنجيل، يذكّر كيف تلقاه؛ يشدِّد كثيرا على أن معرفته للانجيل، ليس لأي إنسان أي دور فيها. فبولس لم يتلقَّه لدى (para) أي معلّم، ولم **يعلّمه** إياه أي بشر، لأن الإنجيل، وقبل ان يلتقي بولس بالمسيحيّين الذين سبقوه، كُشف له "**بوحي (كشف) من يسوع المسيح**". وهكذا، فإن الطريقة التي من خلالها عرف بولس الإنجيل، تعطيه مكانًا فريدًا في المسيحيّة الأولى.

إنجيل

لا يعطي بولس، أولاً، لهذه العبارة مضمونًا، أو تقاليد، مهما كانت ذات قيمة، بل قناعة: المسيح هو مبدأ الخلاص الوحيد، وهو الذي تمّم الشريعة ووضع حدًّا لزمن كان مؤقتا. لقد فهم بولس، عند لقائه المسيح القائم من الموت على طريق دمشق، بأن صفحة من تاريخ البشريّة قد طويت، وبأن تاريخ إسرائيل قد وصل إلى نقطة النهاية.

يستعمل بولس عبارة "الانجيل" دون أي تحديد، لأنّه "حقيقة" معروفة بالنسبة إلى قرّائه، هي في القلب من الحياة المسيحيّة (روم ١:١٦؛ ١٠:١٦؛ غل ١:٦، ١١؛ إلخ...)؛ لكنه في بعض الأحيان، يضيف: "إنجيل الله" (روم ١:١؛ ١٥:١٦؛ إلخ...)، أو "إنجيل المسيح" (غل ١:٧؛ إلخ...). وبذلك يؤكد أن الإنجيل يعلِن عمل الله الذي يحقّقه المسيح في تاريخنا. فالمسيح هو، في الوقت ذاته، مؤلّف الإنجيل وموضوعه. وقد يتّفق ايضا أن يتكلّم بولس عن "إنجيلنا" أو "إنجيلي" (روم ٢:١٦؛ إلخ...)، بصفته في خدمة الإنجيل: انه يجعل منه إنجيله وعلّة وجوده.

وبولس، بعد أن ذكّر بطبيعة الإنجيل الذي يبشّر به وبمصدره، يعود فيذكّر قراءه الذين لا بدّ انهم لمسوا التحوّل الذي طرأ في حياته. وتُبرز آ١٣ و آ٢٣، وبشكل واضح، ماضي شاول المضطهِد، بازاء إيمانه الحالي. وان هذا التحوّل الذي شهده الجميع يدعم إدّعاءات بولس بأنه رسول، وهو أساس استقلاليّته الكاملة في التبشير. كان بولس، قبل اعتناقه الإيمان المسيحي، يريد أن يدمّر كنيسة المسيح حيثما وجِدت، وكان يُظهر غيرة كبيرة على تقاليد آبائه (آ١٣-١٤). إلا أنّ هذين العملين يبدوان غير مترابطين، على المستوى اللغويّ، إذ إن الاول هو نتيجة الثاني. ذلك ان التعلّق بتقاليد الآباء قاد بولس إلى اضطهاد الكنيسة بهدف تدميرها. كما ان عبارة "**سنن آبائي**" تضع بولس في خطّ التيّارات الفرّيسية، حين كانوا يسعون الى تجميع سنن المعلّمين بهدف عيش متطلّبات الشريعة بحمية والتزام. وكان الفرّيسيّون يعتقدون أن جذور التقليد الشفهي كامنة في وحي الله لموسى على جبل سيناء، كما ورد في شروحات لهذا القول التقليدي: "تلقّى موسى تعليمًا (تورا) في سيناء". والتورا التي تلقّاها موسى في سيناء تتضمّن الشريعة وكل التقاليد التي نشأت فيما بعد.

في آ١٥-٢٤، يبيّن بولس استقلاليّته الكاملة تجاه من سبقوه في العمل الرسولي، لأن نشاطه يرتبط، بشكل كامل، بلقائه يسوع القائم. ويعبّر بولس عن خبرته مع القائم من الموت من خلال طرح زمني، بحيث يخدم الطرح الاكبر مسألة استقلاليّة الرسول.

فالرسالة تتعلّق كليًّا بمبادرة من الله. ذلك ان كشف الإبن في فكر الرسول، يرتبط بالرسالة، بشكل وثيق، بحيث انه، في شرحه مصدر رسالته التي تمّمها بين الوثنيّين، يربط هذه الرسالة بالحدث الذي عاشه على طريق دمشق. وبولس، لكي يباشر رسالته، لم يتلقَّ أي دفع بشري ("من ساعتي" آ١٦ج):

"عندما حُسن لدى الله الذي أفردني مذ كنت في بطن أمي، ودعاني بنعمته، أن يكشف لي إبنه لأبشّر به بين الوثنيّين، لم أستشر اللحم والدم..."

يصف بولس دعوته على مثال دعوة كبار خدّام تاريخ إسرائيل: انه يمزج معطيات مأخوذة من أش ٤٩: ١، ومن إر ١: ٥. فأشعيا الثاني وإرميا خادمان وَكَلَ إليهما الله خدمة كانت لها انعكاسات عند الأمم. وبولس يضع نفسه في الخطّ المكمّل لهذه الوجوه النبويّة. انه، في روايته دعوته، يستعمل عبارة أدبيّة قريبة من أشعيا الثاني، لكن فكرها تذكّر بإرميا. فهو يأخذ مكانه في تاريخ الخلاص؛ وبتعلّقه بيسوع المسيح، يحقق الصورة التي رسمها اشعيا عن خادم يهوه الذي استبق خدمة الأمم. فلقد **أفرد** الله، طيلة حياة إسرائيل، أناسًا أعدّهم لمهمّة فريدة، ومنهم الأنبياء والرائون. ويدلّ فعل "دعا" على تدخّل حاسم لله "الذي يدعو خاصّته، في التالي، وبشكل نهائي، بيسوع المسيح الذي هو ملء النعمة" (ك.ل. شميدت). وتشدّد العبارتان "**حسُن لدى**" و"**النعمة**" على لطف الله تجاه بولس، كما كان الحال مع الأنبياء من قبلُ. وهكذا اصبح بولس شاهدا لنعمة الله الذي وَكَلَ إليه مهمّة؛ واصبحت رسالته محدّدة وواضحة: "**لأبشّر به بين الوثنيّين**".

• "**رؤيا، وحي، كشف**". إن بولس، كي يقول كيف تعرّف إلى الإنجيل، ويصف خبرته للقائم من الموت، يستعمل كلمة "كشْف، وحي"، كما يستعمل فعل "أوحى". فمن خلال "الرؤيا – الوحي" يعرف الإنسان "ما لم تَره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على فكر بشر، ما أعدّه الله للذين يحبّونه" (١ قور٢: ٩). وهكذا، من خلال "رؤيا" طريق دمشق، عرف بولس مجد القائم من الموت.

لم يستشرِ بولس، حتى ولا اولئك الذين كانوا رسلاً قبله، لأن انطلاقه الى الرسالة لا يتعلّق بهم. ولتأكيد استقلاليّته التي ترتبط بمن أقامه رسولاً، ينظّم بولس مختلف مراحل مسيرته بواسطة الظرف "**ثمّ**" الذي يكرّره باليونانيّة ثلاث مرات (راجع ١: ١٨، ٢١؛ ٢: ١): رحلة إلى بلاد العرب، وعودة إلى دمشق للإقامة فيها ثلاث سنوات؛ "**ثمّ**" صعود إلى أورشليم للقاء بطرس ("صخر" في النص اليوناني)، واقامة لمدّة خمسة عشر يومًا؛ "**ثمّ**" رحلة إلى سوريا وقيليقية؛ ومن "**ثمّ**" صعود جديد إلى أورشليم بعد أربع عشرة سنة على نهاية إقامته في دمشق ولقائه الأول ببطرس.

لم تكن غاية بولس من لقاء بطرس في أورشليم تلقّي تعليمات حول السلوكية الرسوليّة، بل كانت تعبيرًا عن الوحدة، في قلب التأكيد على الاستقلالية (راجع ٢:٧-٨). وبولس، خلال صعوده الأول إلى أورشليم، التقى بيعقوب أيضًا الذي كان، نظرًا لقرابته مع الرب، "الرجل القوي" في جماعة أورشليم، والأول بين "**الأعمدة**" (٢:٩)؛ وقد لعب دورًا مهمًا في مجمع أورشليم.

- "**اهتداء أم دعوة؟**" في سياق وصف حدث دمشق، هناك توتر بين هاتين العبارتين. ذلك ان في كلمة "اهتداء" تشديداً على التحوّل الذي طرأ على بولس الذي انتقل من مضطهِد للكنيسة إلى شخص محوري في إعلان الإنجيل. لكن بولس لم يعتبر قط خدمته للإنجيل تعبيرًا عن اهتداء، بل رأى فيها دعوة تضعه في خط الأنبياء.

يعقوب، هل هو رسول؟

أمام نص ليس على درجة كبيرة من الوضوح، حسمت الترجمة (دار المشرق) الأمر واعتبرت يعقوب بين الرسل. وبالحقيقة، وبحسب النص اليوناني، يمكن ليعقوب أن يكون من عداد الرسل أو لا يكون:

- "**لم أرَ غيره من الرسل، بل يعقوب فقط أخا الرب**".
- **لم أر غيره من الرسل سوى يعقوب أخي الرب**".

في العهد الجديد، ثلاث أشخاص يحملون إسم يعقوب:

- **ابن زيدى** (يعقوب الكبير) أخو يوحنا: هو أحد الإثني عشر (متى ١٠:٢)، وقد رافق يسوع في رسالته مع اخيه. قتله الملك هيرودس أغريبا سنة ٤٣ (رسل ١٢:١-٢).
- **ابن حلفى** (متى ١٠:٣)، وقد ورد إسمه في لائحة الرسل الإثني عشر.
- **أخو الرب** (يعقوب الصغير) (متى ١٣:٥٥): لم يرد إسمه كرسول بين الإثني عشر. وقد رأى القائم من الموت، بحسب بولس (١ قور ١٥:٧)، ولعب دورًا مهمًّا في كنيسة أورشليم. وبحسب المؤرّخ فلافيوس يوسيفس، حكم المجمع عليه بالرجم حوالي السنة ٦٢.

اعتبر البعض أحيانًا أن ابن حلفى هو يعقوب أخو الرب، فجُعل من ثم رسولاً مميزاً بين الإثني عشر. لكن هذا التقارب غير ضروري لإضفاء صفة الرسول على أخي الرب، لأن لكلمة "رسول"، في الرسائل البولسيّة، معنى أوسع مما في الأناجيل أو في سفر أعمال الرسل. فقد حصل برنابا وطيموتاوس وسلوانس وسوستينس وغيرهم على لقب رسول. ويحدد سفر أعمال الرسل "الرسول"، بشكل دقيق، على أنه من "**صَحِب الرب يسوع منذ أن عمّد يوحنا إلى يوم رُفع**" (رسل ١:٢١-٢٢)، ويقتصر هذا السفر على إعطاء لقب "رسول" للإثني عشر، ولا يُعطيه سوى مرّتين لبولس وبرنابا، ولكن بمعنى المُرسَل، وليس بالمعنى القوي الذي يتخذه في مجمل الكتاب.

خلال الأربع عشرة سنة التي مرّت بين الصعود الأول إلى أورشليم والصعود الثاني إليها، قام بولس برحلته الأولى مع برنابا (على ما نقرأ في رسل ١٣-١٤)، ولكنه قام ايضا بما يُسمّى الرحلة الرسوليّة الثانية التي قادته، للمرّة الأولى، إلى غلاطية الشماليّة ومقدونية وأخائية. ولقد تمت هذه الرحلة الثانية قبل مجمع أورشليم (**راجع الإطار: محطات من التاريخ البولسي**). لا يذكر بولس خط رحلته بالكامل لأنه، في سرده المكثف للأحداث، كان عليه أن يكون مقتضبا وواضحًا؛ فما يهمّه في طرحه، هو التأكيد بأنه لم يكن في أورشليم، ولذلك ذكر سوريا وقيليقية حيث كان يتواجد عندما ترك أورشليم. ولما كان الغلاطيّون على علم بهذه الرحلة الرسوليّة، فلا داعي بالتالي للإطالة في هذه النقطة. اما كنائس المسيح التي في اليهوديّة، فهي الجماعات المسيحيّة العديدة التي نشأت في ولاية اليهوديّة الرومانيّة (اليهوديّة والسامرة والجليل). وهذه الجماعات لم تلتقِ قط ببولس، مما يخفّف من قوة الاضطهادات واتساعها التي لمّح إليها.

شراكة واستقلالية: مجمع أورشليم (٢: ١-١٠)

٢ ١ ثُمَّ إنِّي بَعدَ أَربَعَ عَشْرَةَ سَنة صَعِدتُ ثانيةً إلى أُورَشَليمَ مع بَرنابا واستَصحَبتُ طيطُسَ أَيضًا،
٢ وكانَ صُعودي إلَيها بوَحْيٍ . وعَرَضتُ علَيهِم البشارةَ الَّتي أُعلِنُها بَينَ الوَثنيِّين، وعَرَضتُها
في اجتِماعٍ خاصٍّ على الأَعْيان، مَخافَةَ أَن أَسْعى أَو أَكونَ قد سَعَيتُ عَبَثًا.
٣ على أَنَّ رَفيقي طيطُسَ نَفْسَه، وهو يُونانيّ، لم يُلزَمِ الخِتان،
٤ وإلاَّ لَكانَ ذَلك بسَبَبِ الإخوَةِ الكَذَّابينَ المُتَطَفِّلينَ الَّذينَ دَسُّوا أَنفُسَهم بَيننا لِيتَجَسَّسوا
حُرِّيَّتَنا الَّتي نَحنُ علَيها في المسيحِ يسوع فيَستَعبِدونا،
٥ ولَم نُذعِنْ لَهم خاضِعينَ ولَو حِيناً لِتَبْقى لَكم حَقيقةُ البشارة.
٦ أَمَّا الأَعْيان ــ ولا يَهُمُّني ما كانَ شَأنُهم: إنَّ اللهَ لا يُحابي أَحدًا مِنَ النَّاس ــ فإنَّ الأَعْيانَ
لم يَفرِضوا عَليَّ شَيئًا آخَر،
٧ بل رَأَوا أَنَّه عُهِدَ إلَيَّ في تَبْشيرِ القُلْفِ كما عُهِدَ إلى بُطرُسَ في تَبْشيرِ المَختونين،
٨ لأَنَّ الَّذي أَيَّدَ بُطرُسَ لِلرِّسالَةِ لَدى المَختونين أَيَّدَني أَنا أَيضاً في أَمرِ الوَثنيِّين.
٩ ولَمَّا عَرَفَ يَعْقوبُ وصَخْرٌ ويُوحنَّا، وهُم يُحسَبونَ أَعمِدَةَ الكَنيسة، ما وُهِبَ لي مِن نِعمَة،
مَدُّوا إلَيَّ وإلى بَرنابا يُمنى المُشاركة، فنَذهَبُ نَحنُ إلى الوَثنيِّين وهم إلى المَختونين،
١٠ بِشَرطٍ واحِدٍ وهو أَن نَتذَكَّرَ الفُقَراء، وهذا ما اجتَهَدتُ أَن أَقومَ به.

أظهر المقطع السابق استقلاليّة بولس التامّة تجاه الرسل الذين سبقـــوه، لذلك فإن فرادة دخوله على الخدمة الرسوليّة ومصدر رسالته الإلهي، لا يمكن بالتالي أن يكونا موضع شك. فلقد حان الوقت الآن، في مسار طروحاته، ان يعترف "الأعمدة" بالإنجيل البولسي (آ٩).

وكما في المقطع السابق، يستعمل بولس الأفعال في صيغة الماضي الحاضر التي، وإن دلّت على امر محدد، ولكنه حاسم. فلقد حصلت سلسلة من الأحداث ذات القيمة الفريدة؛ وبالرغم من ان بولس لا يرغب في الافتخار بالرؤى (٢ قور ١٢: ١، ٧)، فإن إحداها كانت سبب مجيئه إلى أورشليم: فزيارته إلى أورشليم كانت تلبية للـــدعوة الـــتي وجّهها إليه الله بالذات. هذا التذكير بمبرر لصعوده، يُضفي قيمة للّقاء وللقرارات المتّخذة؛ كما ان في حضور تيطس في هذا الحدث دلالة رمزيّة كبرى، لأن هذا المرافق هو من أصل وثني؛ فهو، بصفته غير مختون، يُظهِر، أكثر من كل كلام، إمكانيّة قبول الإيمان بالمسيح، بغضّ النظر عن الختانة. ذلك ان عبر التبشير الذي تمّ في مقدونية وأخائية (راجع رســـل ١٥: ٤١-١٨: ٢٢أ) قُطعت مرحلة هامة: بدأ المسيحيّون من أصل وثني يحتلون مكانًـــا واسعًا في قلب الجماعة المسيحيّة، وصار من الضروري اعتراف الكنيسة الأم بكرامتـــهم. وهكذا مع تيطس، اصبح على المحك الإيمان بالمسيح القائم، بـــصفته المـــصدر الوحيـــد للخلاص؛ و لم يكن ممكنا ان يخضع بولس لضغوط "**الإخوة الكذّابين**"، هؤلاء "**المتطفّلين**" الذين يشكّكون بالحريّة التي تمت بالمسيح.

وهنا يبدو بولس حازمًا للغاية. "فالإخوة الكذابون" لا يرفضون، بالطبع، الإيمان بالمسيح، لكنهم مقتنعون تمامًا أنه لا بدّ من الختانة للخلاص؛ لأن الإيمان، وإن كان شرطًا ضروريًا للحصول على الخلاص، فإنه يبقى غير كافٍ. فوقاية الختانة، برايهم، تبقى وقاية إضافية مفيدة! ويأتي موقف بولس ليقلب كل أفكارهم؛ ويغتنم الفرصة ليجسّم ما يريد بعض المرتدّين في غلاطية أن يفعلوه: الانتقال من الحريّة المسيحيّة إلى استعباد الـــشريعة (الختانة، قواعد الطعام، احترام الأيّام). لا ينتظر بولس ان يحصل مفهومه للإنجيل علـــى التأييد او الرفض، لأنه واثق من انه يبشّر بحقيقة الإنجيل؛ ومع ذلك فـــإنّ لقـــاءه "**مـــع الأعمدة**" يبقى أمرًا في بالغ الأهميّة، لأن حقيقة الإنجيل تفترض الشركة بين الكنائس.

في أورشليم، وجد بولس نفسه أمام مجموعتين: عَرَض أولاً مفهومه للإنجيل أمام جميع المسيحيّين (آ٢أ)، وغالبيّتهم من أصل يهودي، لكن لم يؤخذ أي قرار على أثر هذا اللقاء. وفي لقاء ثانٍ له مع مجموعة اصغر (آ٢ب، ٦)، ضمّت يعقوب وبطرس ويوحنـــا، وهم "**الأعمدة**"، ولكنه لم يقتصر عليهم؛ إذ ربما يكون قد انضمّ إليهم الرسل والشيوخ

الذين تأسّست الجماعة حولهم. ففي قلب هذه المجموعة الصغيرة أُعتُرِفَ "**بحقيقة إنجيل**" بولس، بالرغم من الضغوطات التي مارسها الإخوة الكذابون، اولئك "**المتطفّلون الذين دسّوا أنفسهم ليتجسّسوا**" (آ٤أ). فمن مجموعة هؤلاء الأشخاص ذوي المكانة في الكنيسة، يبرز يعقوب وبطرس ويوحنا ابن زبدى –وقد ذُكر مرارًا مع بطرس في بداية كتاب الأعمال. فلقد لعب هؤلاء الثلاثة دورًا مهمًا في كنيسة أورشليم خلال هذه السنوات: احتلّ يعقوب المكان الأول في هذه الجماعة، في حين مارس بطرس رسالة "جوال" قادته إلى أنطاكيا خاصة (راجع ٢:١١-١٤). وحين يشير بولس، بطريقة شبه تهكّمية، إلى "أعيان" أورشليم، فلأن خصومه الغلاطيّين يفاخرون بانتسابهم إليهم، وفي طليعتهم يعقوب.

وهكذا كانت مبادرة الشراكة المرتبطة بخدمة الفقراء بمثابة الختم على وحدة الكنائس والاعتراف بحقيقة إنجيل بولس. وكان على بولس ان ينجز، بدقّة متناهية، عملية جمع التبرّعات التي قُرّرت في هذه المناسبة، وكانت لمساندة فقراء أورشليم. وبالفعل، كثيرًا ما يعود بولس في رسائله إلى هذا العمل (راجع ١قور ١٦:١-٤؛ ٢ قور ٨-٩؛ روم ١٥:٢٥-٢٨)، مُبديًا اهتمامه به، ومكرِّسًا له الجهد والوقت اللازمين. وعكف بولس على تتميم هذه الخدمة دون مساعدة برنابا –وقد بدا في هذا الصعود إلى أورشليم بصفته مرافقاً للرسول لا غير؛ ومع انه كان لبولس وبرنابا، في الواقع، مفهوم واحد للرسالة، ولكنّهما لم يكملا التبشير معًا. اما التبرّعات، فكانت معدّة لفقراء أورشليم؛ لقد كانت لهذا الفقر خلفيّة اقتصادية أكيدة، إذ تعرّضت أورشليم للمجاعة مرّات عديدة ، ولم يكن بوسع المسيحيين ان ينتظروا مساعدات من السلطات اليهوديّة. وان هؤلاء الفقراء يندرجون، بدورهم، في عداد "فقراء إسرائيل"، أي اولئك الرجال والنساء الذين يضعون ثقتهم كلّها بالله، منتظرين مجيء المسيح. فلقد استحقّ مسيحيّو أورشليم هذا اللقب، وبشكل متميز، لأنّهم كانوا في مقدمة الذين عرفوا، في يسوع، مسيح إسرائيل.

لقد أقرّ "مجمع" أورشليم طريقتين شرعيتين لعيش الإيمان المسيحي: عدم فرض العادات والطقوس اليهوديّة على الآتين من العالم الوثني، دون أن يُحكم على هذه العادات بالبطلان. لذا لا يمكننا الكلام عن "تقاسم حقول الرسالة" بالمعنى الحصري، لا سيما ونحن نرى بولس قد احتفظ، خلال رحلاته، بعلاقات مع اليهود (راجع١ قور ٩:٢٠؛ ٢ قور ١١:٢٤؛ روم ١١:١٤؛ إلخ...)، وكان همّه الأكبر "مستقبل إسرائيل". لكنّه كان يعي بأن رسالته تتوجّه أولاً إلى الوثنيّين، ولذا اجتهد كثيرا كي تعترف الجماعة المسيحيّة بمكانتهم.

صخر / بطرس

هناك بعض الترجمات (غـل ١٨:١؛ ٢:٩، ١٤) تضع "**بطرس**"، وهو الإسم اليوناني الشائع، مكان "**صخر**"، وهو الإسم السامي، فتوحّد بالتالي إسم هذا الرسول طيلة الفصلين الأول والثاني. وبالرغم من أن المخطوطات تعكس ذلك، فمما لا شكّ فيه هو أن الإسم الأصلي هو "صخر"، وهي التسمية المعتادة لبطرس في الرسائل البولسيّة. فباستثناء غل ٢:٧، ٨، يستعمل بولس دائمًا الإسم السامي "صخر" ليدل على "بطرس"، على عكس ما نجده في العهد الجديد برمته الذي يستخدم الإسم اليوناني "**بطرس**" (Petros). يفاجئنا هذا الخلط بين الاسمين صخر/بطرس في غل ٢، خاصة وأن مضمون آ٩ والآيتين ٧-٨ هو عينه: فهذه الآيات تعبّر عن اعتراف الرب بالرسالة الموكلة إلى بولس؛ وهي لا تختلف إلا على نقطة واحدة: بطرس هو الشخص الوحيد المذكور، في آ٧-٨، بين "**أعمدة**" أورشليم، في حين غاب يعقوب ويوحنا.

هاتان الآيتان ٧-٨ ترجعاننا إلى الحقبة التي كان فيها بطرس على رأسٍ جماعة أورشليم. ولشرح الازدواجيّة في اسمه، واعتبار الرسالة لدى المختونين وقفًا على بطرس وحده في آ٧-٨، يمكن الافتراض بأن بولس عاد إلى مصدر يكون قد تم بموجبه اتّفاق بينه وبين بطرس أثناء صعوده الأول إلى أورشليم (راجع ١٨:١)؛ ويحتمل ان يكون هذا الاتّفاق قد انتشر في الجماعات الناطقة باليونانيّة حيث كان صخر معروفًا باسم بطرس، حتى بلغ إلى كنائس غلاطية. فبولس، بإدخاله هذه المعلومة في قلب خبر مجمع أورشليم، فهو انما اراد إن يُبرز الشراكة الموجودة منذ وقت طويل بينه وبين بطرس. وهكذا أعطى مجمع أورشليم طابعًا رسميًّا للاتّفاق الذي عُقد أثناء الزيارة المذكورة في ١٨:١؛ واصبح الأمر، منذ الان فصاعدا، يتعلّق بشراكة بين كنائس تختلف اصولها الرسولية وممارساتها، وليس بمجرّد اتّفاق بين رسولين.

فكر واحد في خضم نزاع (٢: ١١-١٤)

١١ ولكِن، لَمَّا قَدِمَ صَخْرٌ إِلى أَنْطاكِية، قاوَمتُه وَجهًا لِوَجْهٍ لأَنَّه كانَ يَستَوجبُ اللَّوم:
١٢ ذلِكَ أَنَّه، قَبْلَ أَن يَقدَمَ قَومٌ مِن عِندِ يَعْقوب، كان يُؤاكِلُ الوَثنِيِّين. فلَمَّا قَدِموا أَخَذَ
يَتَوارى ويَتَنحَّى خوفًا مِن أَهْلِ الخِتان،
١٣ فجاراه سائِرُ اليَهودِ في رِيائِه، حتَّى إِنَّ بَرنابا انقادَ هو أَيضًا إِلى رِيائِهِم.

١٤ فلَمَّا رأَيتُ أَنَّهم لا يَسيرونَ سِيرةً قَويمة كما تَقْضي حَقيقة البشارة، قُلتُ لِصَخْرٍ أَمامَ جَميعِ الإِخوَة: "إِذا كُنتَ أَنتَ اليَهوديُّ تَعيشُ عيشَةَ الوثنيِّينَ لا عيشةَ اليَهود، فكَيفَ تُلزِمِ الوَثَنِيِّينَ أَن يَسيروا سيرةَ اليَهود؟".

اعترف مجمع أورشليم بحق الوثنيّين في الدخول في الجماعة المسيحيّة، دون انتسابهم إلى إسرائيل بالختانة وممارسة الشريعة. وكان تيطس رمزًا حيًا للحريّة التي تمت في المسيح. وبولس، في هذا المجمع، بلغ إلى الهدف الذي كان يشغله: ان يتم التأكيد على الحريّة المسيحيّة. فلقد اصبح من المعترف به أن بوسع الإنسان ان يصبح مسيحيًا دون الانتساب إلى إسرائيل. فالمسيحيون الوثنيون، مع كونهم غير مختونين، مسيحيون كاملو العضويّة. وإذا كانت الروابط مع إسرائيل لم تقطع، ولكن صار من المقبول، وبشكل علني، أن المسيح، بموته وقيامته، هو مصدر الخلاص الوحيد. وبحسب القراءة التي قامت بها الرسالة إلى الغلاطيّين، لم يصدر مجمع أورشليم أيّة قاعدة تخص المآكل؛ والحال، كان لهذه المسألة أهميّة أساسيّة، خاصّة عندما نعرف كم ان المحرّمات الغذائيّة كانت متجذرة في الفكر اليهودي، وكان لها دورها في ديمومة إسرائيل. وكان هذا النقاش قد اتخذ مكانًا واسعًا في كل المدن حيث وُجد مسيحيّون من أصول مختلفة: انه نقاش يمس وحدة المسيحيّة.

في الواقع، وفي المدينة الواحدة، كان هناك خطر في ان تنشأ جماعات تفصل بين الوثنيين المسيحيّين واليهود المسيحيّين، بحيث يحتفظ كل فريق بعاداته الغذائيّة وتكون له موائده الخاصة، وهذا ما يقطع الشراكة. وأخذ النقاش حول الموائد منحى شديد الأهميّة، خاصّة وأن الاحتفال بالافخارستيّا كان مرتبطًا بعشاء، كما يشهد بولس بذلك في ١ قور١١:١٧-٣٣. وبالرغم من قرارات مجمع أورشليم، كانت النزاعات متوقّعة، وكان بعض المسيحيّين من أصل يهودي يحاولون بالتأكيد ان يفرضوا فصل الموائد.

ما حدث في أنطاكيا، المدينة الثالثة في الامبراطوريّة، يكشف بشكل خاص عن أهميّة هذا النقاش على مستقبل المسيحيّة. ففي هذا الوسط حيث مزيج من الاقوام، كان يعيش اليهود المسيحيون مع الوثنيين المسيحيين. وبطرس الذي ذهب حتى النهاية في منطق الخلاص بيسوع المسيح وحده، مستنتجا ان الله يريد الوحدة، راح يشارك المسيحيّين من أصل وثني موائدهم، وبذلك عبّر عن الانسجام بين الجماعة. لقد كان إذًا على اتّفاق كلي مع بولس؛ لكن وصول بعض المقرّبين من يعقوب أدّى به إلى تغيير سلوكه، فبدأ منذ ذلك الوقت يتوارى عن انظار الوثنيين المسيحيين، ويعيد من جديد العادات اليهوديّة إلى

المسيحيّة. وأثار انسحاب بطرس موقفًا مشابهًا لدى المسيحيين الآخرين من اصل يهودي، ومنهم برنابا. ومنذئذ اصبحت عادة فصل الموائد سارية في جماعة أنطاكيا ، حتى انها لم تعد جماعة اخوة مرتبطين بموت المسيح وقيامته. وهكذا يكون بطرس، عبر هذا الموقف، قد ثلم الأخوّة، وشكّك بحقيقة الإنجيل المعترف به في أورشليم. وهنا، ينحى باللائمة على بطرس بمفرده، لأنه كان وراء إهمال شراكة المائدة، لكن مناشدة بولس تتوجّه إلى الجميع، وكل واحد معنّي، إذ ان حقيقة الإنجيل اصبحت على المحك.

تعكس آ ١٤ ادلّة بولس ضد بطرس، كما ادركها بعد سنوات من الحدث. فان بطرس اليهودي، في بدء إقامته في أنطاكيا، استخلص كل نتائج الحريّة المسيحيّة، فشارك في موائد المسيحيّين من اصل وثني، وأظهر بذلك عدم تردّده في العيش على طريقتهم. لذا كان تواريه مرفوضاً ومُداناً، لأنه يجبر الوثنيّين من ثم على العيش بحسب الطريقة اليهوديّة، أي أن يختتنوا ويراعوا الشريعة برمتها، إذا أرادوا أن يشاركوا اليهود المسيحيّين في مائدهم. وهكذا فإن التغيير في موقف بطرس وغيره من اليهود المسيحيّين، يلغي بالفعل الحريّة المسيحيّة. لا يطيل بولس حديثه عن نتيجة تدخّله تجاه بطرس، لأنه فيما كان يكتب الرسالة إلى الغلاطيّين، كان لديه هَمٌّ قاده إلى المبالغة في تراجع بطرس وبعض اليهود المسيحيّين: ذلك ان الغلاطيين تحت ضغوط المتهوّدين، اصبحوا على اهبة للقيام بمسيرة مشابهة لمسيرة بطرس واليهود المسيحيين في انطاكيا. فاللوم الموجّه إلى بطرس، يتوجّه إليهم هم أيضًا: يستحيل أن يغيّر المؤمن موقفه بعد أن تذوّق طعم الحريّة المسيحيّة.

مقطع ارتباط: آنية الأحداث الماضية (٢:١٥-٢١)

١٥ نَحنُ يَهودٌ بالوِلادَة ولَسْنا مِنَ الوَثنيِّينَ الخاطِئين،
١٦ ومع ذلِك فَنَحنُ نَعلَمُ أَنَّ الإنسانَ لا يُبَرَّرُ بالعَمَل بأَحْكامِ الشَّريعة، بل بالإيمانِ بيَسوعَ
المسيح. ونَحنُ أَيضًا آمَنَّا بالمَسيحِ يسوع لِكَي نُبَرَّرَ بالإيمانِ بالمسيح، لا بالعَمَلِ بأَحْكامِ
الشَّريعة، فإِنَّه لا يُبَرَّرُ أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ بالعَمَل بأَحْكام الشَّريعة.
١٧ فإِذا كُنَّا نَطلُبُ أَن نُبَرَّرَ في المَسيح، وَوُجِدْنا نَحنُ أَيضًا خاطِئين، أَفيَكونُ المسيحُ خادِمًا
لِلخَطيئة؟ حاشَ لَه!
١٨ فإِنِّي، إِذا عُدتُ إِلى بناءِ ما هَدَمتُه، أَثبَتُّ على نَفْسي أَنِّي عاصٍ،
١٩ لأَنِّي بالشَّريعةِ مُتُّ عَنِ الشَّريعةِ لأَحيا لله، وقد صُلِبتُ مع المسيح.
٢٠ فما أَنَا أَحْيا بَعدَ ذلِك، بلِ المسيحُ يَحْيا فِيَّ. وإِذا كُنتُ أَحْيا الآنَ حَياةً بَشَرِيَّة، فإِنِّي
أَحْياها في الإِيمانِ بابنِ الله الَّذي أَحبَّني وجادَ بنَفْسه مِن أَجْلي.
٢١ فلا أُبطِلُ نِعمَةَ اللّه. فإِذا كانَ البِرُّ يُنالُ بالشَّريعة، فالمَسيحُ إِذًا قد ماتَ سُدًى.

يضع هذا المقطع تضاداً بين الإيمان بيسوع، وهو مصدر التبرير، وبين البرّ المستَمَدّ من الشريعة. وتلعب هذه الآيات دورًا فريدًا: انها تشكّل جسرًا بين الأحداث الماضية التي يسردها بولس، وبين الحالة الحاضرة لكنائس غلاطية. فالمقطع هو، في الوقت عينه، امتداد للّوم الموجّه إلى بطرس، وشرح يعرضه بولس أمام الغلاطيّين للأحداث المذكورة. يتألّف المقطع من وحدتين: تذكّر الأولى (آ١٥-١٧) بان الشريعة لا يمكن أن تحرّر من الخطيئة؛ وتظهر الثانية (آ١٨-٢١) مخاطر العودة إلى الشريعة، وقد تؤدي إلى التخلي عن صليب المسيح.

ان الشريعة، بحسب آ١٥-١٧، لا تحرّر من الخطيئة. وهنا يتبنّى بولس وجهة نظر اليهود المسيحيّين —وهم يَعدّون خطأة اولئك الذين لا يحترمون شريعة إسرائيل. انهم، على عكس الوثنيّين، لا ينتمون إلى عالم الخطأة، طالما يتبعون أحكام الشريعة. والحال، مع أنّهم غير مرتبطين بهذا العالم، فقد آمنوا بيسوع المسيح لكي يتبرّروا؛ وهكذا أظهروا أن الشريعة غير قادرة وحدها أن تؤمّن التبرير. انهم، بتصرّفهم هذا، يبدون أمناء للكتب، بما أن المزمور ٢:١٤٣، يؤكّد أن "**لا أحد يتبرّر**" بممارسة الشريعة؛ لذا، فإن اليهود المسيحيين، مع سعيهم إلى التبرير "**بالإيمان بالمسيح**"، إذا ما وُجدوا هم ايضا خاطئين، على شاكلة الوثنيين، فنحن بازاء نتيجة تفرض نفسها: المسيح، لا فقط لا يبرّر، بل يساهم أيضًا في الخطيئة؟ ومن البديهي أنها خلاصة مرفوضة؛ ولا أحد من اليهود المسيحيّين يتصوّرها. وبانطلاقه من المحال، يُظهر بولس أن كل من يتعلّق بالشريعة، يشكّك بالتبرير الذي حققه المسيح: في هذه الحالة لا يكون المسيح قد حرّر من الخطيئة. هذا كان موقف المقرّبين من يعقوب، وقد جرّوا وراءهم بطرس واليهود المسيحيين الآخرين. وهذا ايضا موقف المتهوّدين الغلاطيّين الذين يسعون إلى إقناع الوثنيّين بان الإيمان بالمسيح ضروري، ولكنه لا يكفي.

إيمان يسوع المسيح

نقرأ، مرّتين، في غل ١٦:٢، **وفي روم** ١٢:٣، **عبارة ليس فيها ظاهريًا صعوبة تذكر، هي عبارة: "الإيمان بيسوع المسيح"، "الإيمان بالمسيح". وان نص العبارة حرفيًا باليونانيّة هو: "إيمان يسوع المسيح، إيمان المسيح"؛ غير ان عبارة "الإيمان بيسوع المسيح، او بالمسيح"، تدل على إيمان المسيحيّين الذين يمنحون المسيح ثقتهم. لكن الحقيقة هي أن الترجمة بـ "إيمان يسوع المسيح، و"إيمان المسيح"، تعطي العبارة اليونانيّة كل غناها: إذ ان أمانة المسيح الكاملة للآب، حتى الموت، هي مصدر التبرير. فالمسيح، بطاعته وأمانته، يبرّر المؤمنين. وفي الواقع، لقد تحقق التبرير عبر الخلاص الذي أنجزه يسوع المسيح، كما هو واضح في** روم ٢٤:٣. **ويبدو هذا الخيار هو الأفضل، خاصة وأن التعبير عن إيمان المؤمن في غل** ١٦:٢ **يأتي على الشكل التالي: "آمنّا بالمسيح يسوع"، وفي** روم ٢٢:٣: "**لجميع الذين آمنوا**". **فمن المفترض إذًا أن نفهم عبارة** آ٢٠ **بالطريقة عينها: "إيمان ابن الله" وليس "الإيمان بابن الله".**

تأتي الجملة الشرطيّة في آ١٧ في صيغة الماضي الوهمي، لأن اليهود المسيحيّين، في زمن اول، تبرّروا فعلاً بالمسيح، و لم يوجدوا خاطئين من ثم.

وتعلن آ١٨-٢١ عن مخاطر العودة إلى الشريعة، وقد اتسمت بلهجة شخصيّة، لا بل حميمة. ثم ينتقل بولس، في الواقع، من جمع المتكلّم "نحن" إلى المتكلّم المفرد "أنا"، فيتكلّم عن خبرته الخاصّة، لأنه هو ذاته اختبر الانتقال من الشريعة إلى الصليب. كان بإمكانه هو أيضًا أن يقوم بعودة إلى الوراء، كما فعل بطرس وكل الذين تأثّروا بالمقرّبين من يعقوب. وهكذا يعبّر الرسول عن خطر دائم يتربّص المسيحي، والغلاطيّين بشكل خاص: "**فإني، إذا عدت إلى بناء ما هدمته، أثْبَتُّ على نفسي أني عاص**" (آ١٨). فالإنسان لا يصبح خاطئًا حين يبحث عن "**البرّ بالمسيح**"، بل بالعودة إلى الختانة وإلى كل احكام الشريعة، في حين أن المسيحي تخلّى عنها وتعلّق بالمسيح. فان اعوان يعقوب أجبروا بطرس واليهود المسيحيّين الآخرين على العودة إلى الشريعة، بشكل عام، وعلى ممارسة الموائد المنفصلة بشكل خاص؛ وتحت ضغط المتهوّدين، بدا الغلاطيون ايضا على وشك اتّباع السبيل عينه. والحال، ان عودة إلى الشريعة على طريقة بطرس، انما هي فعل عصيان يجعل الإنسان خاطئًا، لأن من يعود إلى الشريعة ينفي كون المسيح مصدر التبرير الأوحد.

اما بولس فيتّحد كليًّا بالمسيح الذي مات وقام، حتى أن ما حدث للمسيح يصح عليه هو أيضًا. والحال حُكم على المسيح بالموت بسبب الشريعة. فلقد بدا، بحسب الشريعة، في عيون أعدائه، كافرًا يجب محوه؛ لكنّه بالصليب، أمات الشريعة التي لم يعد بإمكانها منذئذ أن تكون مصدر تبرير. وبالتالي، فإن بولس أيضًا مات عن نظام الشريعة، تلك الشريعة التي بفضلها بلغنا إلى فجر جديد عبر موت المسيح (آ١٩). ان الشريعة لا تطال الميّت؛ والحال، مات بولس، بالمعموذيّة، مع المسيح ليقوم معه. وتحدّد آ١٩ب و٢٠ شروط الحياة المسيحيّة: يبقى المؤمن في الجسد، ولا شيء بإمكانه أن ينتزعه من حالته الراهنة، ومع ذلك فقد تغيّر مبدأه الحياتي، لأنه ثابت في إيمان ابن الله الذي يحيا فيه. وبوسع المسيحي أن يحيا في الأمانة لكلمة الله، مستوحية أمانة المسيح عينها التي تقوم بتتميم إرادة الآب. ويعطي الرسول أساسًا مسيحانيًا للحياة المسيحيّة: فالتقارب الذي رسمه بين موت المسيح وبين المحبّة التي هي الدافع إليه، هو في القلب من فكر بولس. ذلك ان المؤمن يبرَّر بالمسيح وحده، وليس بالشريعة. لذا فان بطرس واليهود المسيحيين في انطاكيا، والمتهوّدين في غلاطية بعد بضعة سنوات فقط، جعلوا نعمة الله تذهب سدى. أما بولس، فيرفض اتّباعهم بشكل حازم، وإلا يكون قد ابطل مفاعيل نعمة الله ومفاعيل موت المسيح.

القسم الثاني

سماع رسالة الإيمان
وانبعاث الروح في غلاطية

نظام الجماعة المسيحيّة
(٣:١ -٤:٣١)

يشكّل هذا القسم أساس التأكيدات التي وردت في ٢:١٥-٢١ المتعلّقة بدور المسيح المحوري، وهي تحدد وضع الجماعة المسيحيّة التي ولدت من "الوعد". يتركز اهتمام بولس، طيلة هذا القسم، على الوعد، بصفته موضوعاً أساسياً لفهم ولادة الجماعة المسيحيّة وتجذّرها في الاسفار المقدسة ذاتها. فالوعد والروح يأتيان من الآب، لكنّهما يأتيان بالمسيح. يتألّف هذا القسم من ثلاثة محاور: الأول (٣:١-١٤) والأخير (٤:٨-٣١) يلقيان نظرة على بدايات الجماعات المسيحيّة في غلاطية، ويحدّدان، بعون الكتب، مكانة المسيحيّين بصفتهم أبناء ابراهيم من المرأة الحرّة؛ في حين يُظهر الجزء الأوسط (٣:١٥-٤:٧) بأن الوعود لابراهيم تمّت للمسيحيّين، أولاد التبنّي، من خلال عطيّة الروح.

يعبّر بولس، بواسطة سلسلة من التساؤلات (٣:١-٥)، عن أهميّة سماع رسالة الإيمان من خلال انبعاث الروح في الجماعة المسيحيّة؛ ويدعو قرّاءه إلى اتخاذ موقف، وإن كان الجواب، بالنسبة إليه، لا ينتابه الشك: قبول البشارة، هو الذي يخلق الجماعة المسيحيّة. ويرجّع بولس، في ٤:٨-٢٠، صدى هذا الإعلان الأول للإيمان، مؤكدا بأن العمل الرسولي لم ينتهِ بعد. وهناك، في هذا القسم، برهانان من الكتاب المقدّس يلعبان دورًا مهمًّا: فالبرهان الأول (٣:٦-١٤) يجيب على الأسئلة المطروحة في ٣:١-٥، ويخبر كيف بلغ الروح إلى الجماعة؛ فيما يؤكّد البرهان الثاني (٤:٢١-٣١) على أن الشريعة عينها تعلن وضع الجماعة المسيحيّة المؤسّسة على الوعد، وعطيّة الروح.

وهذا المقطع الأخير يتحدث مجددا عن طبيعة الجماعة، بعد التحفّظات التي ادلى بها بولس في ٤ :٨-٢٠ حول ما تحقّق فعليًّا في غلاطية. كما انه يبين بأن الشريعة، بصفتها بشرى، لم تفقد شيئًا من شرعيّتها؛ فالشريعة، في الواقع، من حيث إنها "سفر مقدس"، ليست في مجملها سوى نبؤة عن المسيح وعن الجماعة المسيحيّة: يكفي أن يكون في متناولنا مفتاح القراءة الذي يعطيه المسيح بالذات. وبالمقابل، فإن المحور المؤلّف من مقطعين، وهو يمتدّ من ٣ :١٥ إلى ٤ :٧، مخصّص بكامله لإظهار طابع الشريعة المؤقّت، وقد اعتبرت مجرّد احكام، فلا يمكن بالتالي أن ننتظر انبثاق الروح من الشريعة. وهكذا ننتقل من الوعود إلى العطيّة الوحيدة، وموضوع الوعد، وهو الروح .

اولاً: بشارة أولى وعطيّة الروح للجماعات المسيحيّة في غلاطية (٣ :١ -١٤)

يجيب بولس على الأسئلة المطروحة في ٣ :١-٥ حول مصدر الروح في جماعات غلاطية، بالعودة إلى الاسفار المقدسة التي يتوسّع فيها في آ٦-١٤.

أعاد الغلاطيّون بناء ما هدموه (٣ :١ -٥)

٣ ١ يا أَهْلَ غَلاطِيَةَ الأَغْبِياء، مَنِ الَّذي فَتَنَكُم، أَنتُمُ الَّذينَ عُرِضَت أَمامَ أَعيُنِهِم صُورةُ يَسوعَ المسيح المَصْلوب؟
٢ أُريدُ أَن أَعلَم مِنكُم أَمرًا واحِدًا: أَمِنَ العَمَلِ بِأَحْكامِ الشَّريعةِ نِلتُمُ الرُّوح، أَم لأَنَّكم سَمِعتُم بشارَةَ الإِيمان؟
٣ أَبَلَغَت بِكُمُ الغَباوةُ إِلى هذا الحَدّ؟ أَفَينتَهي بكُمُ الأَمرُ إِلى الجَسَد، بَعدَما ابتَدَأتُم بِالرُّوح؟
٤ أَكانَ عَبَثًا كُلُّ ما اختَبَرتُم، إذا صَحَّ أَنَّه كانَ عَبَثاً !
٥ أَتُرى أَنَّ الَّذي يَهَبُ لَكُمُ الرُّوح ويُجْري المُعجزاتِ بَينَكم يَفعَلُ ذلِكَ لأَنَّكم تَعملونَ بِأَحْكامِ الشَّريعة، أَم لأَنَّكم سَمِعتُم بِشارَةَ الإِيمان؟

يتوجه بولس بحدّة إلى خبرة قرّائه الذين أصابهم الجنون. فالتناقض بين مراعاة شريعة موسى، والطاعة لرسالة الإيمان، يشكّل الرابط بين هذه الآيات وبين المقطع السابق وخبر حادث أنطاكيا (راجع ٣ :٢، ٥؛ ٢ :١٦، ١٤). والغلاطيون، إذا ما نظروا إلى ما حدث في جماعاتهم، يستطيعون أن يتثبتوا من صحّة آراء الرسول: انبثق الروح انطلاقا من التبشير المسيحي. إن فرضيّة العودة إلى الشريعة في ٢ :١٨، تبدو كأنها على وشك أن تتحقّق في كنائس غلاطية. ذلك ان المسيحيّين اخذوا يعطون المكان المركزي للشريعة، مع

أنها لم تكن أساس ولادة جماعاتهم. فبعد أن تذوّق الغلاطيون الروح الذي أُعطي لهم في كلمة الصليب، ها هم يعودون إلى الاتّكال على قواهم وحدها، واضعين كل رجائهم في ممارسة الشريعة. لقد أعطي الروح للجماعة، الأمس كما يُعطى اليوم، لذا يدعو بولس قرّاءه إلى التساؤل حول مصدر هذا الروح: أهي شريعة موسى (أعمال الشريعة)، ام هي رسالة الإيمان (آ٢ب، ٥ ب)؟ التساؤل في آ٢ب يلفت النظر إلى ما حدث أثناء تأسيس الكنائس؛ فيما تهتمّ آ٥ب بوجود الروح الذي يقيم في الجماعة، بالرغم من الخطر الكبير الذي يهدّدها.

صحيح أن بولس يطرح أسئلة؛ لكن لهجة التهديد، ومعها آ٤، لا يدعان أدنى مجال للشك حيال خيار بولس: لقد حصلت الجماعة على الروح بسماعها رسالة الإيمان، المتمثّلة بإعلان المصلوب، وامتلأ الغلاطيّون بالمواهب، بمعزل عن أعمال الشريعة. ونجدنا بازاء حالة مأساويّة، لأن الغلاطيّين الذين اتّكلوا على الروح، في بدء حياتهم المسيحيّة، اصبحوا مستعدّين الآن للاتّكال على الجسد، أي على قواهم الخاصّة التي يترتب عليها ان تقودهم إلى الكمال (في آ٣ يحمل الفعل اليوناني "انتهى" معنى الاكتمال). وهكذا وقع الغلاطيّون في الانحراف والضعف، وهم يظنّون أنّهم حقّقوا تقدّمًا وكمالاً. ويؤكد بولس بوضوح على شبه التواطؤ بين الشريعة والجسد (**أنظر الإطار ادناه: الجسد**)؛ فان سماع رسالة المصلوب يمنح الروح للجماعة، في حين أن أعمال الشريعة تؤمّن شبه اكتمال على المستوى البشري، أي اكتمال خاضع للضعف والهدم، لأنه يستند إلى القوى البشريّة وحدها.

برهان كتابي افتتاحي.الكتب تؤكّد خبرة الجماعة: إن الروح مرتبط بسماع رسالة الإيمان (٣:٦-١٤)

٦ **هكذا "*آمَنَ إبراهيمُ بالله، فحُسبَ له ذلِكَ برًّا*" .**
٧ **فاعلَموا إذًا أَنَّ أَبْناءَ إبراهيمَ إنَّمَا هم أَهْلُ الإيمان.**
٨ **ورأَى الكِتابُ مِن قَبلُ أَنَّ اللّهَ سيُبَرِّرُ الوَثنِيِّينَ بِالإيمان فبَشَّرَ إبراهيمَ مِن قَبْلُ قالَ لَه: "*تُبارَكُ فيكَ جميعُ الأُمَم*".**
٩ **لِذلِك فالمُبارَكونَ مع إبراهيمَ المُؤمِنِ إنَّما هم أَهْلُ الإيمان.**
١٠ **فإِنَّ أَهْلَ العَمَلِ بأَحْكامِ الشَّريعةِ هم جَميعًا في حُكمِ اللَّعنَة، فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "*مَلْعونٌ مَن لا يُثابرُ على العَمَل بجَميعِ ما كُتِبَ في سِفْرِ الشَّريعة*".**
١١ **أَمَّا أَنَّ الشَّريعةَ لا تُبَرِّرُ أَحَدًا عِندَ الله فذاك أَمْرٌ واضِح، لأَنَّ "*البارَّ بِالإيمانِ يَحْيا*"،**

١٢ **على حِينِ أَنَّ الشَّريعةَ لَيسَت مِنَ الإيمان، بل "*مَن عَمِلَ بِهَذِهِ الأَحكام يَحْيا بها*".**
١٣ **إنَّ المسيحَ افتَدانا مِن لَعنَةِ الشَّريعة إِذ صارَ لَعنَةً لأَجْلِنا، فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "*مَلْعونٌ مَن عُلِّقَ على الخَشَبَة*"**
١٤ **ذلِك كَيما تَصيرَ بَرَكَةُ إبراهيمَ إِلى الوثنِيِّينَ في المسيحِ يسوع فنَنالَ بالإيمانِ الرُّوح المَوعودَ بِه.**

تعطي قراءة الكتب جوابًا واضحًا (٣:١٤) على الأسئلة المطروحة في آ١-٥. يتألّف هذا المقطع من ثلاث وحدات (آ٦-٩؛ آ١٠-١٢؛ آ١٣-١٤)، ويجمع معطيات نقرأها متفرّقة في الرسالة إلى الرومانيّين. فمنذ أن دخل الله في علاقة مع ابراهيم، صارت البركة والوعد لكلّ البشر.

يقيم بولس، بواسطة نصّين من سفر التكوين (تك ١٥:٦؛ ١٢:٣)، ربطاً بين ابراهيم والإيمان والجماعة المسيحيّة (آ٦-٩). فبحسب تكوين ١٥:٦، حصل ابراهيم على التبرير، نظرًا لإيمانه، أي قبل أن يقوم بأي "عمل"، وخاصة قبل الختانة. ولقصّة ابراهيم، منذ البدء، معنى شموليّ وفق تكوين ١٢:٣، حيث التأكيد بأن كل الأمم تباركت بابراهيم. وبولس، بعد مقاربة بين النصّين، يستنتج خلاصةً يوجّهها إلى الغلاطيّين، مفادها أن المؤمنين ليسوا أولاد ابراهيم حسب، بل هم مباركون معه، ومدعوون للدخول في شركة مع الله، وقبول عطيّة الحياة الحقّة، والتحوّل برأفة الله. وبالفعل، لقد "**رأى الكتاب من قبل**" مشاركة كل الأمم في بركة ابراهيم. واعتبر خصوم بولس انه يُحدث قطعا في تاريخ الخلاص، حين لا ينسب هذا التاريخ إلى الشريعة، ولا سيما حين ينبري الرسول ليُظهر أن قناعاته هي بحسب منطق الكتب المقدّسة التي، منذ دعوة ابراهيم، استشفت البركة لكلّ الأمم، وهكذا يبدو الرسول انه الأمين الحقيقي للكتب المقدسة.

ولفتت آ٦-٩ الانتباه إلى الإيمان، وإلى الروابط المنسوجة، منذ البدء، بين ابراهيم والمؤمنين. فان "بشارة الإيمان" (٣:٢ب، ٥ ب) هي التي توسّس علاقة حقيقيّة مع الله؛ وتأتي آ١٠-١٢ لتدعم وجهة النظر هذه، معلنة شطط الذين يقولون بأنّهم "أهل العمل بأحكام الشريعة". ويلتقي فكر الرسول، من جديد، مع الكتب المقدسة التي تخزي المتّكلين على أعمال الشريعة. ذلك ان مناصري مراعاة الشريعة هم في حكم اللعنة، أي انهم أُسلموا إلى الخطيئة، وعاقبتها التعاسة، إذ ليس بوسعهم أن يتمّموا كل احكام الشريعة؛ وهكذا تحوّلت الشريعة إلى سيف مسلّط يهدّدهم باستمرار. ويعود بولس هنا إلى نص تث٢٧:٢٦ الذي يختتم سلسلة من اللعنات التي يطلقها اللاويون، ازاء الأخطاء الخفيّة التي لا يطالها حكم البشر، ولكنها لا تفلت من حكم الله. فبولس، باختياره هذا النص، يذكّر بأن القداسة مستحيلة إن هي ارتكزت على "الفعل" البشري.

ولكن، حتى لو تُمِّمت الشريعة بكاملها، لما تغيّر شيء، لأن بين حكم الشريعة وبين التبرير المرتكز دائمًا على الإيمان، تناقضاً جذرياً وفق ما يعلنه حبقوق (حب ٢:٤): البار، بالإيمان يحيا، أي من الحياة التي اشركه بها الله. وترفع آ ١١أ، في الواقع، الغموض عن نص حبقوق (راجع ما سبق أن أُوضح بشأن غل ١٧:١ = حب ٢:٤): لا يمكن لأحد أن يتبرّر بالشريعة، لأن النبي يعلن ان الحياة هي لمن هو بار بالإيمان. فالشريعة تقترح، إذن، مسيرة مختلفة عن مسيرة الإيمان. وفي آ ١٢، تبدو العودة إلى اح ١٨:٥ وكأنها تخفف من فكرة بولس، بما أن "**من عمل بهذه الأحكام يحيا بها**". وبولس، في الحقيقة لا يترك مجالاً للمرء ان يتوقع حياة تستند إلى مراعاة احكام الشريعة، وانما يعلن باهة: ما ان تحدثنا عن مراعاة الشريعة، اصبحنا خارجاً عن مسيرة التبرير بالايمان.

ومع آ٦، يتابع بولس تفكيره المنطقي، مرتكزًا على نصوص الكتاب. فعلى ضوء المسيح، كما أُعلن للغلاطيّين (٣:٢)، يعود الرسول، في الآيتين١٣-١٤، إلى مواضيع اللعنة والبركة، مبينا ارتباطها بالمسيح. ففي غل ٣:١٣ نجد مرجعاً من تث ٢١:٢٣ يُحكم فيه على خاطئ بالموت، معلّقًا على شجرة، ولكن لا يجوز مع ذلك أن يقضي الليل معلّقًا عليها، لأنه لعنة من الله. فكان بوسع كل الذين يرون إنسانًا معروضًا هكذا، أن يقدِّروا مدى خطورة التمرد ضد الشريعة. والكلمة العبريّة "خشبة" تعني، في الوقت عينه، الشجرة والصليب؛ واستفاد بولس من هذه الازدواجيّة في المعنى، لأن النص يسمح، بسهولة،

بركة / لعنة

تشير كل من المفردتين إلى مفهوم تكون بموجبه لكلمة ما فاعليتها الاكيدة. هذه الكلمة، بالأساس، هي عمل الله. فبالبركة، يعطي الله للإنسان حياة فريدة، وانشراحا. انها تُظهر عناية الله بالإنسان، ولا سيما بشعبه، وهي التعبير عن جودته. أما لعنة الله، فتنزل على أعداء إسرائيل الذين يظلمون الشعب، ولكن ايضاً على إسرائيل الخائن. فاللعنة تدعو إلى التوبة. وباللعنة، يحمي الله شعبه تجاه أعدائه أو تجاه الخاطئين من بينه. إذ ان كل لعنة موجهة نحو حياة الشعب.

والإنسان، بدوره، يمكنه أن يبارك أو أن يلعن. في الحالة الأولى، يعترف بأن كل شيء يأتي من الله، ومن ثم يشكره، مباركاً اياه (تبارك الله)، أو ينقل هذا الخير إلى ورثته عبر البركة. اما حين يلعن العدو أو الخاطئ، فهو انما يطلب من الله أن يخلصه من العدو، أو ممّن، بكفره، يُفسد إسرائيل.

افتداء

كان الافتداء، في تقليد إسرائيل القديم، حقّاً يمارَس بين الأقارب. وكان العمل بهذا الحق يمكّن من استعادة الحريّة لقريب اصبح عبداً. وكان من شأن هذا العمل أن يقوّي الروابط بين المفتدي والمفتدى. اما الله، فهو المفتدي، مخلّص إسرائيل، لأنه هو الذي افتداه، وحرّره من الظلم المصري، وهو مستعدّ لتحريره من كلّ ظلم، بما فيه الخطيئة.

يتبنى بولس هذا التيار الفكري بقوله أن المسيح افتدى المسيحيّين؛ فهو يربط بين عمل المسيح وحدث الخروج من مصر، كما بمختلف التحريرات المذكورة في الكتب المقدّسة. ويعبّر الافتداء عن صعوبة عمل المسيح، كما عن محبّة الله التي تجلت في مثل هذه الاحداث؛ ومنذئذ صار المسيحيّون خاصةَ المسيح، لأنه افتداهم وحرّرهم من الخطيئة.

بالانتقال من الشجرة إلى الصليب. لقد أخذ المسيح البريء مكان الخاطئ، وحُكم عليه باسم الشريعة، وبما انه عُلّق على خشبة، فهو ملعون. انه اتخذ وضع من رذله الله، بسبب خطيئته. لكنّ المسيح، بانتصاره على الشريعة بقيامته، وضع حدًا لقدرة الشريعة اللامتناهية، كما لنظام الأعمال الذي لم يكن بوسعه أن يتحقق، وفق ما سبقت الكتب ان توقعت. ان المسيح، بعمله هذا، حرّر من "فئويّة" الشريعة التي كانت تتوجّه، أولاً، إلى إسرائيل، وسمح للبركة بأن تطال الأمم. لقد حقّق الوعد في تك ١٢:٣، ولكن بعد أن حوّل مضمونه: فلم يعد وعدًا بعطية أرض، بل وعدًا بعطية الروح. وهكذا نُزع عن الوعد طابعه القومي، واتخذ طابعاً شموليًا. وعندما يكون الروح قد أُعطي للجماعة، تكون البركة قد تمت، وكل هذا لا يتحقّق إلا بالإيمان.

ثانيا: من الوعود لإبراهيم ونسله، إلى عطيّة الروح للأبناء بالتبنّي (٣:١٥ -٤:٧)

على الأسئلة المطروحة في ٣:١٥، والمتعلّقة بمصدر عطيّة الروح، أجاب بولس بالعودة إلى الكتب (٣:٦-١٤). فالروح أُعطي بالإيمان "**كيما تصير بركة إبراهيم إلى الوثنيّين في المسيح يسوع**" (آ١٤). ويأتي هذا القسم (٣:١٥-٤:٧) ليشرح هذا الجواب

ويبرّره؛ وتتحقق وحدته عبر الانتقال من الوعود المتعدّدة إلى العطيّة الوحيدة الـتي هـي موضوع الوعد، أي الروح. فحتى وإن لم ترد عبارة "نفس/روح" إلا في النهايـة، فـإن التفكير حول الروح يتواصل، لأن بولس يعود إلى موضوع الوعد، للربط بـين الوعـد والشريعة، ولإظهار كيف أن الشريعة -وفي تدبير حديث العهد- لا يمكنـها أن تُلغـي الوعد، وهو بنية اساسية. وفي خلال الطرح، يوضح بولس مكانة الشريعة. يتألّف هـذا القسم من مقطعين (٣:١٥-٢٢ و٣:٢٣-٤:٧): الأول مركّز على المسيح، بصفته هدف الوعد؛ والثاني يدور حول المؤمنين الذين، بفضل المسيح، صاروا أحرارًا. ولقد بُني كـل مقطع على نحوٍ واحد: تأكيد يليه شرح ("فأقول": ٣:١٧؛ ٤:١).

المسيح والوعد. دور الشريعة الثانوي مقارنة مع الوعد (٣:١٥-٢٢)

١٥ أَيُّها الإِخوَة، إِنِّي أَتكلَّمُ بحَسَبِ العُرفِ البَشَرِيّ: إِنَّ وَصِيَّةً صَحيحةً أَثبَتَهـا إِنـسان لا يَستَطيعُ أَحَدٌ أَن يُبطِلَها أَو يَزيدَ علَيها.

١٦ فمَواعِدُ الله قد وُجِّهَت إِلى إِبراهيمَ "*وإِلى نَسْلِه*"، ولَم يَقُلْ: "*وإِلى أَنْسالِه*" كما لو كَـانَ الكلامُ على كثيرين، بل هُناكَ نَسلٌ واحد: "*و إِلى نَسْلِكَ*"، أَي المسيح.

١٧ فأَقول: إِنَّ وَصِيَّةً أَثبَتَها اللهُ فيما مَضى لا تَنقُضُها شَريعةٌ جاءَت بَعدَ أَرْبعِمِائَةٍ وثَلاثينَ سَنَة فتُبطِلُ المَوعِد.

١٨ فإِذا كانَ المِيراثُ يُحصَلُ علَيه بِالشَّريعة فإِنَّه لا يُحصَلُ علَيـه بالوَعْـد. أَمَّـا إِبـراهيم فبموجب وَعْدٍ أَنعمَ اللهُ علَيه.

١٩ فما شأنُ الشَّريعةِ إِذًا؟ إِنَّها أُضيفَت بداعي المَعاصي إِلى أَن يَأتِيَ النَّسْلُ الَّذي جُعِـلَ لَـه المَوعِد. أَعلَنَها المَلائِكةُ عن يَدِ وَسيط،

٢٠ ولا وَسيط لِواحِد، واللهُ واحِد.

٢١ أَفتُخالِفُ الشَّريعةُ مَواعِدَ الله؟ حاشَ لَها! لأَنَّه لو أُعطِيَت شَريعةٌ بِوُسعِها أَن تُحيِي، لَصَحَّ أَنَّ البِرَّ يُحصَلُ علَيه بالشَّريعة.

٢٢ ولكِنَّ الكِتابَ أَغلَقَ على كُلِّ شيَء وجَعَلَه في حُكْمِ الخَطيئَة لِيَتمَّ الوَعْدُ لِلمُؤمِنينَ لإِيمانِهم بِيَسوعَ المسيح.

يتألّف المقطع من وحدتين (آ١٥-١٦ و ١٧-٢٢). في الأولى يلفت بولس النظر إلى مبدأ: لا شيء يمكن أن يغيّر الوعد؛ وفي الثانية يشدد على طابع الشريعة النسبي، مقابل الوعد الذي يحقّقه إيمان يسوع المسيح.

ان للعبارة اليونانيّة (**دياثيقي** diathèkè) معنيين، هما وصيّة وعهد. والحال ان العهد بين الله وابراهيم بدأ بوعد (٣:١٥-١٦). ويلعب بولس على ازدواجيّة معنى الكلمة اليونانيّة ليظهر ديمومة الوعد. فكما أنه لا يستطيع أحد أن يغيّر وصيّة صحيحة دُوّنت وفق الاصول، كذلك الأمر بالنسبة إلى الوعد الذي يفتتح العهد. ففي عداد ظروف الوعد الأصليّة، توجد وحدانية النسل الذي وُجِّه إليه (تك ١٢:٧؛ ١٣:١٥؛ ١٥:١٨؛ إلخ...). وبولس، بصفته قارئًا نبيهاً للاسفار المقدسة، يشرح نقطة خاصة وردت في النص. ففي سفر التكوين، يتوجّه الوعد إلى ابراهيم **ونسله**. وفيما لاحظ بولس صيغة المفرد (لنسله)، طبّقه على المسيح الذي هو قبلة انظار كل الوعود. فعندما تكلّم سفر التكوين عن النسل بالمفرد، رأى بولس في ذلك نبوءة عن المسيح.

في الكلام عن "الوعد"، يخلط بولس المفرد بالجمع. فالوعد لابراهيم وعدان: وعد بالنسل العديد، ووعد بالأرض. ويعتبر الرسول أن الإرث، موضوع الوعد، فريد، وهو الروح. والاسفار المقدسة لا تدع مجالاً للشك: الإرث أُعطي لابراهيم، بالوعد، وهذا الوعد لا يناله تغيير (آ١٧-٢٢). ومثل هذا التأكيد يستوجب تحديد دور الشريعة. انها إضافة، وهي مَؤقّتة تتسبّب بالمعاصي. وبولس، مع بعض التغيير في المفردات، يكرر مرارًا الفكرة التي تناولها في روم ٤:١٤-١٥؛ ٥:٢٠؛ ٧:٧؛ فما يميّز خطيئة آدم في روم ٥:١٤ هو العصيان. وكما كشفت الوصيّة عن خطيئة آدم، هكذا الشريعة تُبرز المعاصي. فالشريعة هي إذاً من مستوى غير مستوى الوعد، وهي غير قادرة أن تحيي؛ انها بالحري تبرز شموليّة الخطيئة. اما الوعد، فيتحقّق بالإيمان؛ وبالتالي، فإن هناك ارتباطاً بين الوعد والإرث والإيمان.

ويظهر طابع الشريعة الثانوي بطرق متعدّدة:

- إنها متأخرّة وليست أساسًا، فقد جاءت من بعد أربعمائة وثلاثين سنة. وتمثّل عبارة "٤٣٠ سنة"، في البيبليا اليونانيّة، حقبة الآباء في كنعان، وفترة الإقامة في مصر (خر١٢:٤٠-٤١).
- إنها مؤقّتة، لأنها أُعطيت بانتظار النسل الذي جُعل له الموعد.
- إنها عطية من الله -طالما أن الملائكة يخضعون لها- إلا ان غياب الله في سيناء يقلّل من أهميّة الشريعة مقابل الوعد. وبالفعل، لم يكن لدى إعلان الشريعة سوى الملائكة وموسى، في حين ان الله ذاته هو الذي توجّه إلى ابراهيم لدى اعلان الوعد.

يشهد العهد الجديد، على ثلاث دفعات (غل ٣:١٩؛ رسل ٧:٣٨، ٥٣؛ عب ٢:٢)، لموضوع قديم يهمّ جانباً من التقليد اليهودي: عند إعطاء الشريعة في سيناء، كان

هناك ملائكة حاضرين. لكن، وعلى عكس الفكر اليهودي، ليست مشاركة الملائكة لتزيد من عظمة الشريعة، بل لتحط منها. وتبقى الآية ٢٠ غامضة ولغزية، في ترجمتها ومعناها. فالقسم الثاني من الآية يحيل القارئ إلى فعل إيمان إسرائيل (تث ٦:٤) الذي يعلن وحدانيّة الله، وان كانت عبادته في أمكنة مختلفة. وحين أُعطيت الشريعة لإسرائيل، كان الوسيط (موسى الذي لا يرد إسمه في النص اليوناني)، يتكلّم باسم كثيرين، أي الملائكة؛ والحال ان الله واحد، وموسى لم يكن إذاً يتكلّم باسم الله مباشرة. كما يمكننا أن نفهم القسم الأول من هذه الآية على أنه إعلان لمبدأ عام مفاده أن الوسيط يفترض وجود شخصين على الأقل؛ فإذا كان هناك شخص واحد، فلا يمكن حينئذ أن نتحدث عن وسيط، والحال أن الله واحد.

والشريعة ثانويّة بالنسبة إلى الوعد: انها لا تعطي القوّة التي تمكّن من الحياة؛ وهي بالأكثر تشكّل عنصر انقسام، في حين أن الله هو مصدر وحدة. لذا فان إيمان يسوع المسيح يمكّن من تحقيق الوعد للمؤمنين (آ٢٢). وينتهي المقطع، كما افتُتح، بنظرة إلى المسيح الذي هو غاية كلّ الوعود.

المسيح يفتتح زمنًا جديدًا يجد فيه كل مؤمن مكانه، هو زمن الشمولية والميراث (٣:٢٣-٧:٤)

٢٣ **فقَبْلَ أَن يَأتِيَ الإِيمان، كُنَّا بحِراسةِ الشَّريعةِ مُغلَقًا علَينا مِن أَجلِ الإِيمانِ المُنتَظَرِ تَجَلِّيه.**
٢٤ **فصارَتِ الشَّريعَةُ لَنا حارِسًا يَقودُنا إِلى المسيح لِنُبَرَّرَ بالإِيمان.**
٢٥ **فلَمَّا جاءَ الإِيمان، لم نَبْقَ في حُكم الحارِس،**
٢٦ **لأَنَّكم جَميعًا أَبناءُ الله بالإِيمانِ بالمسيحِ يسوع،**
٢٧ **فإِنَّكم جَميعًا، وقَدِ اعتَمَدتُم في المسيح، قد لَبِستُمُ المسيح:**
٢٨ **فلَيسَ هُناكَ يَهودِيٌّ ولا يونانِيّ، ولَيسَ هُناكَ عَبْدٌ أَو حُرّ، ولَيسَ هُناكَ ذَكَرٌ وأُنْثى، لأَنَّكم جَميعًا واحِدٌ في المسيحِ يسوع.**
٢٩ **فإِذا كُنتُم لِلمسيح فأَنتُم إِذًا نَسْلُ إِبراهيم وأَنتُمُ الوَرَثَةُ وَفقًا لِلوَعْد.**

٤ ١ **فأَقولُ إِنَّ الوارِثَ، ما دامَ قاصِرًا، فلا فَرْقَ بَينَه وبَينَ العَبْد، مع أَنَّه صاحِبُ المالِ كُلِّه،**
٢ **لكِنَّه في حُكْمِ الأَوصِياءِ والوُكَلاءِ إِلى الأَجَلِ الَّذي حَدَّده أَبوه.**
٣ **وهكذا كانَ شَأنُنا: فحِينَ كُنَّا قاصِرين، كُنَّا في حُكْمِ أَرْكانِ العالَمِ عَبيدًا لَها.**
٤ **فلَمَّا تَمَّ الزَّمان، أَرسَلَ اللهُ ابنَه مَولودًا لامرَأَةٍ ، مَولودًا في حُكْمِ الشَّريعةْ**

٥ **لِيَفتَدِيَ الَّذينَ هم في حُكْمِ الشَّريعة، فنَحْظى بالتَّبَنِّي .**
٦ **والدَّليلُ على كَونِكُم أَبناء أَنَّ اللهَ أَرسَلَ رُوحَ ابنِه إِلى قُلوبِنا، الرُّوحَ الَّذي يُنادي: "أَبَّا"، "يا أَبتِ"**
٧ **فلَستَ بَعدُ عَبْدًا بلِ ابنٌ ، وإِذا كُنتَ ابنًا فأَنتَ وارِثٌ بِفَضْلِ اللّه.**

يتركّز الاهتمام، في هذا المقطع الثاني، على الخيرات التي يحصل عليها المؤمنون بالمسيح الذي أدخلهم في عهد جديد، هو عهد الإيمان. فلقد حُرِّر المسيحيّون من الشريعة، واصبحوا بنين وبنات بالتبنّي، لا بل ورثة. الهم ورثة بحسب الوعد (٣:٢٣-٢٩)؛ هذا التأكيد يشرحه بولس فيما بعد (٤:١-٧)

تتضمّن الوحدة الأولى (٣:٢٣-٢٩) جزئين: يتميّز الأول بجمع المتكلّم "نحن" (آ٢٣-٢٥)؛ والثاني بجمع المخاطب "أنتم جميعًا" (آ٢٦-٢٩). وفي جماعات غلاطية، كان خصوم بولس من المتهوّدين الذين يعطون للشريعة دورًا حاسمًا في التبرير، مع أن الشريعة هي من مستوى المؤقّت. وتأتي آ٢٣-٢٥ بمثابة تتمة لـ٢:١٦-١٧؛ وفيها يتكلّم بولس باسم المسيحيّين من اصل يهودي، وهو منهم، فيؤكّد أنهم تبرّروا بالإيمان، ولم يعودوا خاضعين للشريعة. فاليهود، مثل الوثنيّين، تبرروا بالإيمان؛ اما الشريعة، فهي كالحارس أو المربّي أو العبد الذي ليست مهمّته على شيء من الرفعة: كان يسهر على حسن تصرّف الولد، ويقوده إلى معلّم المدرسة. كان دوره ضروريًّا، اما مهمّته، فكانت من مستوى أدنى، إذ ان شخصاً آخر كان يعطي الثقافة والتربية، هو معلّم المدرسة. ليست الشريعة، في حد ذاتها، غاية، بل هي تُعِدّ الطريق وتدلّ عليه. لقد كان هذا الدور نموذجيًّا في زمن الانفصال بين إسرائيل والأمم؛ لكن المسيح افتتح زمنًا جديدًا، هو زمن الإيمان. والتاريخ، في الواقع، يتألّف من حقبتين تستمدان طابعهما من الإيمان (آ٢٣، ٢٥) الذي يحدّد نظامًا مختلفًا عن نظام الشريعة.

لقد صار الغلاطيّون، منذ الان، أيّا كان أصلهم، واحدًا بالمسيح يسوع (آ٢٦-٢٩)؛ فنظام الإيمان يوحّد، في حين كان نظام الشريعة يقسم، سيما وانها كانت تضع حاجزًا بين إسرائيل والأمم:" **إنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع**" (آ٢٦). والإيمان بيسوع المسيح ليس الإيمان الذي موضوعه يسوع ، أو الذي يكون قد جاء بيسوع المسيح، بل هو بالاحرى، ذاك الإيمان الذي يجعل المؤمن واحداً في المسيح، ويحيا به. فبالعماذ، اصبح المسيحيّون متحدين بموت المسيح وقيامته، وقد لبسوا المسيح. وتحمل العبارتان "لبس المسيح" و"كان للمسيح" معنيين: كان بوسع الغلاطيّين أن يقولوا، على

مثال بولس، "**أنا أحيا، ولكن ليس أنا، بل المسيح يحيا فيّ**"؛ لأن المسيح "يحوّل المعمّد إلى صورته"؛ فالمسيحي هو إنسان خلق من جديد أمام الله، ويسوع هو نموذجه وصانعه. وبالأكثر، فان هذه العبارات تدلّ على مصدر وحدة الغلاطيّين. إذ ان المسيحيّين الذين دُمجوا بالمسيح، هم متحدون بعضهم مع بعض، وليس بوسع اختلافاهم ان تفصل بينهم. فهم، بارتدائهم المسيح، قد اصبحوا بدورهم نسل ابراهيم، وورثة بحسب الوعد الذي كان مُعَدّاً لهم بالمسيح.

لقد حدّد بولس وضع الأشخاص قبل افتتاح زمن الإيمان وبعده (٣:٢٣-٢٥). انه يشرح، في ٤:١-٧، كيف أمكن أن يحصل تحوّل كهذا ، وكيف تحرّر المسيحيّون من الشريعة وأصبحوا أولادًا بالتبنّي وورثة للوعد. وكان بولس، في ٣:١٥-١٦، قد اسس تفكيره على ممارسات شائعة؛ أما هنا، فيعود إلى عادة من القانون الهلليني يحدِّد فيه الوالد عمر البلوغ لولده (٤:١-٢)، ليستخلص النتائج للمؤمنين (آ٣-٧)، مؤكداً أن تاريخ الخلاص موحّد، لأنه يرتكز على مخطّط الآب الحرّ.

لا يبدو التشبيه الذي استعمله بولس مطابقاً تمامًا، لأن الوريث، وإن كان خاضعًا للأوصياء والوكلاء، فهو ليس في حكم العبد. وبولس لا يقول بأن الإنسانيّة كانت مستعبدة للشريعة، قبل المسيح، بل يُعلن أنها كانت خاضعة "**لأركان العالم**"، أي للقوى العاملة فيه. وهذه العبارة واسعة وغير محدّدة، وتسمح بشمول المسيحيين من اصل وثني. ولكن الواقع، هو ان كل المسيحيّين، من أصل وثني ومن أصل يهودي، كانوا مستعبدين: بعضهم للعديد من القوى الكونيّة المؤلّهة، والبعض الآخر للملائكة الذين كانوا، بالشريعة، يحكمون إسرائيل. إن اللعب على عبارتي "نحن" و "أنتم" دقيق جدًا. فكل المؤمنين كانوا عبيدًا وصاروا أولادًا بالتبنّي، بفضل التحرير الذي حقّقه المسيح (آ٣ج، ٥ب). ونظرًا لوضع كنائس غلاطية، شدّد بولس، في آ٤-٥، على الاستعباد للشريعة: الجميع كانوا مستعبَدين، بمن فيهم اليهود الذين يعلنون انتسابهم إلى الشريعة. وتجاه أناس يميلون إلى إعطاء الشريعة المكانة الأولى في الحصول على الخلاص، اهتمّ بولس، طيلة هذا الجزء، بوضع الشريعة على مستوى وضيع. ومن هنا كان التشديد على "خصوصية" يسوع المسيح الذي ارسله الله "**مولودًا لامرأة، مولودًا في حكم الشريعة**". غير ان هذه الخصوصية تلغي خصوصية الشريعة، لا بل تحتويها. ذلك ان يسوع المسيح عاش فعليًّا بصفته ابناً لاسرائيل، خاضعا للشريعة حتى في الموت؛ واليوم صار المسيحيّون ورثة الوعد المعطى لابراهيم، بفضل المسيح الذي كانت كل الوعود تتجه نحوه (٣:١٦).

يضع بولس إرسال الإبن وإرسال الروح، في تواز (آ٤-٦)؛ وتعود مبادرة الإرسال إلى الآب، لكن المسيح يأخذ فيها مكانًا محوريًا، حتى أن الروح يُقدَّم على أنه "**روح ابنه**". وبفضل إرسال الإبن، صار المؤمنون أبناء بالتبنّي، فيما يسمح لهم الروح -وقد أعطي مع التبنّي- بتذوّق هذه الحالة غير المسبوقة. وتُنسب الصرخة إلى روح الإبن الحاضر في قلب المؤمنين (آ٦)، بينما المؤمنون، في روم ٨:١٥، هم الذين يصرخون "**أبّا، أيها الآب**"، بروح التبنّي. وان هذا الإرسال المزدوج للابن والروح، هو الذي يحوّل المؤمن: من عبد إلى ابن، ووارث للوعد. فإن كان إرسال الإبن يحوّل جذريًا حالة الإنسان، فإن إرسال الروح يمكّنه من الدخول في حركة التجديد هذه، ويجعله يعي هويّته الجديدة. ويتحقّق إرسال الروح في قلب المؤمن في وقت محدّد من التاريخ (الفعل هو في صيغة الماضي المنجز، زمن الحدث المحدَّد)، لكن عمله يتواصل على مستوى الديمومة (يصرخ). (**لفهم فعل "افتدى" راجع الإطار: افتداء**).

ويوحي التبنّي بعلاقة ذات طابع قانوني، لكن الروح، من جهة اخرى، يتخطّى هذه الصورة، إذ ان الروح القدس يفيض في القلوب محبّة الله للمسيحيّين (روم ٥:٥). ذلك ان القلب هو مكان الفهم والإرادة، ولكنه يتضمّن أيضًا بعدًا عاطفيًا. فالروح قد أُرسل إلى مكان مركزي في الإنسان، معبّرا عن التحوّل الجذري الذي طرأ. وتلتقي العلاقة بين الآب والإبن والروح مع صورة لا يجهلها بولس؛ فالله هو وراء عمل الخلاص برمته، وفيه يمثّل إرسال الإبن زمنا حاسماً، إذ ان الروح سيمكّن المسيحيّين من اختبار حالتهم الجديدة.

ثالثاً: بشارة أولى وحريّة معطاة للمولودين بحسب الروح (٤:٨-٣١)

نسي الغلاطيّون قليلاً الحماس الذي خلّفه قبولهم الاول للكرازة المسيحيّة؛ انهم يلتفتون إلى الوعود الخاطئة التي كالها لهم خصوم بولس، حين عكسوا لهم صورة لامعة لمحاسن الشريعة (٤:٨-٢٠). وهوذا بولس يذكّر الذين يدّعون الاتّكال على الشريعة بالتعليم الحقيقي الذي تضمنته هذه الشريعة، مقدّما قراءةً رمزيّةً للكتب (٤:٢١-٣١).

بمثابة صدى لـ ٣:١-٥:
ما تبقى لاستكمال سماع بشارة الإيمان (٤:٨-٢٠)

٨ لَمَّا كُنتُم فيما مَضى لا تَعرِفونَ الله، كُنتُم عَبيدًا لآلِهَةٍ لَيسَت بِآلِهَةٍ حَقًّا.

٩ أَمَّا الآن، وقَد عَرَفتُمُ الله، بل عَرَفَكمُ الله، فكَيفَ تَعودونَ مَرَّةً أُخرى إِلى تِلكَ الأَرْكانِ الضَّعيفةِ الحَقيرة وتُريدونَ أَن تَعودوا عَبيدًا لَها مَرَّةً أُخْرى؟
١٠ تُراعونَ الأَيَّامَ والشُّهورَ والفُصولَ والسِّنين.
١١ إِنِّي أَخْشى علَيكم أَن أَكونَ قد أَجهَدتُ نَفْسي عَبَثًا مِن أَجْلِكم.
١٢ أُناشِدُكم، صيروا مِثْلي، فقد صِرتُ مِثْلَكم، أَيُّها الإِخوَة. لم تَظْلِموني شَيئًا.
١٣ تَعلَمونَ أَنِّي لِمَرَضٍ في جِسْمي بَشَّرْتُكم أَوَّلَ مَرَّة،
١٤ وكُنتُ لَكم مِحنَةً بِجِسْمي، فلم تَزدَروني ولَم تَشمَئِزُّوا مِنِّي، بل قَبِلتُموني قَبولَكم لِمَلاكِ الله، قَبولَكم لِلمَسيحِ يسوع.
١٥ فأَينَ ذاكُمُ الاِغتِباط؟ إِنِّي أَشهَدُ أَنَّكم، لو أَمكَنَ الأَمْر، لَكُنتُم تَقتَلِعونَ عُيونَكم وتُعطوني إِيَّاها.
١٦ فهَل صِرتُ عَدُوًّا لَكم لأَنِّي قُلتُ لَكمُ الحَقّ؟
١٧ إِنَّهم يَتوَدَّدونَ إِلَيكم لِغايَةٍ غَيرِ حَسَنَة، لا بل يُريدونَ أَن يَفصِلوكم عنَّا لِيَنالوا وُدَّكم.
١٨ يَحسُنُ التَّوَدُّدُ إِلَيكم لِغايَةٍ حَسَنَةٍ في كُلِّ حين، لا عِندَ حُضوري بَينَكم فقَط.
١٩ يا بَنِيَّ، أَنتُمُ الَّذينَ أَتَمَخَّضُ بهم مَرَّةً أُخْرى حتَّى يُصوَّرَ فيهمِ المسيح،
٢٠ أَوَدُّ لو كُنتُ الآنَ عِندَكم فأُغَيِّرَ لَهجَتي، لأَنِّي تَحَيَّرتُ في أَمرِكم.

مسيح

تظهر كلمة "مسيح" في الرسالة إلى الغلاطيّين في مناسبات متعدّدة، إما وحدها أو ضمن عبارة من مثل "يسوع المسيح"، أو "الرب يسوع المسيح". عندما ترد وحدها، تلعب دور إسم العلم: نعمة المسيح؛ إنجيل المسيح، أو إيمان المسيح. لكنها ترد أيضًا بشكل مقولة: "**بالمسيح**"، أو في صيغ فريدة من مثل: "**المسيح يحيا فيّ**"؛ "**ارتداء المسيح**"؛ أو حين يتمنّى بولس أن "يتصوّر المسيح" في الغلاطيّين.

يسوع الآتي من نسل داود، جُعل مسيحًا بقيامته من بين الأموات، ومنذئذ هو حي بصفته المسيح. تلك هي الحالة الجديدة ليسوع الناصري. وهذه الحياة المسيحانيّة الجديدة افتتحت الأزمنة الاسكاتولوجيّة. ذلك ان المسيح يُشرك بحياته المؤمنين الذين يرون فيه النموذج والينبوع. فالحياة الجديدة التي يعطيها المسيح تجمع، في الوقت عينه، المسيحيّين في شركة واحدة. ويتصوّر المسيح في الغلاطيّين، حين يدعون هذه الحياة الجديدة التي يعطيهم إياها تجتاحهم، وحين يحيون في الوحدة التي وُلدت من حقيقة الإنجيل.

عرض بولس أسس فكره، وأظهر موقع أصحاب الوعد، الورثة، النسل (٣:١٥-٤:٧). فمع إرسال المسيح طرأ تحوّل جذري، لأن زمن الإيمان قد فُتح. اما في أفق كنائس غلاطية، فقد ارتسم خطر ردة إلى الوراء عند الذين عرفوا زمن الإيمان. وتبدو الحالة شبيهة بما حدث في أنطاكيا عند وصول "قوم يعقوب"؛ فبعد ان تذوّق الغلاطيون معنى التحرّر من عناصر العالم، يبدو انهم مستعدّون للعودة إلى العبودية. لذا راح بولس يذكّر قرّاءه بسماعهم الأول لبشارة الإيمان، ويعلن لهم عن عزمه على العمل لكي يتصوّر فيهم المسيح كليًا. يتضمّن المقطع ثلاث وحدات (آ٨-١١؛ آ١٢-١٦؛ آ١٧-٢٠).

يفضح بولس رغبة الغلاطيّين في العودة إلى الماضي (آ٨-١١)، حين كانوا وثنيين لا يعرفون الله الحق؛ والحال ان قراء بولس قد وصلوا إلى مكانة جديدة تمامًا، لأن الله عرفهم. إن في استعمال عبارة "**عرفكم الله**" تذكيراً للغلاطيّين بالزمن الذي فيه سمعوا "**بشارة الإيمان**". لقد كشف الله ذاته، هو الاول، للغلاطيّين، وأحبّهم. والمعرفة في اللغة البيبليّة تتضمّن بُعداً عاطفيًا. والغريب هو أن الغلاطيّين مستعدّون للعودة إلى العبودية التي فرضتها عليهم آلهة ليست بآلهة، هي تلك "**الأركان الضعيفة الحقيرة**"، أي قوى بائسة لا قوام لها. ويلمّح بولس في كلامه إلى أنّ الغلاطيّين، لقبولهم الختانة والطقوس الأخرى، يعودون إلى الوثنيّة. إذ ان مراعاة "**الأيام والشهور والفصول والسنين**" تعبير واضح عن العودة إلى الوراء. ويعبّر الفعل المترجم بـ "تراعون الأيام..." عن التقيّد الدقيق والمبالغ فيه في تتميم الطقوس. وهوذا بولس يتهكّم على بعض ممارسات الغلاطيّين الذين يتعلّقون بالعادات اليهوديّة ويزيدون عليها. لقد تجاوب الغلاطيّون دون شك مع الدعوة إلى تتميم الشريعة -كما توحي به عبارة "الأركان الضعيفة الحقيرة"- لكنّهم أضافوا إليها عادات وثنيّة خاصة بهم. وهكذا، فإنّ التعب الذي عاناه الرسول، في جهده الرسولي، يوشك أن يذهب سدى، كما ذهبت خبرات الغلاطيّين السابقة (٤:٣).

والغلاطيون، مع أنهم عادوا إلى ممارسات لا تعطي القوة اللازمة لسماع "بشارة الإيمان" ، إلا انهم لم يقطعوا كل علاقة مع بولس؛ فهم ما زالوا من أعضاء عائلته ("إخوة" آ١٢؛ "أبنائي" آ١٩). ذلك ان النزاع بين بولس والغلاطيّين لا يتعلّق بأمور شخصيّة، بل بشأن الحقيقة التي وضعت حاجزًا بينه وبينهم (آ١٢-١٦). لقد سبق بولس ان دافع، في مجمع أورشليم، عن "**حقيقة البشارة**" (٢:١٤)، كي تبقى في قلب الغلاطيّين، لكن هذه الحقيقة مهدّدة الآن؛ وها هو يدعمها مذكّرًا إياهم بحماستهم الماضية في قبول الإيمان. لقد عرف الغلاطيّون من قبل، ان يروا، في ضعف الرسول المريض، قوة الله العاملة؛ وعند مروره في غلاطية، كان بولس قد استُقبل بصفة مرسَل من الله؛ لذا يطلب منهم طلبًا

محدّدًا: "**صيروا مثلي، فقد صرت مثلكم**" (آ١٢). فلقد صار الرسول، اليهودي الأصل، كلاً للكلّ، كما صار مع الغلاطيّين وكأنه بلا شريعة، هو الذي لم يفرض عليهم الختانة ووصايا الشريعة؛ وها هو يتمنّى اليوم أن يسلك الغلاطيّون السبيل عينه، وان يبقوا في الخط الذي طالب به سابقًا في أنطاكيا. انه يطلب منهم أن يقبلوه، كما هو، من خلال كتابة هذه الرسالة لهم؛ كما لا يتردّد في دعوهم إلى الاقتداء به (فل ٣:١٧؛ ١قور ٤:١٦؛ ١ طيم١:٦) لأنه هو ذاته يقتدي بالمسيح (١ قور ١١:١).

وفي آ١٧-٢٠ يفضح بولس الخصوم ذوي الممارسات المغرضة. فلقد كان ظلّ هؤلاء الخصوم قد خيّم على كنائس غلاطية حين ادلى بولس بخبر مجمع أورشليم، ومن ثم بخبر الحادثة التي جرت في أنطاكيا، بينه وبين بطرس. ومع ذلك، لم يذكر الرسول حتى الآن هؤلاء الخصوم بشكل مباشر؛ وها هو يقوم بذلك في آ١٧، ولكن على سبيل التلميح. لقد كان منافسو بولس يمارسون ضغطًا واضحا على الغلاطيّين، بحيث ان الجميع يعرفهم، دون الحاجة إلى تسميتهم علنًا. ولا يكتفي الرسول بأن يدعو الغلاطيّين إخوته حسب (آ١٢)، بل يعتبرهم بالاكثر اطفالاً يجب عليه أن يلدهم من جديد بالآلام. ومثل هذه العبارات الحميمة نجدها مرارًا في رسائل بولس (راجع ١ قور ٤:١٥؛ ف ١٠، ١ طيم ٢:١١). فبولس يُنجب او يلد أولاده في الإنجيل، طالما أنهم، بسماعهم الإنجيل من فمه، يبلغون إلى الحياة؛ وعليه أن يقوم بذلك من جديد مع الغلاطيّين، لأن المسيح لم يتصوّر فيهم بعد (**أنظر الإطار اعلاه: مسيح**)، كما كشفت عن ذلك انحرافاتهم. ويعرف بولس كم ان المهمّة، عن بعد، خطيرة، فكان عليه أن يجد النبرة المناسبة لمخاطبتهم، لأن تعلّق الغلاطيّين بالرسول يختلف بحسب قربه منهم، أو بعده عنهم.

برهان الخاتمة الكتابي:
سلالة بحسب الجسد أو بحسب الوعد (٤:٢١-٣١)

٢١ **قولوا لي، أَنتُمُ الَّذينَ يُريدونَ أَن يَكونوا في حُكْمِ الشَّريعة: أَما تَسمَعونَ الشَّريعة؟**
٢٢ **فقَد وَرَدَ في الكِتاب أَنَّ إبراهيمَ رُزِقَ ابنَين أَحَدُهُما مِنَ الأَمَة والآخَرُ مِنَ الحُرَّة:**
٢٣ **أَمَّا الَّذي مِنَ الأَمَة فَقَد وُلِدَ بِحُكمِ الجَسَد، وأَمَّا الَّذي مِنَ الحُرَّة فقَد وُلِدَ بفَضْلِ المَوعِد.**
٢٤ **وفي ذلِكَ رَمْز، لأَنَّ هاتَينِ المَرأَتَينِ هُما العَهْدان: أَحَدُهُما مِن طُورِ سيناء يَلِدُ لِلعُبودِيَّة وهو هاجَر**
٢٥ **(لأَنَّ سيناءَ جَبَلٌ في دِيارِ العَرَب) وهاجَرُ تُقابِلُ أُورَشَليمَ هذا الدَّهْر، فهي في العُبودِيَّةِ مع أَولادِها.**
٢٦ **أَمَّا أُورَشَليمُ العُلْيا فحُرَّةٌ وهي أُمُّنا،**

٢٧ ***فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "إفرَحي أَيَّتُها العاقِرُ الَّتي لم تَلِد، اِهتِفي وارفَعي الصَّوتَ أَيَّتُها الَّتي لم تَتمَخَّض. إِنَّ أَولادَ المَهْجورةِ أَكثَرُ عَدَدًا مِن أَولادِ ذاتِ البَعْل"***
٢٨ **فأَنتُم، أَيُّها الإِخوَة، أَولادُ المَوعِدِ على مِثالِ إِسْحق.**
٢٩ **وكَما كانَ المَولودُ بِحُكْمِ الجَسَدِ يَضطَهِدُ المَولودَ بِحُكْمِ الرُّوحِ في ذَلِك الحين، فمِثْلُ هذا يَجْري اليَوم.**
٣٠ **ولكِن ماذا يَقولُ الكِتاب؟ يَقول: *"أُطْرُدِ الأَمَةَ وابنَها، فإِنَّ ابنَ الأَمَةِ لن يَرِثَ مع ابنِ الحُرَّة"***
٣١ **فلَسْنا نَحْنُ إِذًا، أَيُّها الإِخوَة، أَولادَ الأَمَة، بل أَولادُ الحُرَّة.**

كان الغلاطيّون قد انتقلوا من العبودية إلى الحريّة، لكنّهم مستعدّون الآن للعودة إلى الوراء، نحو ممارسات قديمة، واعادة تقييم الشريعة. ويمسكهم بولس بلعبتهم، داعيا اياهم إلى سماع الشريعة التي يضعونها في المركز الأول ويسعون إلى الخضوع لها. ففي ٢١آ، يلعب بولس على معاني كلمة "شريعة": هناك الشريعة التي تأمر، ويخضع لها الإنسان (٢١آب)، والشريعة التي توحي الحقيقة وتكشف عنها، وهي أساس كل حقيقة (٢١آب). وبين المعنيين، يبرز بولس المعنى الثاني للكلمة. وبصفته فاحص الكتب، شرح مرمى الوعود التي قطعت لإبراهيم (٣:٦-١٤). وها هو يعود، وللمرّة الأخيرة، إلى الوعد، إذ به بدأ كل شيء. وهكذا بواسطة بضع كلمات، لخّص بولس مشاهد من سفر التكوين (تك ١٦:١٥؛ ١٧:١٦؛ ٢١:٢) كان اليهود يستمدون منها افتخارهم وثقتهم. وبولس، إذ عرض تفسيره الخاص لموقف ابراهيم، كشف عن جذور المجموعتين الموصوفتين، العبيد والأحرار. فلقد اسس على الكتب التطابق الذي نادى به، بين أبناء ابراهيم الحقيقيّين، أولاد الوعد، وبين أعضاء الجماعة المسيحيّة. وتتألّف هذه الآيات من مجموعة من التضادات: **ولادة بحسب الجسد (ولادة جسدية) / ولادة بحسب الوعد؛ أورشليم الحاليّة / أورشليم العليا؛ ولادة بحسب اللحم / ولادة بحسب الروح؛ عبد / حر.**

ويصبح إبنا ابراهيم -"**أحدهما من الأَمَة والآخر من الحرة**" (تك ١٦:١٥؛ ٢١:٢)- رمزَين للعهود المختلفة (راجع ٣:١٥، ١٧). لا شك أن في تفسير بولس جرأة كبيرة جدًا؛ إذ وحَّد بين العبوديّة وأورشليم الحاليّة، وهي تمثّل اليهودية، في نظره، بينما يطابق بين الحريّة والجماعة المسيحيّة. وهكذا أفصح عن وجهة القراءة: "**في ذلك رمز**"(حرفيا: ما قيل بصيغة استعارة). صحيح أن روايات سفر التكوين تحتفظ بكل قيمتها، لأنها تشير إلى أحداث محدّدة، لكنّها تدلّ بالحقيقة على ما تحياه الجماعة المسيحيّة في زمن كتابة بولس. فالنص هو أعمق مما يبدو في القراءة السريعة؛ تلك هي قناعة بولس.

ولكي يقوم بهذه القراءة الفريدة، يتحاشى الرسول الموازاة الكاملة: لا نجد سوى إسمي هاجر وإسحق، وهما في المركز من تفكير بولس: تتطابق هاجر مع الخاضعين للشريعة، بينما يرمز اسحق إلى الجماعة المسيحيّة التي ولدت من الوعد.

في آ٢٥، يوحّد بولس بين هاجر وسيناء؛ وهذه المرأة، بكونها رمزاً لمكان الشريعة، هي بمثابة أورشليم الحاليّة، لأن العبوديّة هي ميزة هاجر والشريعة وأورشليم الحاليّة. فمن البديهي الاّ يحتمل الموالون للشريعة هذا التقارب! وفي المقابل من الثلاثية (هاجر، الشريعة، أورشليم الحالية)، تقف أورشليم العليا الحرّة، واسحق ابن المرأة الحرّة بحسب الموعد. والحال، ان المسيحيّين وُلدوا من أورشليم العليا وليس من أورشليم الحاليّة، فهم بالتالي، على مثال اسحق، يولدون بوعد.

يجد بولس في الكتب ما يدعم تأكيداته. ففي الواقع، منذ الجيل الأول لشعب الله، نجدنا بازاء مبدأين مختلفين يعملان: جسد (أي مصدر بشري صرف) وعبوديّة من جهة، ووعد وحريّة من جهة ثانية. كما ان هناك نوعين من الولادة يَرمزان إلى هذين النظامين؛ والحال ان الولادة التي أعطت اناساً أحرارًا، هي الولادة بحسب الموعد، أي بحسب الروح. ومثل هذا التأكيد مقبول تمامًا في العقليّة اليهوديّة، لكن شرحه والتطبيقات التي تنتج عنه، تظهر خلافًا عميقًا بين بولس واليهوديّة. فلقد اعتبرت اليهوديّة أن نسل ابراهيم مرتبط بأورشليم؛ وبولس لم يشكّك بهذا الرباط، بل بالاحرى يوافقه تمامًا، ولكن وفق التقليد الرؤيوي اليهودي الذي اعتبر أن هناك أورشليم اثنتين. وبالفعل، فان الرؤى طوّرت التفكير حول أورشليم: فمن أورشليم، المدينة النموذجيّة المستقبليّة، إلى أورشليم السماويّة؛ ومن أورشليم المسيحانيّة، إلى أورشليم النازلة من السماء. وهكذا يتبنى بولس هذه الأفكار، فيميّز بين أورشليم الحاليّة وأورشليم العليا.

لقد قدّم نص أش ٥٤: ١، بحسب الترجمة السبعينيّة، الفرصة لبولس لتبرير هذا التمييز، ومطابقة أورشليم العليا مع الجماعة المسيحيّة. ويتوجّه نص أشعيا إلى أورشليم دون أن يسمّيها؛ ذلك ان بولس قرأ فيها نجاح شعب الوعد، وهو يرى المسيحيين، افراده، ينمون ويكثرون. ولكي يستخدم بولس نص أش ٥٤: ١، استند إلى قاعدة لقراءة الاسفار، تسمح للقارئ بتقريب نصّين يتضمّنان عبارة واحدة، بحيث بشرح أحدهما الآخر. ففي الحالة التي نحن بصددها، تلعب عبارة "**العاقر**" دور الوصل، إذ ان المرأة التي تلد بالموعد، وأورشليم العليا، كانتا كلتاهما عاقرين، وكلتاهما حصلتا على اولاد كثر.

وتذهب الاسفار المقدسة إلى أبعد من هذه التطابقات. فبولس يستعمل في النهاية تقليدًا يحوّل اللعب بين ابنَي ابراهيم، في تك ٢١:٩-١٠، إلى سخرية، لا بل إلى "اضطهاد" يمارسه اسماعيل بحق اسحق؛ ويرى فيه أصل عنف سارة ضد إسماعيل. والحال، فان الاضطهاد مستمر، على حد تعبير بولس، يمارسه المتهوّدون تجاه الأحرار (راجع مجمع أورشليم وحادث أنطاكيا والحالة في غلاطية)؛ وتجاه المضطهِدين، يفرض نفسه موقف سارة في تكوين ٢١:١٠: "**أرسل هذه الأمة وابنها**". وكانَ يجب ألا يتواطأ الغلاطيون، بأي وجه من الوجوه، مع أعداء بولس، بل كان يترتب عليهم أن يبعدوهم. لكن الاضطهاد الذي مارسه المتهوّدون لا يخلُو من فائدة، لأنه ساهم في اعتبار المسيحيين اولاداً حقيقيين للمرأة الحرّة؛ فهم ما زالوا يعانون اليوم ما عاناه إسحق من قبل.

القسم الثالث

الحياة المسيحيّة والروح
تبرير، حياة يوميّة، دينونة
(٥:١ -٦:١٠)

ختم الروح القدس حياة الجماعة المسيحيّة منذ بدايتها. كان بولس، في روم ٣-٤، قد بقي على المستوى النظري؛ أما في هذا القسم الثالث، فيُظهر كيف أن الروح حاضر في كل مراحل حياة المؤمنين: في التبرير (٥:١-١٢) وفي الحياة اليوميّة (٥:١٣-٢٦) وفي الدينونة (٦:١-١٠).

بفضل القراءة الرمزيّة التي ختمت الفصل الرابع، بدت الحريّة ميزة الحياة المسيحيّة. في المقطعين الأوّلين، يحذّر الرسول من الأخطار التي تتهدّد الحريّة: خطر التخلي عن الحريّة للعودة إلى العبوديّة (٥:١ب)، وخطر سوء استخدامها (٥:١٣ب). وحده الروح يمكّن المؤمن من أن يحسن استخدامها. يُفتتح المقطعان الأولان بعبارتين متقاربتين إلى حد ما (٥:١أ و ١٣أ): الأولى تؤكد ان "**المسيح حرّرنا تحريرًا**"، وهي بنية آرامية للتشديد، مفادها: **إن كان المسيح قد حرّرنا، فذلك لكي نكون أحرارًا بالفعل** (آ١أ). والثانية هي دعوة للغلاطيين: "**إنكم دعيتم إلى الحريّة**" (آ١٣أ). وفيما طُبّقت العبارة، في آ١، على كلّ المسيحيّين، هوذا بولس، في آ١٣، يشدد على دعوة الغلاطيّين إلى الحريّة، مع تحذيره اياهم من التراخي، وهكذا يستبق اعتراضًا كان يمكن أن يُوجَّه إليه. وفي الآيتين نجد أفعالاً تعيدنا إلى أحداثٍ محدّدة جرت في الماضي؛ ففي آ١ تأمل بولس بموت المسيح وقيامته بصفتهما مبدأ التبرير، اما في آ١٣، فيذكّر جماعات غلاطية حين تلقت في البداية بشارة الإيمان.

الروح، والأمانة للرجاء المولود من التبرير (٥:١ -١٢)

٥ ١ إِنَّ المسيحَ قد حَرَّرَنا تَحْريرًا. فاثبُتوا إِذًا ولا تَدَعوا أَحَدًا يَعودُ بِكُم إِلى نيرِ العُبودِيَّة.

٢ **فهاءَنذا بولُسُ أَقولُ لَكم: إذا اختَتنتُم، فلَن يُفيدَكُمُ المسيحُ شَيئًا.**
٣ **وأَشهَدُ مَرَّةً أُخرى لِكُلِّ مُختَتِنٍ بأَنَّه مُلزَمٌ أَن يَعمَلَ بالشَّريعةِ جَمْعاء.**
٤ **لَقَدِ انقَطَعتُم عنِ المسيح، أَنتُمُ الَّذينَ يَلتَمِسونَ البِرَّ مِنَ الشَّريعة، وسَقَطتُم عنِ النِّعمَة.**
٥ **فنَحنُ بالرُّوحِ نَنتَظِرُ ما نَرجوهُ مِنَ البِرِّ الآتي مِنَ الإِيمان.**
٦ **ففي المَسيحِ يسوعَ لا قِيمةَ لِلخِتانِ ولا لِلقَلَف، وإِنَّما القِيمةُ لِلإِيمانِ العامِلِ بالمَحبَّة.**
٧ **ما أَحسَنَ ما كانَ جَريُكُم! فمَنِ الَّذي حالَ دونَ إِذْعانكم لِلحقّ؟**
٨ **لَيسَ ما اقتَنَعتُم به مِنَ الَّذي يَدْعوكم.**
٩ **قَليلٌ مِنَ الخَميرِ يُخَمِّرُ العَجينَ كُلَّه.**
١٠ **وإِنِّي لَواثِقٌ بالرَّبِّ في شأنكم أَنَّكم لن تَرَوا رأيًا آخَر. أَمَّا الَّذي يُلْقي البَلبَلَةَ بينَكم فَسيَتَحَمَّلُ عِقابَه، أَيًّا كانَ.**
١١ **وأَنا، أَيُّها الإِخوَة، إذا كُنتُ إِلى اليَومِ أَدْعو إِلى الخِتان، فَلِمَ أُضطَهَدُ إِلى اليَوم؟ فَلَقَد زالَ العِثارُ الَّذي في الصَّليب!**
١٢ **لَيتَ الَّذينَ يُثيرونَ الاضطِرابَ بَينَكم يَجُبُّونَ أَنْفُسَهم!**

الآية الافتتاحيّة هي تذكير للغلاطيّين بدور المسيح المركزي في وصولهم إلى الحريّة (آ١ أ). وعلى دفعتين، يناشد بولس الغلاطيّين (آ٢أ، ٧) الذين يتعرضون لخطر الوقوع في شباك المتهوّدين. هناك وحدتان تحومان حول التأنيب (آ١-٦) والتساؤل (٧-١٢). يفتتح بولس الوحدة الأولى (١-٦)، ويختمها بالتذكير بأسس الإيمان المسيحي: لقد حرّر المسيح المؤمنين (آ١) الذين يعمل إيمانهم بالمحبّة (آ٦). ويعبِّر عن معطيات الايمان الاساسية بضمير الجمع المتكلّم. ذلك هو ايمان المؤمنين الذين ينضم إليهم بولس؛ أما آ ١ب-٤، فتشكّل تحذيرًا للغلاطيّين. لقد سمعوا بشارة الإيمان من دون أن يختتنوا، فأظهروا تعلّقهم الكامل بيسوع المسيح، وهو بالنسبة لهم مصدر التبرير الوحيد. فإن اختتنوا تحت ضغوط أعداء بولس، سيُظهرون بوضوح أنهم قطعوا علاقاتهم بالمسيح، وسقطوا من النعمة، لأنهم يبحثون عن مبدأ آخر للتبرير يرتكز على الشريعة. لذا يدعو بولس الغلاطيّين إلى المقاومة، كما فعل هو بالذات أثناء مجمع أورشليم، يوم كان "**الإخوة الكذّابون المتطفّلون**" (٢:٤) يتجسّسون الحريّة المسيحيّة. لقد كان تيطس بمثابة تأكيد حي للحريّة المسيحيّة، وهكذا ينبغي ان يكون الغلاطيّون اليوم؛ فإن هم استسلموا، سيبدون وكأنهم ينفون التحرير الذي حقّقه المسيح. لذا سعى بولس إلى إبعاد هذا الخطر، مذكّرا قراءه بأن من يضع ذاته تحت حكم الشريعة، سيكون ملزَماً بتتميم كل وصاياها.

وبهدف تقوية إرادة الغلاطيّين بالمقاومة، يبرز بولس برهانين يبدأهما بـ "**لأن**" (آ٥ وقد جاءت في بعض الترجمات العربيّة "فـ"؛ وآ٦). يذكّر بولس بالطريق الذي

يتبعها المؤمنون (**نحن**) بقوله: "**فنحن (لأننا) بالروح ننتظر ما نرجوه من البر الآتي من الإيمان**" (آ٥). ففي مقابل الختان، ومقابل الشريعة كمبدأ تبرير، يُدخِل بولس الحقائق التي تطبع الحياة المسيحيّة وتتمثّل بـ: الروح والإيمان. وتبرز أهميّة هاتين المفردتين من خلال المكان الذي تأخذانه في بداية الجملة، ومن خلال تناقضهما مع مبادئ التبرير المذكورة آنفًا. فالروح يلعب دورًا جوهريًّا في هذا الزمن الذي افتتحه التبرير ويقود إلى الملء. أما المسيحي الذي يحرّكه الروح –قد تحوّل بالنعمة– فهو يحيا، منذ الآن، الملكوت، موضوع الرجاء، إذ يمكّنه البرّ من ان يصبو إليه. فان جديد الحياة المسيحيّة لا يتأتّى من الختانة أو من عدمها، بل من الإيمان العامل بالمحبّة. ومثل هذا المبدأ المؤسِّس للحياة المسيحيّة، كان يجب أن يعيد الغلاطيّين إلى رشدهم.

في آ٧–١٢، يهدّد بولس من يمارسون الضغوط على الغلاطيّين، لأنهم المسؤولون الحقيقيّون عن مأساة كنائس غلاطية؛ ويسأل الغلاطيّين عمّن يحوّلهم عن البشارة الأصليّة (في آ٧ سؤال مشابه لسؤال ٣:١). إن **حقيقة البشارة** هي الأمانة للمسيح، مصدر الخلاص الأوحد، لكنّها أيضًا الأمانة لما يوحيه الروح من رجاء، ولقد دافع بولس عن هذه الحقيقة في مجمع أورشليم. وإذا كان الضلال لم يطَل عددًا كبيرًا بعد، لكن الخطر حاضر بالفعل، لأنه يكفي أن يقع عدد قليل لتطال العدوى الجماعة بكاملها (آ٩). ومع ذلك، لم يفقد بولس شيئًا من ثقته بالرب يسوع الذي يسهر على الجماعة. وبولس، في تحذيره المليء بالتهديد لمن يحوّل الجماعة عن الإنجيل، يستبعد بشدّة تلميحًا ملغوماً. ذلك ان البعض، في مسعى لإبعاد الغلاطيّين عن حقيقة البشارة، لمّحوا بأن بولس نفسه ليس حازماً بالمقدار الذي يدّعيه، وبأنه يبشّر أحيانًا بالختانة. وكان الجواب الافضل على افتراء كهذا، هو الاضطهاد الذي تعرّض له. فلو كان الاتّهام صحيحًا، لما شن أعداؤه الحرب ضده، وبهذه الضراوة.

حريّة وروح ومحبّة (٥:١٣-٢٦)

١٣ **إِنَّكم، أَيُّها الإِخوَة، قد دُعيتُم إِلى الحُرِّيَّة، بشَرطٍ واحِدٍ وهو أَن لا تَجعَلوا هذِه الحُرِّيَّة فُرصَةً لِلجَسَد، بل بفَضلِ المَحَبَّةِ اخدِموا بَعضُكم بَعضًا،**
١٤ **لأَنَّ تمامَ الشَّريعةِ كُلِّها في هذهِ الكَلِمةِ الواحِدة: *"أَحبِبْ قَريبَكَ حُبَّكَ لِنَفْسكَ"*.**
١٥ **فإذا كُنتُم تَنهَشونَ وتَأكُلونَ بَعضُكم بَعضًا، فاحذَروا أَن يُفنِيَ بَعضُكم بَعضًا.**
١٦ **وأَقول: اسلُكوا سَبيلَ الرُّوح فَلا تَقْضوا شَهوَةَ الجَسَد،**

١٧ لأَنَّ الجَسَدَ يَشتَهي ما يُخالِفُ الرُّوح، والرُّوحَ يَشتَهي ما يُخالِفُ الجَسَد: كِلاهُما يُقاوِمُ الآخَرَ حتَّى إِنَّكم تَعمَلونَ ما لا تُريدون.
١٨ ولكِن إِذا كانَ الرُّوح يَقودُكم، فلَستُم في حُكْمِ الشَّريعة.
١٩ وأَمَّا أَعمالُ الجَسَد فإِنَّها ظاهِرَة، وهي الزِّنى والدَّعارةُ والفُجور
٢٠ وعِبادةُ الأَوثانِ والسِّحرُ والعَداوات والخِصامُ والحَسَدُ والسُّخطُ والمُنازَعاتُ والشِّقاقُ والتَّشيُّع
٢١ والحَسَدُ والسُّكْرُ والقَصْفُ وما أَشبَه. وأُنبِّهُكم، كما نَبَّهتُكم مِن قَبْلُ، على أَنَّ الَّذينَ يَعمَلونَ مِثلَ هذهِ الأَعمال لا يَرِثونَ مَلَكوتَ الله.
٢٢ أَمَّا ثَمَرُ الرُّوح فهو المَحبَّةُ والفَرَحُ والسَّلام والصَّبْرُ واللُّطْفُ وكَرَمُ الأَخْلاق والإِيمانُ
٢٣ والوَداعةُ والعَفاف. وهذهِ الأَشياءُ ما مِن شَريعةٍ تَتَعرَّضُ لَها.
٢٤ إِنَّ الَّذينَ هم لِلمَسيحِ يَسوعَ قد صَلَبوا الجَسَدَ وما فيهِ مِن أَهْواءٍ وشَهَوات.
٢٥ فإِذا كُنَّا نَحْيا حَياةَ الرُّوح، فلْنَسِرْ أَيضًا سيرَةَ الرُّوح:
٢٦ لا نُعجَبْ بِأَنْفُسِنا ولا يَتحَدَّ ولا يَحسُدْ بَعضُنا بَعضًا.

جسد / لحم

ترد كلمة "جسد"، بمعانيها المختلفة، ٢٦ مرّة في الرسالة إلى الرومانيّين، و١٨ مرّة في الرسالة إلى الغلاطيين.

- تدلّ الكلمة على الإنسان في ضعفه وطابعه المؤقّت وإنسانيّته. وتدل عبارة "كل بشر" على الحالة الإنسانيّة التي لا ينجو منها أحد: "**الإنسان (ذو جسد) لا يبرَّر بالعمل بإحكام الشريعة**" (غل ٢:١٦). ويستعمل الرسول هذه الكلمة أيضًا للكلام عن يسوع أو عن نفسه، فيسوع هو ابن داود "بحسب الجسد" (روم ١:٣)، وبولس تألم بجسده (غل ٤:١٣-١٤؛ **راجع الإطار: الكائن البشري بحسب بولس**).

- يتميّز الإنسان بعدم ثباته، وقد استعبدته بالأكثر الخطيئة التي استقرّت فيه مع كل رغباتها (روم ٧:٥). فالجسد ليس الخطيئة، لكنّه السبيل الذي تسلكه الخطيئة للتسلّل إلى الإنسان. فالجسد الذي تتلاعب به الخطيئة -والتي بدورها تستخدم الشريعة- يُفرز أعمالاً تمنعه من أن يرث ملكوت الله (غل ٥:١٩-٢١).

- لكن الله "**هدم الخطيئة في الإنسان الجسدي**" بإرساله "**ابنه في جسد يشبه جسدنا الخاطئ... فحكم على الخطيئة**" (روم ٨:٣). بهذا العمل الحاسم يكون "**الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد**" (غل ٥:٢٤أ). فبالسر الفصحي، حوّل المسيح الحالة الإنسانيّة، ولم يعد المسيحي خاضعًا للخطيئة التي تستخدم الضعف البشري، بل صار منقادًا للروح الذي بوسعه ان يثمر فيه ثمار المحبّة.

هذا المقطع هو الشق الثاني من فكر بولس حول الحرّيّة ومخاطرها. إذ بإمكان فهم خاطئ للحريّة أن يفتح الباب بوجه الأنانيّة، والانكفاء على الذات (الجسد). وتجاه هذا الخطر، يقترح بولس دواءً فعّالاً: المحبّة التي يحّركها الروح. والآيات ١٦-٢٥ بُنيت وفق نموذج مميّز يضع موازاة بين الحياة تحت تأثير الجسد، والحياة بقوّة الروح. ومن المحبَّذ أن تُربط آ٢٦ بهذا المقطع، لأنها تتوجّه، على مثال آ٢٥، إلى كل المسيحيّين، سيما وانها تشكّل شبه خاتمة تصدي للآيات آ١٣-١٥ الافتتاحية (حيث يُشدَّد على المحبة المتبادلة، من خلال عبارة "بعضنا بعضًا"، ثلاث مرات في آ١٣-١٥، ومرّتين في آ٢٦).

ومن جديد، يتوجّه بولس إلى مسيحيّي غلاطية، مشدِّدًا على الروابط التي لا زالوا يحافظون عليها معه (**إخوة**): انهم ينتمون إلى عائلة واحدة، و لم تتكرس القطيعة بينهم بعد (آ١٣-١٥). فها هو يذكّرهم بدعوتهم الحقيقيّة، الحرية، وهي تقوم على اغتباط كل شخص في خدمته للآخرين؛ ويقترح بولس ملخَّصًا للشريعة يكون أساسًا كتابيًا لوجهة نظره، فوجده في نص اح ١٩:١٨، هذا النص الذي يجد فيه بعض اليهود "مبدأ أساسيًا للشريعة" (TOB). ولقد وضع التقليد الإزائي (متى ٢٢:٣٧-٣٩ وما يقابله) هذا النص، بعد ربطه بنص تث ٦:٥، على لسان يسوع. ويشارك بولس العديد من المعلّمين اليهود في همّهم؛ انه يعطي مبدأ يلخّص كل الشريعة، لكنّه لا يدعو إلى التوسع في دراسته. واكتفى بالتلميح إلى التمزّقات في الجماعة (آ١٥)، ولكن في مفردات موجزة لا تسمح بتحديد دوافع مختلف المتنازعين.

وبوسع اللوحة ادناه أن تبرز بنية الآيات ١٦-٢٥ المتناغمة والتي تضع آ٢١ب في المركز: "**من يعملون هذه الأعمال لا يرثون ملكوت الله**". وبالمقابل، يمكن لقراء بولس أن يستنتجوا بأن الحياة بقيادة الروح هي الشرط للدخول في الملكوت.

آ١٦أ **وأقول** (مقدّمة احتفاليّة)
١٦ب للغلاطيّين: **أسلكوا سبيل الروح**
١٧ تناقض جذري: جسد / روح (غير مشخَّص)
+ نتائج للغلاطيّين
١٨: روح / شريعة
١٩-٢١أ: ***أما أعمال الجسد، فإنها ظاهرة وهي:***
٢١ب: تحذير جذري
٢٢-٢٣أ: ***أما ثمر الروح فهو***
٢٣ب: **هذه الأشياء، ما من شريعة تتعرّض لها**
٢٤: هدم الجسد
٢٥ لكلّ المؤمنين: **فلنسر أيضًا سيرة الروح**

تحيط آ١٦-١٧ و ٢٤-٢٥ بالوسط المحوري (آ١٩-٢٣أ)؛ وهي تبرز التناقض بين الجسد/الروح، وتعلن هزيمة الجسد، أي القوة التي تحرّك الإنسان عندما يستسلم لقواه وحدها، فيكون بالتالي معرّضًا للخطيئة. ويُفتتح النص بدعوة موجّهة إلى الغلاطيّين، ويُختَتم بدعوة إلى كل الجماعة المسيحيّة. وفيما تؤكّد آ١٦ج، ضرورة السير **بإلهام الروح** للهرب من شهوة الجسد؛ تتطلع آ٢٥ب إلى حالة جديدة كليًّا، لان "**الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الجسد وما فيه من أهواء وشهوات**". وهكذا صار الجسد عاجزًا تماما، ولن يكون بالامكان ان تصدر عنه بعض المفاعيل الشريرة، إلا بمقدار ما لا يسمح المؤمنُ للروح ان يعمل فيه. اما الفعل، في آ٢٥، "لنسر سيرة الروح"، فيشدّد على مسؤوليّة الإنسان، ويشير إلى فكرة التناغم والاتّفاق بين المسيحيّين والروح، وقد أوردنا في المخطط ترجمة تحترم هذه التفاصيل.

تشكّل الآية ٢٦ دعوة أخيرة موجّهة إلى أعضاء الجماعة المسيحيّة بشكل عام، وإلى الغلاطيّين بشكل خاص، كي لا يَدَعوا الانقسام يتسربُ إليهم. فبولس لا يهمل أبدًا التذكير بمسؤوليّة المؤمنين في تصرّفهم، إذ إن بإمكانهم دائمًا أن يُبطِلوا مفاعيل عمل الروح فيهم.

هناك عنصران متناقضان للعمل يسيطران على المؤمن، هما الجسد والروح؛ "**فأعمال**" الجسد العديدة، يقابلها "**ثمر الروح**". وتدل "**الأعمال**" على فعل الإنسان الذي يريد تتميم وصايا الشريعة، ولكنه يفشل، لأن الجسد يُخضعه لضغوطات لا تقاوَم. وهذه الأعمال المعروفة والظاهرة هي أيضًا تلك التي يضعها، في المقدمة، المختون الخاضع للشريعة. وتجدر الاشارة إلى ان بولس لا يستعمل صفة "**ظاهر**" في حديثه عن "ثمر الروح"، لأن مفاعيله ليست بديهية، ولا يضع في المقدمة ايا منها. إذ ان "ثمر الروح" هو في صيغة المفرد، لأن الروح هو الذي يحقّق الوحدة في المؤمن كما في الجماعة؛ فهو لا يعطي إلا ثمرة واحدة، هي المحبّة، مصدر كل تصرّف مسيحي. اما "**أعمال الجسد**" والتي تُعَدَّد بعضها تلو البعض، فهي تدعو إلى التشتّت. وعلى العكس، فان ما يميّز الحياة التي يقودها الروح، يأتي في ثلاث مجموعات تتألّف كل منها من ثلاث مفردات.

وفي قلب تواز تضاددي بين الجسد والروح، تذكّر آ١٨ بحالة المسيحيين الجديدة: فما دام الروح يقودهم، لن يعودوا "في حكم الشريعة" (أنظر العبارة عينها في ٣:٢٣؛ ٤:٤-٥، ٢١) التي كانت تضغط عليهم قبلاً، كقوّة خارجيّة تجبرهم على العمل، دون أن تعطيهم القدرة على تحقيق ما هو مطلوب. أما من الآن فصاعدا، فإن قوة داخليّة تقود المسيحيّين، و لم يعد بإمكان الخطيئة أن تستخدم الشريعة لتقودهم نحو الشر، مستغلة ضعفهم.

حياة بالروح وديبنونة الله (٦: ١-١٠)

٦ ١ أَيُّها الإِخوَة، إن وَقعَ أَحَدٌ في فَخِّ الخَطيئَة، فأَصلِحوه أَنتُمُ الرُّوحِيِّينَ بروحِ الوَداعة. وحَذارِ أَنتَ مِن نَفْسكَ لِئلاَّ تُجرَّبَ أَنتَ أَيضًا.
٢ لِيَحمِلْ بَعضُكم أَثْقالَ بَعض وأَتِمُّوا هكذا العَمَلَ بشَريعةِ المسيح.
٣ فإِن ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّه شَيءٌ، مع أَنَّه لَيسَ بشَيء، فقَد خَدَعَ نَفْسَه.
٤ فلْيَنظُرْ كُلُّ واحِدٍ في عَمَلِه هو، فيَكونَ افتِخارُه حينَئذٍ بما يَخُصُّه مِن أَعْمالِه فحَسْبُ، لا بالنَّظَرِ إِلى أَعمالِ غَيرِه،
٥ فإِنَّ كُلَّ واحِدٍ يَحمِلُ حِمْلَه.
٦ فلْيُشرِكْ مَن يتعلَّمُ كَلِمَةَ الله مُعلِّمَه في جَميعِ خَيراتِه.
٧ لا تَضِلُّوا فإِنَّ اللّهَ لا يُسخَرُ مِنه، وإِنَّما يَحصُدُ الإِنسانُ ما يَزرَع .
٨ فمَن زَرَعَ لِجَسَدِه حَصَدَ مِنَ الجَسَدِ الفَساد، ومَن زَرَعَ لِلرُّوح حَصَدَ مِنَ الرّوحِ الحَياةَ الأَبدِيَّة.
٩ فَلْنَعْمَلِ الخَيرَ ولا نَمَلَّ، فنَحصُدَ في الأَوانِ إِن لم نَكِلّ.
١٠ فما دامَت لَنا الفُرْصَةُ إِذًا، فلْنَصنعِ الخَيرَ إِلَى جَميعِ النَّاس ولاسِيَّما إِلى إِخوَتِنا في الإِيمان .

المحبّة هي ثمرة الروح بامتياز. لذا يدلّ بولس، في هذه الآيات، على بعض السبل العمليّة لعيش المحبّة في الحياة الجماعيّة. تشكّل آ١ مقدّمة تدعو إلى قبول الأخ الذي يقع، وإلى القيام بعمل الرحمة بروح الوداعة، لأن الذي يبادر إلى هذا العمل، هو ذاته معرّض للتجربة. وتحدّد آ٢-٦ التصرف الذي يتعين به إصلاحٌ كهذا، في حين تؤكد آ٧-١٠ على أن كل عمل يجري بحسب دينونة الله.

تتناول (آ١-٦) شروط الإصلاح الأخوي. وتدهشنا مناشدة "**الروحيّين**" بعض الشيء، لأن الكنيسة الأولى لم تستعمل هذه التسمية أبدًا للدلالة على أعضاء الجماعة، مع ان بولس لا يستعملها بتهكّم؛ فلقد كان، في الواقع، قد رسم، في ٥: ١٦-٢٥، موازاة تضادديّة بين "**أعمال الجسد**" و"**ثمر الروح**". لذا فبتوجّهه إلى الغلاطيّين على هذا النحو، يعبّر عن ميزة الجماعة الأساسيّة: أعضاؤها منقادون للروح، فهم بالتالي أمام مسؤوليّاتهم. وفي جماعة ينعشها الروح، قد يوجد بعض الذين يتخاذلون، لأن المسيحي يظلّ خاضعًا لقوى معادية. لكن التحذير الموجه إلى الأخ الخاطئ -وهو موقف يفترض التواضع- لا يمكن أن يتحقّق إلا داخل حياة يقودها الروح، وقد قبلته الجماعة مع قبولها البشارة. فالإصلاح الأخوي هو جزء من المساندة التي يُطلب من المسيحيّين أن يقدّموها بعضهم

لبعض، فيتمّمون بذلك شريعة المسيح، أي شريعة المحبّة التي يُحتفل بها بصفتها ثمرة الروح. وهذه الشريعة تفرض على أعضاء الجماعة أن ينقادوا للروح. لكن ممارسة الإصلاح الأخوي وحمل همّ الإخوة، يفترضان من صاحب المبادرة ألا يصاب بالوهم هو نفسه. لذلك وجّه بولس في آ١ تحذيرًا في صيغة المخاطب المفرد: "**حذار أنت من نفسك لئلا تُجرَّب أنت أيضًا**".

ويجب ان ينتفي من أعضاء الجماعة روح التنافس الذي يتولّد من المقارنة، فكلٌّ واحد مسؤول عن نفسه. وقبل التوسّع في فكرته حول الدينونة التي يخضع لها كلّ مؤمن، يدعو بولس إلى المشاركة بين أعضاء الجماعة، فيعطي أحدهم التعليم، والآخر يقاسم خيراته الماديّة (آ٦). ويتميز التعليم عن إعلان البشارة الأولى؛ إنه تعليم يهدف إلى النموّ في الحياة المسيحيّة. ويشدّد بولس على تبادل الخيرات المختلفة، معلقاً عليه أهمّيّة كبيرة. انه المبدأ الذي حرّك التبرّعات التي قدَّمها الوثنيون المسيحيون، تعبيرا عن شكرهم، إلى جماعة أورشليم التي كانت في أصل البشارة. لكن بولس، في هذه الحالة الخاصة، يربط التعليم بالإصلاح الأخوي. لذا حذّر في آ٣-٥ ذاك الذي يمارس الاصلاح، مبيناً المخاطر التي يتعرّض لها؛ وفي آ٦ توجّه نحو من يتلقّى الإصلاح.

لقد جعل بولس "**أعمال الجسد**" بازاء "**ثمر الروح**"؛ وهكذا بدا الجسد والروح بمثابة قوّتين تحرّكان حياة البشر. إلا ان بوسع هذ التعبير البولسي أن يُفهم بشكل خاطئ، وكأنّ كلاً من القوّتين تتلاعب بالبشر عامة، وبالمؤمنين خاصة. ففي هذه الوحدة (آ٧-١٠)، رفع بولس كل إبهام او سوء فهم، مؤكدا، بان كلّ إنسان ينال الجزاء الذي تستحقه أعماله. فالروح هو حقا مصدر حياة المؤمن، لكن حضوره لا ينفي البتة مسؤوليّة المؤمن. فالحصاد هو على مقدار الزرع.

وبُنيت آ٨ على تناقض: "**من زرع لجسده حصد من الجسد الفساد، ومن زرع للروح حصد من الروح الحياة الأبديّة**". والحصاد هو صورة شائعة في العهد الجديد، تدلّ على الدينونة. فمن يختار أعمالاً تتماشى مع الجسد، يُفرز انقسامًا في داخله وفي داخل الجماعة؛ وبالاكثر، يسير نحو السقوط النهائي، والموت الأبدي. أما الإنسان الذي يستسلم لقيادة الروح، فإنّه يتوحّد في ذاته ويُدخِل التناغم إلى الجماعة، ومن ثم ينتظر الحياة الأبديّة بكلّ صفاء. وتُظهِر بنية آ٨ التضاديّة بوضوح معنى "الزرع للجسد" (زرعٌ بشريٌ صرف)، أي الانكفاء على الذات؛ فالذي يزرع لجسده هو الذي يجعل من نفسه حاكما على كلّ شيء، دون العودة إلى من هو الآخر. وبالعكس، فان "الزرع الروحي" يميز الإنسان المنفتح على أخيه وعلى دينونة الله، ولا يدّعي أنّه مقياس كل خير.

بعد هذا التذكير بالدينونة التي تنتظر كل إنسان، يدعو بولس، للمرّة الأخيرة، إلى ممارسة الخير دائمًا؛ وفي عبارة "الخير" هذه، عودة إلى الحياة الجماعية المذكورة في افتتاحيّة المقطع: الإصلاح الأخوي والمساندة المتبادلة. وإن الثبات في الخير هو من ميزات الحياة بالروح. اما "الزمن" فهو زمن الدينونة (آ٩: **في الأوان**) الخاضع لإرادة الله، لكنّه أيضًا زمن الحياة اليوميّة (آ١٠: **لنا الفرصة**).

خاتمة

إمضاء الرسول وملخّص فكره (٦: ١١ -١٨)

١١ **أُنظُروا ما أَكبَرَ الحُروفَ الَّتي أَخُطُّها لَكم بيَدي.**
١٢ **إنَّ أُولئِكَ الَّذينَ يُريدون تَبْييضَ وُجوهِهِم في الأُمورِ البَشَرِيَّة همُ الَّذينَ يُلزِمونَكمُ الخِتان، وما ذاكَ إلاَّ لِيَأمَنوا الاِضْطهادَ في سَبيلِ صَليب المسيح،**
١٣ **فإِنَّ المُختَتَنينَ أَنفُسَهم لا يَحفَظونَ الشَّريعة، ولكِنَّهم يُريدونَ أَن تَختَتِنوا لِيُفاخِروا بجَسَدِكم.**
١٤ **أَمَّا أَنا فمَعاذَ اللهِ أَن أَفتَخِرَ إلاَّ بصَليبِ رَبِّنا يسوعَ المسيح! وفيه أَصبَحَ العالَمُ مَصْلوبًا عِنْدي، وأَصبَحتُ أَنا مَصْلوبًا عِندَ العالَم.**
١٥ **فما الخِتانُ بشَيء ولا القَلَفُ بشَيء، بلِ الشَّيءُ هو الخَلْقُ الجَديد.**
١٦ **والسَّلامُ والرَّحمَةُ على الَّذينَ يَسيرونَ على هذِه الطَّريقَة وعلى إِسْرائيلِ الله.**
١٧ **فلا يُنغِّصَنَّ أَحَدٌ عَيْشي بَعدَ اليَوم، فإِنِّي أَحمِلُ في جَسَدي سِماتِ يسوع.**
١٨ **فعَلى رُوحِكم، أَيُّها الإِخوَة، نِعمَةُ رَبِّنا يسوعَ المسيح . آمين**

يصادق بولس على الرسالة بكتابته بضعة أسطر بخط يده، وبأحرف كبيرة؛ وهو بذلك يذكّر بجوهر فكرته. لقد كان من عادة الكتّاب الأقدمين، بالفعل، التصديق على نص املوه، بكتابة بعض الجمل الختامية بخط أيديهم، وتذييلها بالخطوط العريضة للأفكار العزيزة عليهم. فضلا عن اننا نجد في هذه الآيات تكرارًا لعناصر عديدة من الرسالة، مع الحرص على إظهار التناقض بين من يسعى إلى الافتخار بزيادة مختون (آ١٢-١٣)، وبين من لا يفخر إلا بصليب ربّنا يسوع المسيح (آ١٤-١٨).

ينتمي الخصوم إلى عالم جسدي منغلق على نفسه، ولا قدرة له للانفتاح على الروح الذي تحركه بشارة الصليب (آ١٢-١٣). والحال، ان الغلاطيّين هم أمام تجربة عالم الجسد هذا (٣:٣)، المتميّز بانغلاقه على ذاته (راجع ٦:٨أ)، وبالفوضى (٥:١٩-٢١أ)؛ إنهم في الواقع ضحايا، لأن الخصوم لا يسعون من أجل سعادة الجماعة المؤمنة، بل

لمصلحتهم الخاصة. فالذين يضغطون على الغلاطيّين ليختتنوا، يريدون تحاشي الاضطهاد الذي يجلبه صليب المسيح (٥:١١). إنهم في الواقع، لا يبحثون عن تتميم الشريعة (راجع ٣:١٠؛ ٥:٣)، بل يكفيهم أن يكونوا مختونين وأن يُعلوا شأن الختان؛ كما انهم يسعون إلى إقناع الغلاطيّين بالختان ليظهروا، بالدرجة الاولى، نجاحهم. فهدفهم إذًا هو الكبرياء، على العكس تماماً من بولس الذي لا يسعى سوى الى الافتخار بصليب المسيح. ذلك أن المؤمنين، باختيارهم البر الذي يعطيه صليب المسيح، يعرّضون أنفسهم لغضب اليهود، إضافة إلى عقاب الرومان الذين جعلوا من اليهوديّة "ديانة مسموحة"، وبذلك منحوا إطارًا شرعيًا للمختونين. فالتفسير الذي يعطيه بولس للإنجيل، يجعل من المسيحيّين من أصل وثني، خارجين عن القانون، لأنهم ارتدوا عن الطقوس التقليديّة من جهة، ولم يقتبلوا الختان من جهة أخرى.

في بداية الوحدة ونهايتها (آ١٤-١٨) ، يشدد بولس على شراكته في صليب المسيح. انه على طرفي نقيض مع المتهوّدين، لأنه لا ينتمي إلى عالم الجسد، بل يتعلّق بصليب الرب يسوع المسيح. وهكذا يرتسم تضاد واضح بين الجسد والصليب، ولا شك ان الصليب هو من جهة الروح. ويرى بولس في التعلّق بصليب المسيح دافعاً حقيقيًا للافتخار، ويعبّر عن ذلك بشكل أمنية وصلاة والتزام (آ١٤أ). وبهذا القول، يعود إلى عبارة قريبة جدا من القول الذي صاغه في ٢:١٩. فبالصليب، صُلب العالم إلى الأبد مع كل تأكيداته، ولم يعد بالإمكان انتظار أي شيء منها. في هذا الوقت، تمّت بين الرسول والعالم قطيعة كاملة، وأُلغي كل ما يمكن أن يشكّل جاذبًا إنسانيًا أو ضمانا آتيا من العالم. لكن الرسول، كما فعل في ٥:٦، لا يأخذ موقفًا ضد الختان، لأن المهمّ هو "**الخليقة الجديدة**" التي يمكن أن تتمّ ، سواء بالختان أم بدونه؛ فهو لا يمنع مسيحيًا من أصل يهودي من أن يختن ابنه الوليد. فلقد صار مبدأ الخلاص خارج الختان، والخليقة الجديدة هي هذا العالم المولود من صليب المسيح والمخلوق به (**راجع الإطار: مسيح**)؛ إنه المجال الذي ينمو فيه ثمر الروح. وهذا العالم يتناقض جذريًا مع العالم المجدَّد بالروح.

فالذين يتعلّقون بصليب المسيح، وهم بالتالي خليقة جديدة، يتمنّى بولس، لهم و"**لاسرائيل الله الحقيقي**"، "**السلام والرحمة**". وهكذا يميّز بولس مجموعتين في قلب الجماعة المسيحيّة. ذلك ان "إسرائيل الله" ليس الجماعة المسيحيّة، لأن بولس لا يسمّي الكنيسة "إسرائيل الجديد" ولا يقيم أبدًا تضاداً بين "**إسرائيل الله**" وإسرائيل بحسب الجسد. إلا انه، في قلب الجماعة المسيحيّة، يبرز مكانة اليهود المسيحيين الخاصة. فمع

كونهم مختونين، فإنهم من أعضاء الخليقة الجديدة، لأن ما يهمّ ليس الختانة أو عدمها. وفي بركته، يميّز بولس اليهود المسيحيّين، لأنه، يخشى ان تمسّهم بأذى أفكاره ضد الاكتفاء بالختان وبالشريعة. وفي النهاية، ينفي الرسول كل دسّ قد يمارَس ضدّه، لأنه يحمل في جسده "سمات يسوع" التي عانى منها في عمله الرسولي.

وهوذا بولس على غير عادته، في سلامه الأخير، يكرر تسمية "**الإخوة**"، وهو بذلك يُظهر إرادته في إعادة بناء مناخ أخوي في كنائس غلاطية. والنعمة التي يتمنّاها بولس لقرائه هي عناية الله الفيّاضة، ومحبّته المجّانيّة، لمن يعطي، كما لمن يتلقّى. وتتجلى هذه النعمة دومًا في عطيّةٍ واقعيّة تخلق عرفان الجميل عند من يستفيد منها. ونستشف بأن النعمة التي يتمنّاها بولس، في الظروف الخاصة التي عرفتها كنائس غلاطية، هي الشراكة والأمانة لبشارة الإنجيل الأولى.

المحتوى

كلمة الناشر ٧

الرسالة إلى الرومانيين ٩

المقدمة ١١

مفتتح:

من الفرز لإعلان الإنجيل إلى تجذّر الإنجيل في روما (١:١-١٧) ١٧

تحيّة وسلام ١٧

من الشكر إلى تجدد الإنجيل (١:٨-١٥) ١٩

قوة الإنجيل الذي قُبل بالإيمان وشموليّته (١:١٦-١٧) ٢٠

الباب الأول

التبرير الشامل بالمسيح (١:١٨-٤:٢٥) ٢٣

من معصية البشر إلى تبرير المؤمنين - التحقق من تأكيدات ١:١٦-١٧ ٢٣

القسم الأول: اللاعدالة الكونيّة (١:١٨-٣:٢٠) ٢٥

مقدّمة: حالة من لا يعترف بالله (١:١٨-٣٢) ٢٦

تحذير: إسرائيل هو بمثابة تنبيه للمسيحيّين (٢:١-١٦) ٢٩

إسرائيل لا ينجو من القاعدة العامة. نظرة إلى الجماعة الحقة (٢:١٧-٢٩) ٣٣

جواب على اعتراضين ناجمين عن تأكيدات بولس (٣:١-٨) ٣٦

آراء بولس متجذّرة في الكتب (٣:٩-١٨) ٣٩

خاتمة (٣:١٩-٢٠) ٤١

القسم الثاني: برّ الله (٣: ٢١-٤: ٢٥) ٤٣

الطرح: البرّ بالإيمان بيسوع المسيح (٣: ٢١-٣١). ٤٣

منذ دعوة ابراهيم تحقّق التبرير بالإيمان. بولس لا يقول سوى ما تقوله الشريعة (٤:١-٢٥). ٤٨

ابراهيم أبو المؤمنين جميعًا، مختونين وغير مختونين (٤:١ -١٢). ٤٩
من ابراهيم إلى الجماعة المسيحيّة (٤:١٣ -٢٥) ٥١

الباب الثاني

من التبرير الى الخلاص (٥:١ - ١١:٣٦) ٥٥
شموليّة الخلاص بالمسيح المستند إلى محبّة الله وأمانته ٥٥

عمل الله في المسيح (٥:١ -٢١) ٥٧
من التبرير/ المصالحة إلى الخلاص بفعل محبة الله (٥:١ -١١) ٥٨
المسيح وخلاص كل البشر (٥:١٢ -٢١) ٦٠

القسم الأول: حالة الجماعة المسيحية، زمن توتر (٦:١ – ٨:٣٩) ٦٥
الجزء الأول: الخطيئة وفيض النعمة (٦:١ -٧:٦) ٦٥
توضيح أول: فيض النعمة الناتج عن ازدياد الخطيئة قد يدعو إلى البقاء في الخطيئة (٦:١ -١٤) ٦٦
توضيح ثانٍ: نظام النعمة لا يدعو إلى الخطيئة (٦:١٥ -٧:٦) ٦٩
الجزء الثاني: الخطيئة والشريعة (٧:٧ -٢٥) ٧٤
طبيعة الشريعة ودورها (٧:٧ -١٣) ٧٤
ليست الشريعة هي السبب، بل ضعف الإنسان (٧:١٤ -٢٥) ٧٦
من يقول "انا" في ٧:٧ -٢٥؟ ٧٩
الجزء الثالث: الخطيئة والروح. معنى الحياة بالروح (٨:١ -٣٩) ٨٠
الروح، دليل المؤمنين اليوم (٨:١ -١٧) ٨١
المسيحيّون متجهون نحو المجد الآتي (٨:١٨ -٣٠) ٨٥
محبة الله التي كُشفت بالمسيح، أساس شراكة المسيحيين مع الله (٨:٣١ -٣٩) ٨٩

القسم الثاني: حاضر إسرائيل ومستقبله (٩:١–١١:٣٦) ٩١
بالنظر إلى إرادة الله الخلاصيّة الكونيّة وإلى وجود الجماعة المسيحيّة ٩١
حالة مؤلمة (٩:١ -٥) ٩٢
الجزء الاول: حالة إسرائيل الراهنة ودعوة الوثنيين، تندرج في الكتب (٩:٦–١٠:٢١) ٩٤

منذ البدء، فرق بين ابناء الجسد وابناء الوعد (٦:٩ -١٣) ٩٤
رحمة الله تعمل بين الوثنيين كما في داخل إسرائيل. بقية (١٤:٩ -٢٩) ٩٦
بر الإيمان والمسيح (٣٠:٩ -٤:١٠) ٩٩
إسرائيل بين البرَّين (٥:١٠ -٢١) ١٠١

الجزء الثاني: معنى "البقيّة" وترابط إسرائيل والأمم (١:١١ -٣٢) ١٠٦
لم يُرذل إسرائيل، بل قُسّي قلبه. وتأكيدًا لتقليد إسرائيل، تبقى "بقيّة" ازاء من قَسَتْ قلوبهم (١:١١ -١٠) ١٠٧
رفضٌ مفيد، انتظار الملء (١١:١١ -٢٤) ١٠٩
سر إسرائيل: من الرجاء إلى اليقين بخلاص إسرائيل برمته (٢٥:١١ -٣٢). ١١٤
تمجيد الحكمة الإلهيّة (٣٣:١١ -٣٦) ١١٦

الباب الثالث
حياة شراكة (١:١٢ - ١٣:١٥) ١١٧
تتألّف الجماعة المسيحية من يهود مسيحيّين ومن وثنيين مسيحيين؛
وليس لأحد أن يفتخر باي امتياز ١١٧

افتتاحيّة (١:١٢ -٢) ١٢٠

القسم الأول: تصرّف المسيحيين تجاه بعضهم البعض، وتجاه "من هم من الخارج" (٣:١٢ -١٤:١٣) ١٢١

السيرة الجماعيّة: شراكة (٣:١٢ -١٦) ١٢١
العلاقات مع من "هم من الخارج": أغلبوا الشر بالخير (١٧:١٢ -٢١) ١٢٣
تجاه السلطات (١:١٣ -٧) ١٢٤
المحبّة والاسكاتولوجيا (٨:١٣ -١٤) ١٢٦

القسم الثاني: أقوياء وضعفاء في روما (١:١٤ -١٣:١٥) ١٢٩

بعض المبادئ لحلّ الخلاف بين الطرفين (١:١٤ -١٣أ) ١٣٠
نداء إلى الأقوياء: بناء الجماعة (١٣:١٤ب -٦:١٥) ١٣٢
قبول متبادل على مثال المسيح (٧:١٥ -١٣) ١٣٦

خاتمة
حول الخدمة البولسيّة، بولس ومسيحيو روما (١٥: ١٤ -٣٣) ١٣٩
مساعدة ماديّة في الطريق إلى اسبانيا (١٥: ١٤ -٢٤) ١٣٩
عون روحي للصعود إلى أورشليم (١٥: ٢٥ -٣٣) ١٤٢
إرشادات ختامية ومجدلة (١٦: ١ -٢٧) ١٤٣
رسالة توصية (١٦: ١ -٢) ١٤٥
تحيّات وتحذير (١٦: ٣ -٢٣) ١٤٦
المجدلة (١٦: ٢٥ -٢٧) ١٤٩

الرسالة إلى الغلاطيين ١٥١

المقدمة ١٥٣
تمهيد: رسول وإنجيل موضوع جدل (١: ١ -١٠) ١٥٩
رسول بحق (١: ١ -٥) ١٥٩
وحدة الإنجيل وأمانة الرسول (١: ٦ -١٠) ١٦٠

القسم الاول: بعض معطيات السيرة الذاتية. مشاكل غلاطية وحلولها المسبقة (١: ١١ -٢: ١٤) مقطع يقيم ربطاً(٢: ١٥ -٢١) ١٦٣

دعوة بولس واستقلاليّته في رسالته (١: ١١ -٢٤) ١٦٣
شراكة واستقلاليّة: مجمع أورشليم (٢: ١ -١٠) ١٦٨
فكر واحد في خضم نزاع (٢: ١١ -١٤) ١٧١
مقطع ارتباط: آنيّة الأحداث الماضية (٢: ١٥ -٢١) ١٧٣

القسم الثاني: سماع رسالة الإيمان وانبعاث الروح في غلاطية.نظام الجماعة المسيحية (٣: ١ -٤: ٣١) ١٧٧

أولاً: بشارة أولى وعطيّة الروح للجماعات المسيحيّة في غلاطية (٣: ١ -١٤) ١٧٨
أعاد الغلاطيّون بناء ما هدموه (٣: ١ -٥) ١٧٨
برهان كتابي افتتاحي.الكتب تؤكّد خبرة الجماعة: الروح مرتبط بسماع رسالة الإيمان (٣: ٦ -١٤) ١٧٩

ثانيا: من الوعود لإبراهيم ونسله، إلى عطيّة الروح للأبناء بالتبنّي (٣: ١٥ -٤: ٧) ١٨٢
المسيح والوعد. دور الشريعة الثانوي مقارنة مع الوعد (٣: ١٥ -٢٢) ١٨٣

المسيح يفتتح زمنًا جديدًا يجد فيه كل مؤمن مكانه، هو زمن الشموليّة والميراث (٣:٢٣ -٤:٧) ١٨٥

ثالثاً: بشارة أولى وحريّة معطاة للمولودين بحسب الروح (٤:٨ -٣١) ١٨٨

بمثابة صدى لـ ٣:١ -٥: ما تبقّى لاستكمال سماع بشارة الإيمان (٤:٨ -٢٠) ١٨٨

برهان الخاتمة الكتابي:سلالة بحسب الجسد أو بحسب الوعد (٤:٢١ -٣١) **١٩١**

القسم الثالث: الحياة المسيحيّة والروح: تبرير، حياة يوميّة، ديبونة (٥:١ -٦:١٠) ١٩٥

الروح، والأمانة للرجاء المولود من التبرير (٥:١ -١٢) ١٩٥

حريّة وروح ومحبّة (٥:١٣ -٢٦) ١٩٧

حياة بالروح وديبونة الله (٦:١ -١٠) ٢٠١

خاتمة

إمضاء الرسول وملخّص فكره (٦:١١ -١٨) ٢٠٥

قائمة بالاطارات

الرسالة إلى الرومانيين

غضب الله ٢٧

اليهودي أولاً، ثم الوثني ٣١

العودة إلى الكتب ٤٢

مفاعيل موت المسيح ٤٦

البر، برّر... ٤٧

أوقات ثلاثة في الحياة المسيحيّة ٤٧

آدم ٦١

خطيئة آدم ٦٤

العماذ في رسائل بولس ٦٨

أي "تعليم أساسي؟" (روم ٦:١٧) ٧٢

معاني مختلفة لكلمة "شريعة" ٧٨

الكائن البشري بحسب بولس ٨٠

الروح والروح القدس ٨٥

بقية إسرائيل في سفر أشعيا ٩٩

السر ١١٥

الرسالة إلى الغلاطيين

محطات من التاريخ البولسي ١٥٥

إنجيل ١٦٥

يعقوب، هل هو رسول؟ ١٦٧

صخر / بطرس ١٧١

إيمان يسوع المسيح ١٧٤

بركة / لعنة ١٨١

افتداء ١٨٢

مسيح ١٨٩

جسد/ لحم ١٩٨

منشورات مركز الدراسات الكتابية

دار بيبليا للنشر / الموصل – العراق

• ملفات الكتاب المقدس

كراريس بيبلية مصورة بقلم اختصاصيين فرنسيين، عمد م.د.ك.، منذ عام ٢٠٠٠، إلى تعريبها ونشرها بوتيرة ٤ أعداد في السنة. هي في سنتها الحادية عشرة، وظهر منها ٤١ ملفا في العهدين القديم والجديد. (تتوفر منها مجموعات وباسعار مخفّضة).

• سلسلة "ابحاث كتابية"

كتب بيبلية رصينة تمكّن القراء من الدخول إلى عالم الكتاب المقدس وفق منهج علمي رصين. انطلقت عام ١٩٩٩، وبلغت الرقم ١٧ مع خريف عام ٢٠١٠. ومنذ عام ٢٠٠٨، تصدر ضمنها سلسلة "تفاسير" تغطي العهد الجديد بعشرة اجزاء. ظهر منها حتى الآن ٤ أجزاء: انجيل متى، انجيل يوحنا، الرسالتان الى القورنثيين، الرسالتان إلى روما وغلاطية (انظر الغلاف).

• سلسلة "مختارات الفكر المسيحي"

كتب توثق ابواباً ثابتة في مجلة الفكر المسيحي للاعوام ١٩٧١-١٩٩٤. ظهر منها منذ عام ٢٠٠٦: اسئلة واجوبة، افتتاحيات، همسات، من وحي الانجيل، خواطر وشذرات، المختار من الاعداد الخاصة...

• دوريات وكتب مستنسخة

عمد م.د.ك. منذ عام ٢٠٠٠، خدمة للقراء، إلى تكثير عدد من الدوريات والسلاسل والكتب الرصينة في اللاهوت والكتاب المقدس والروحانية والتاريخ والتربية ...

فالى جانب "جريدة بيبليا" (٥٤ عدداً) ومجلة بيبليا (٤٣ عدداً) وسلسلة "دراسات في الكتاب المقدس" (٤٢ جزءاً)، هناك اكثر من ١٠٠ كتاب في شتى المجالات وباسعار مدعومة.

لمعرفة اسعار الإصدارات والمنشورات اطلب الفولدر مجاناً

تطلب كافة المنشورات من مكتبة بيبليا/ كنيسة مار توما – الموصل (العراق)

e.mail:bibliamosul@yahoo.com

دار بيبليا للنشر — كنيسة مار توما - الموصل

ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية متخصصة مصورة، معربة عن الفرنسية *Les Dossiers de la Bible*
تصدر منذ عام ٢٠٠٠ عن دار بيبليا للنشر بوتيرة اربعة ملفات في السنة.

السنة الاولى: ٢٠٠٠
١- الحديث عن القيامة/أيلول
٢- الافخارستيا/ كانون الأول

السنة الثانية ٢٠٠١
٣- ايليا واليشاع/كانون الثاني
٤- امثال يسوع/نيسان
٥- ما وراء الموت/تموز
٦- عجائب يسوع/تشرين الأول

السنة الثالثة ٢٠٠٢
٧- قراءة في انجيل متى/كانون الثاني
٨- اعمال الرسل/نيسان
٩- قراءة في مؤلّف لوقا/تموز
١٠- حزقيال النبي/تشرين الأول

السنة الرابعة ٢٠٠٣
١١- اناجيل الطفولة/كانون الثاني
١٢- القديس بولس/نيسان
١٣- سفر يونان/تموز
١٤- كنيسة البدايات/تشرين الأول

السنة الخامسة ٢٠٠٤
١٥- القديس مرقس/كانون الثاني
١٦- سفر المزامير/نيسان
١٧- النبي عاموس/تموز
١٨- صلاة الابانا/تشرين الأول

السنة السادسة ٢٠٠٥
١٩- انجيل يوحنا/كانون الثاني
٢٠- الروح القدس/نيسان
٢١- الاناجيل المنحولة/تموز
٢٢- اشعيا النبي/تشرين الأول

السنة السابعة ٢٠٠٦
٢٣- سفر ايوب/كانون الثاني
٢٤- ارميا النبي/نيسان
٢٥- سفر الرؤيا/تموز
٢٦- الغفران في ك. م. /تشرين الأول

السنة الثامنة ٢٠٠٧
٢٧- اشعيا الثاني وتلاميذه/كانون الثاني
٢٨- أوجه يسوع/نيسان
٢٩- الآلام بحسب يوحنا/تموز
٣٠- سفر الخروج/تشرين الأول

السنة التاسعة ٢٠٠٨
٣١- لا فقراء بعد اليوم!/كانون الثاني
٣٢- الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان
٣٣- روح العنصرة/تموز
٣٤- العهد: من سيناء الى يسوع/تشرين الأول

السنة العاشرة ٢٠٠٩
٣٥- العماذ في ك.م.+عدد خاص/كانون الثاني
٣٦- بولس وقورنتس/نيسان
٣٧- حين يتكلم الله/تموز
٣٨- مريم، ام يسوع/تشرين الأول

السنة الحادية عشرة ٢٠١٠
٣٩- اورشليم مدينة السلام/كانون الثاني
٤٠- كما في الكتب/نيسان
٤١- واعطاها اسما (الحيوانات في ك.م/تموز
٤٢- روايات الكتاب المقدس/ تشرين الاول

اسعار المجموعات مخفّضة

- المجموعة الكاملة	(١ - ٤٢)	٥٠٠٠٠ د.
- مجموعة ٧ اعوام	(١١-٣٨)	٢٥٠٠٠ د.
- مجموعة ٥ أعوام	(١٥-٣٤)	١٥٠٠٠ د.
- مجموعة عامين	(٢٣-٣٠)	٥٠٠٠ د.
- مجموعة عامين	(٣١-٣٨)	١٠٠٠٠ د.
- مجموعة عام ٢٠١٠	(٣٩-٤٢)	٥٠٠٠ د.
- مجموعة ٥ اعوام	(٢٣-٤٢)	١٨٠٠٠ د.

انجزت مطبعة الديوان
طبـع هـذا الكـتاب
في العاشر مـن ايلـول
٢٠١٠

سلسلة أبحاث كتابية

١. قراءة مجددة للعهد الجديد — تأليف: أ. بيوس عفاص ٥٤٠ص/١٩٩٩ (٤٠٠٠ د)

٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي — تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٣٤ص/ ٢٠٠٢ (١٠٠٠ د)

٣. قراءة في العهد القديم/ج١: قبل الجلاء — ٢٤٠ص/٢٠٠٣ (١٥٠٠ د)

٤. قراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع — ٢٧٢ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)

٥. قراءة في العهد الجديد/ ج١: الاناجيل الاربعة — ٢٥٦ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)

٦. قراءة في العهد الجديد/ ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا — ٢٥٦ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)

(وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة، من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمها علبة خاصة]
مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار)
سعر خاص للجزئين من [قراءة في العهد الجديد]: ٣٠٠٠ د. فقط

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل — تأليف: أ. ريموند براون
ت: م. جرجس القس موسى٢٠٨ص/٢٠٠٥ (٢٠٠٠ د)

٨. لوقا - الاعمال/ وعد التاريخ — تأليف: دونالد يوئيل
تعريب: أ. البير ابونا ٢٠٠ص/٢٠٠٦ (٢٠٠٠ د)

٩-١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة — تأليف: أ.بيير بنوا
تعريب: أ.بيوس عفاص ٣٣٦ص/٢٠٠٦ (٢٥٠٠ د)

١١. يسوع الذي هو المسيح — تأليف: أ.برنار راي
ت: م. جرجس القس موسى١٣٦ص/٢٠٠٧ (٢٠٠٠ د)

١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا — تأليف: ك. كارلو مارتيني
تعريب: أ. البير ابونا ١٧٦ص/٢٠٠٨ (٢٠٠٠ د)

١٣. الانجيل بحسب القديس متى/ سلسلة تفاسير ١ — تأليف: كلود تاسان
تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٨٨ص/٢٠٠٨ (٣٠٠٠ د)

١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة — تأليف: جاكلين سافيريا هوري
ت: م. جرجس القس موسى٢٨٨ص/٢٠٠٩ (٣٠٠٠ د)

١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤ — تأليف: آلان مرشدور
تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٨٨ص/٢٠٠٩ (٣٠٠٠ د)

١٦. رسائل القديس بولس/ج١: سلسة تفاسير ٦
الرسالتان الى القورنثيين — تأليف: بول دي سيرجي وموريس كاريز
ت: م. جرجس القس موسى٢٣٢ص/٢٠٠٩ (٣٠٠٠ د)

١٧. رسائل القديس بولس /ج٢: سلسلة تفاسير ٧
الرسالتان الى روما وغلاطية — تأليف: جان-بيير ليمونون
تعريب: الاخت باسمة الخوري ٢١٦ص/٢٠١٠ (٣٠٠٠ د)

سيظهر تباعا

١٨. رسائل القديس بولس / ج٣: سلسلة تفاسير ٨ — يظهر في أوائل ٢٠١١

١٩. الرسائل الاخيرة / سلسلة تفاسير ٩ — يظهر في خريف ٢٠١١

٢٠. سفر الرؤيا / سلسلة تفاسير ١٠ — يظهر في أوائل ٢٠١٢

٢١. الانجيل بحسب القديس مرقس / سلسلة تفاسير ٢ — يظهر في خريف ٢٠١٢

٢٢. الانجيل بحسب القديس لوقا / سلسلة تفاسير ٣ — يظهر في أوائل ٢٠١٣

٢٣. سفر أعمال الرسل / سلسلة تفاسير ٥ — يظهر في خريف ٢٠١٣

سلسلة
أبحاث
كتابية
١٧

الرسالتان إلى روما وغلاطية

ترجمة الأخت باسمة الخوري

خصّت سلسلة "تفاسير" (Commentaires) رسائل بولس بثلاثة اجزاء: جزء للرسالتين إلى القورنثيين (ظهر في اوائل ٢٠١٠) والجزء الثاني الذي بين ايديكم، في الرسالتين إلى روما وغلاطية، وسيظهر الجزء الثالث في اوائل ٢٠١١ ليغطي الرسائل التسع الاخرى.

والرسالة إلى الرومانيين، كتبها بولس من قورنتس في شتاء ٥٧-٥٨، وكانت الرسالة إلى الغلاطيين قد سبقتها ببضع سنوات. والرسالتان هما جواب على

ازمات حادة برزت في حضن الجماعات المسيحية الناشئة: ففي روما، كان المسيحيون من اصل وثني قد نسوا اخوتهم من اصل يهودي، واخذوا يحجّمون من علاقاتهم بشعب الله؛ اما في غلاطية، فكان المؤمنون من اصل يهودي يحنّون إلى العيش وفقا للروح اليهودية ويودّون التمسك ببعض طرقها في العيش...

كان على بولس -وهو ذاك الفريسي العنيد الذي كانت حياته تتمحور حول الشريعة- ان يحدد طبيعة الجماعة المسيحية، المؤلفة من يهود ووثنيين، ويبين ما معنى "العيش بحسب الروح". لقد كان جل اهتمامه أن يوضح مسألة الشريعة في صلتها بالحرية، انطلاقا من ان المعمّذين بالمسيح هم جسد واحد، ولم يعد هناك، لا يهودي ولا يوناني لا عبد ولا حر، لا رجل ولا امرأة... ولَكَم هي عميقة انعكاسات هذه الحقيقة في الواقع اليومي...

فمن القديس اوغسطينس إلى لوثر، وحتى اليوم لَكَم قرئت هذه النصوص المؤسّسة وفُسّرت وكُتبت عنها المجلدات... وإذا كانت في الماضي سببا لانقسامات مريرة، فقد اصبحت اليوم خميرة شركة ووحدة.

جان بيير ليمونون البيبلي الفرنسي الشهير، هو استاذ العهد الجديد في جامعة ليون الكاثوليكية منذ عام ١٩٧٣. وهو كاهن رعية رومانس، ويشارك بشكل فعال في التنشئة الايمانية، في ابرشية فالانس.

يطلب من مكتبة بيبليا -كنيسة مار توما
الموصل - العراق
سعر النسخة: ٤٠٠٠ دينار

شركة الديوان للطباعة والنشر
بغداد-العراق

٢٠١٠